رواية

الزيبق



وائل رداد



المجموعة الدولية
للنشر والتوزيع



الزيبق

الطيار

حلم الطيران

- «أريد أن أصير مهندسًا معماريًّا!»..

كانت تلك إجابته للمعلمة يوم لا زال في المرحلة الابتدائية، فوالده حثه على الحلم بذلك، مُعددًا له الأشياء العظيمة التي بإمكان مهندس معماري تحقيقها!

قال له والده بلهجة مغرية:

- «إذا صرتَ مهندسا فسيصبح بإمكانك عمل تصاميم جميلة لكل الطائرات التي ترغب بصنعها!»..

شعر (نورس) بالحماسة، فمنذ الصغر وهو يعشق مظهر الطائرة الفريد من نوعه.. وقد حصل على أول نموذج لواحدة من ربان الطائرة العملاقة «البوينج 747» عندما سافر برفقة والدته لزيارة جدته، وسُمح له بدخول قمرة الملاحة.. حيث عرفه الربان على وظيفة أجهزة قياس الطيران، وأنظمة تجنب التصادم الجوي، ثم تركه يعتمر قبعته الشبيهة بقبعة شرطي المرور، وأخيرا، أهداه نموذجا مصغرا للطائرة التي كانوا على متنها..

وعندمـا عادوا بسـلام من رحلتهـم، وثب (نـورس) إلى أحضان والده صائحا:

- «ليتك رأيت الطائرة يا بابا!»..

- «أنا سعيدٌ برؤيتك أنت أيها المهندس الصغير!»..

ثـم يفلتـه، فيبـدأ (نـورس) - كديدن الصغـار - بفتـح ذراعيه عن آخرهما، ومـن ثم الانطلاق هنا وهناك محـاولا تقليد صوت محرك الطائرة الجبار..

- «فووووووو!»..

لم يسافر والده معهما، في الواقع لم يحاول والده السفر لسببٍ لم يفهمه (نورس) الصبي.. لكن (نورس) الشـاب تفهم بحكم الدراسة والمطالعة أسـباب إعراض شـخص بالغ عن السـفر بالطائرة، ما دام مصابا برهاب ركوب الطائرات!

(نـورس) الشـاب أدرك كذلك أن حلمه الحقيقـي لم يكن متعلقا بالهندسـة ولا بالتصاميم، والخبر الأسوأ أن والده كان يُجهزه للعمل في شـركته الصغيـرة للمقاولات، حتـى أنه أراد لولـده أن يكون إلى جـواره كمهندس مدني لا معماري! لكنه بدأ التخطيط بإغواء الصبي الصغير، ثم تحولت اللهجة الودودة ذات الإغراء المحبب إلى جدية وحزم يثيران الكآبة في النفس:



- «وظيفة المهندس المدني هامة للغاية، ستمكنك من فهم كل شيء متعلق بشركتنا، حلم الطيران محض هراء، سنوات وسنوات من إضاعة العمر في الدراسة والتعلم، وفي النهاية قد تنجح وقد لا تنجح في قيادة طائرة أحلامك!»..

وبدا وكأن المرحلة الثانوية من حياته قد انتهت على وعد محبط مع المستقبل بأن يصير مهندسا.. مدنيا لا معماريا!

لكنه، ويوم سأله معلم المرحلة الأخيرة من الثانوية عما يود أن يصيره، كانت إجابته عقب برهة تردد:

- «طيارًا.. أريد أن أصير طيارًا!»..

■ ■ ■

شيء عجيب حارَ في أمره، أقرب للسيال الحيوي المتعلق بما يستشعره البشر.. ولربما كان هو بالفعل!

إنه أقرب شيء لما رآه (نورس) يوم ابتدأ اكتشاف تلك الظاهرة العجيبة التي تحدُث معه.. كان لا يزال صبيا عندما سأل والده ببراءة:

- «بابا، ما هذا الشيء الذي يُحلق فوق رأسك؟»..

يومها توقف والده عن مطالعة الجريدة، وتحسس فروة رأسه متسائلا بريبة:

- «شيء؟!»..

- «شيء كالغيمة، لونه أخضر غامق!»..



- «لا يوجد شيء فوق رأسي يا بني!»..

- «بل هو هناك! يطير فوق رأسك كالطائرة طيلة الوقت، يشبه الغيمة الصغيرة الخضراء.. بابا، هل ستمطر الغيمة الخضراء فوق رأسك؟!»..

تبسم الوالد وقد تفهم الدعابة على نحو ما، وواصل تصفح جريدته تاركا ولده – الجاد – في حيرة من أمره!

وفي المطبخ سأل والدته ذات السؤال، لكن عن كنه «الشيء» المُحلق فوق رأسها هي، لكنه فاتح الخضرة عكس غيمة والده داكنة الخضرة! فاكتفت بمداعبته، ثم أخرسته بقطعة من البسكويت المحلى مع كوب حليب ساخن!

في المدرسة، الغيوم العجيبة تبدت فوق الرؤوس وكأنها غابة! كان يراها كذلك حين يرمقها من على السطح، غابة خضراء تخللتها شجيرات زرقاء وبنفسجية متفاوتة الدرجات في اللون..

وكذلك – ونادرا – حمراء!

كان يستمتع بتلك الظاهرة أيما استمتاع، وقد كفّ عن سؤال رفاقه لما تبين له أخيرا ألا أحد يرى تلك الغيوم المضحكة سواه..

وعندما انتقل للمرحلة الإعدادية ابتدأ يفهم عدة أشياء بخصوصها..



كان ذلك التباين في ألوان تلكم الغمامات ذا مدلة، لم تكن مجرد ألـوان أتـت من فـراغ.. فـي الفسـحة كان يراقب ويلاحـظ، ومن ثم استعان بدفتر يومية كي يسجل ملاحظاته التي أفادته أكثر..

خذ عندك مثلا (فادي)، تلميذ هادئ ومتفوق، غمامته خضراء ذات درجة هادئة قريبة من الفسـفور، الأخضر يُعرفـه على الرفاق من طينة (فادي)، لكن شرط أن يكون اللون خفيفا فسفوريا كغمامة والدته..

غمامـة والده خضـراء كذلك، لكنها ذات خضـرة زيتونية داكنة.. يسـتطيع رؤيتهـا تحوم فوق رأس (شـرف) أيضًـا، ذاك التلميذ الذي يحنق بسـرعة ويتشـاجر مع أقرانه دائما.. اللون الأخضر الداكن لون جيد، لكنه يدل على التسرع والعصبية كذلك!

ماذا عن الزرقة؟ وذاك اللون البنفسجي الباهت؟

بالنسـبة للـون الثانـي - البنفسـجي - فقـد وجد أنـه يتعلق بذوي الإعاقـة الذهنيـة، أو المصابيـن بالصرع، لديهم تلميـذ يدعى (عباد) يسـقط كل نصف سـاعة - أو سـاعة- أرضا وهو ينتفض كأنما مسـه تيار كهربائـي عنيف، في حين تخرج الرغوة البيضـاء المقززة بكثافة من بين شفتيه..

(عباد) كان لون غيمته بنفسجيا!

لاحقا، وحيـن صار (نورس) أكبر، رأى تلك الغمامة البنفسـجية الكئيبـة فـوق رؤوس أولئـك الذيـن يعانون إعاقـة ما فـي العقل منذ

الولادة، أو بسبب حادثة ما تعرضوا لها، كتصادم سيارة أو وقوع شيء ما صلب على رؤوسهم، كان يسميهم مخابيل قبل أن يُبدي أسفا عميقا واحتراما أكبر، مُسميا إياهم ذوي احتياجات خاصة!

أما بالنسبة للون الأول، الأزرق، فقد اكتشف أنه يخص الأشخاص الذين يتصرفون بسذاجة الأطفال، خذ عندك مثلا (ميثاء) ابنة خالته، ترد بنبرة خافضة حين يحادثها، يلاحظ أن الغيمة الخضراء الفسفورية تستحيل لتلك الزرقة كلما دنا منها كي يطلب استعارة شيء ما، ويضحك في سره لذلك التناقض العجيب ما بين حمرة وجنتيها والغمامة الزرقاء فوق رأسها!

الأخصائية الاجتماعية كذلك، غيمتها الخضراء الشفافة تبدأ بالتلون للأزرق الباهت كالحرباء، كلما رآها تحادث معلم التربية الرياضية الوسيم الذي كانت غمامته ذات لون أخضر داكن!

لاحظ (نورس) أن عدد الغيوم المزرقة فوق رؤوس الإناث تناهز تلك التي تحلق فوق رؤوس الذكور..

لم يُقرن ذلك بالرومانسية والعشق والوقوع في الغرام إلا عندما صار في المرحلة الثانوية!

■ ■ ■

أما اللون الأخير.. الأحمر!

الغيمة الحمراء

جارهم (مازن)..

ليس صديقا، وليس اجتماعيا أساساء فتى انعزالي منذ نعومة أظفاره، يدرس في مدارس أخرى غير مدارسه، منذ المرحلة الابتدائية ومرورا بالإعدادية وحتى الثانوية، لم يحدث أن درسا معا في ذات المدرسة..

رأى (نورس) غمامات حُمر كثيرة، ولطالما تساءل بشأنها، لقد حلل وفسر وتوصل لما تعنيه باقي الألوان، لكن الأحمر شغل تفكيره مطولا..

ذلك القروي ضخم الجثة الذي يبيع الفول السوداني المحمص على ناصية الطريق، يمتلك غمامة حمراء.. مربية متبلدة النظرات في الحديقة، تراقب أطفال مخدومتها وهم يلهون في الحديقة العامة على المراجيح، أبصر غيمة حمراء تطوف فوق رأسها كذلك!

هو أقل الألوان وجودًا لحسن الحظ فوق رؤوس العباد، وقد أشعره ذلك براحة، فوجود اللون الأحمر لم يُشعره يوما بالطمأنينة..

والسبب كان مجهولا.. لكن (مازن) كشف له كل شيء!

■ ■ ■

كان لمازن عظيم الفضل في دفع موهبة (نورس) للتقدم والكشف عما تواريه من أسرار..

لقد بحث (نورس) في الكتب، وعلى مواقع الانترنت، وسأل خبراء كثر عن طريق المراسلات.. فكان أقرب ما توصل إليه بشأن تلك الغيوم الملونة هو نظرية السيال الحيوي..

إنه لشيء أقرب للكهرباء العصبية أو التيار العصبي الفسيولوجي، ثمة مصطلح لذلك هو: «الكهرباء الطبيعية في الأجسام الحية» Action Potential، والمقصود تحويل ذلك التيار إلى سيال مغناطيسي، بحكم أنه يسري عن طريق الرغبة العقلية الشخصية، فهو تحت حكم الشخص، حيث أن تنميته قد تتفاقم، مما يجعله قابلا للخروج من جسده إلى أعصاب غيره، وبذلك تكون أعصاب النائم تحت حكم المنوِم، وتلك التنمية تتم بالتركيز وعبر التمرينات الخاصة، فمتى خرج هذا التيار من جسم وأثر في آخر - عن قرب أو بعد- سمي عندئذ بالسيال المغناطيسي..

ولكن للأسف لم يُذكر شيء عن الغيوم الملونة المحلقة فوق الرؤوس، فكان على (نورس) تحسس سبيله وسط الظلام، ولربما بمفرده!

في تلك الليلة من عام 1996، وبينما كان يذاكر لوقت متأخر استعدادا لامتحانات الثانوية العامة، شُق الليل بصرخة أنثوية عظمى..

جفل بشدة لوقع تلك الصرخات الرهيبة، وهرع خارجا ليجد والده مستفيقا وهو يحاول عقد حزام «الروب» المنزلي حول خصره، في حين التصقت والدته به من الخلف هامسة بفزع وهي تواصل دعك جفنيها:

- «(أم مازن)!»..

والده ينظر إليه نظرة مبينة مدى خطورة الموقف وجديته، قبل أن ينطلقا معا خارج الشقة وهو يدمدم:

- «للأسف لا أملك سلاحا.. قد يكون لصا!»..

ومن منطلق الترهيب ضمّ قبضته وأهوى بها مرات متلاحقة على باب شقة جارهم، وهو يصرخ في ذات اللحظة كي يجمع أكبر قدر من الجيران بصخبه:

- «أبا (مازن)! أأنت بخير يا جار؟ افتحوا يا بشر!!»..

وبالفعل خرج عدد من الجيران بالبيجامات كي يروا ما هنالك، وتكفل (نورس) بتوضيح الأمر لهم عبر كلمات سريعة، مستغربا نومهم الثقيل الذي لم تنجح تلك الصرخات المفزعة في دحره منذ البداية!



لم يلتفت للغمامات فوق رؤوسهم فقد اعتادها، غيمة الأستاذ (عبد المعين) باللذات تدفعه في كل مرة للابتسام، فهي مزرقة في كثير من الأحيان رغم أنه متزوج، وقد ظن (نورس) أن الرجل لا زال يحب زوجته بعد مرور كل تلك الأعوام، فهو في الستين وهي في الخمسين، لكن الأمر تبين له لاحقا، عندما لاحظ تبدل لون غمامته كلما وقعت نظراته النهمة والمتلاحقة على (نهلة) ابنة جارهم الدكتور (أنيس)!

المشكلة هنا أن (نهلة) بدورها تحوم غيمة مزرقة فوق رأسها كلما تقابلت مع (نورس) عرضا أمام أبواب الشقق أو عند مدخل البناية!

- «اكسروا الباب!!»..

ليس هذا موضوعنا حبا بالله! فجيش الجيرة قد احتشد عند باب شقة (آل مازن)، وهو يستعد الآن لتحطيم بابه واقتحام شقته..

لكن الباب يُفتح ببطء..

■ ■ ■

إثر ما وقع في تلك الليلة، تناقلت الجرائد الخبر المفجع التالي:

أدت خلافات زوجية نشبت في ساعة متأخرة من ليلة أمس الأول إلى مقتل أب على يد ابنه الوحيد..



وقد ارتكب الابن (م) الجريمة عقب اعتداء والده على والدته بأن أوسعها لكما وركلا على رأسها وجسدها، وقيامه بحملها للأعلى ثم رميها أرضا كالمصارعين..

وحسب اعترافات الجاني (م) فقد عاد والده في ساعة متأخرة إلى شقتهم، ووقعت مشاجرة بينه وبين والدته بخصوص وجبة العشاء، مما أدى إلى قيامه بكسر شاشة التلفاز بالحذاء، بعدها ذهب إلى غرفته لينام، وعندها أخذت والدة الجاني بملء حقيبتها بالثياب بقصد المغادرة إلى منزل عائلتها، حيث كانت الساعة الثانية والنصف بعد منتصف الليل، لكن سرعان ما استفاق المجني عليه كاشفا ما كانت زوجته تنوي القيام به، فضربها بعصا الممسحة إلى أن انكسرت، وسقطت والدة الجاني على الأرض، ثم قام المجني عليه زوجها بركلها بقدمه في وجهها وعلى أنحاء متفرقة من جسمها، وبعد ذلك حملها إلى الأعلى ورماها أرضا، وقد دفع صراخها بالجيران إلى محاولة دخول الشقة، في ذات اللحظة التي أغمد فيها الجاني سكينا جلبها من المطبخ في ظهر والده..

ثم قام الجاني بفتح الباب وإدخال الجيران، وانتظر معهم وصول رجال الشرطة حيث قام أحد الجيران بالاتصال بهم، مسلما نفسه لهم دون مقاومة تذكر أو أية محاولة للهرب..



الليلة الأخيرة

مـن خزانـة الصيدليـة ذات واجهـة المـرآة، تناول (نـورس) علبة أقراص «زانكس»، فابتلع حبة واحدة دون ماء..

لـم تكن حيازتـه لدوائه المهدئ قانونية، ففي آخـر رحلة جوية له إلـى جنيف - والتي هي مقر منظمة الصحة العالمية-، قام بتدبر تلك الأقراص المهدئة بكل سهولة ودون وصفة طبية!

كان قـد تعـود على هذا الـدواء المهدئ، يتناوله منذ سـنوات كي يعيش حياته بصورة طبيعية ليتمكن من مزاولة عمله كربان طائرة دون مشـاكل، بدون قـرص «زانكس» اليومي قد يواجه مشـاكل كبرى في النوم أو التركيز، هو يعلم حتمية عدم تناول أي دواء مهدئ - أو حتى منوم- إلا بإشراف طبي صارم، يصرف له أدوية مهدئة مثل «زانكس» أو «ليكسوتانيل» أو الفاليوم..

ولكي لا يسقط في شرك الإدمان، تمكن (نورس) من تعويد نفسه علـى جرعة يوميـة ثابتة، فلا يحاول زيادتها مهمـا كانت الضغوطات النفسـية، فتظـل عاديـة طبيعية ضمن الحـدود التي يسـمح بها قانون



الطب، الجرعات الكبيرة قد تهدد حياته، أو تجعله عرضةً لمشاكل عضوية مرضية..

كادت مشاكل الأرق أن تدفعه لابتياع دواء منوم كذلك، لكنه خشي أن يصيبه مصاب ربان طائرة الركاب الإسرائيلي الذي قرأ عنه في إحدى الجرائد، إذ غفا الأحمق داخل قمرة القيادة وهم في الجو! ولاحقا أظهرت التحقيقات أنه تناول حبوبا منومة عن طريق الخطأ بدلا من حبوب خفض الضغط التي يتناولها عادة! فعجز عن السيطرة على عصا القيادة ليسقط بعدها في براثن النوم!

طائرة الإسرائيلي كانت من نوع بوينج 737 وتقل مائة راكب، ولولا تولي مساعده عملية قيادة الطائرة وإكمال الرحلة لما هبطوا بسلام!

لم يسع (نورس) توريط (جيسيكا) في مسألة تدبير الأقراص المهدئة، فاستعان بالمضيفة السمراء الحسناء (آرسينا)..

(آرسينا) ماكرة أريبة، لا تهاب سلطات الجمارك في المطارات، وتواصل تهريب كميات لا بأس بها من الأدوية الخاصة بعلاج السرطان والتخسيس والمنشطات والفيتامينات داخل أكياس رقائق البطاطس وعلب الكورن فليكس، بشراكة مع مضيفة جوية أخرى آسيوية لدى عودتها من المملكة المتحدة وأمريكا وفرنسا!

لم يحدث أن اشتبه مأمور الجمرك في حقائب المضيفة الحسناء أثناء إنهاء إجراءات وصول طاقم الطائرة، فقد صارا أشبه بصديقين



حميميـن، تحييه بالاسـم، وأحيانـا تمنحه قبلة هوائية أثنـاء مغادرتها متعمـدة إبراز أنوثتها السـاخنة أثنـاء ذلك، فكان الأبلـه يقع دوما في الفخ!

المضيفة (آرسينا) تصنع ذلك للاستفادة من فارق الأسعار الهائل لتلك السلع المهربة، وتمكن (نورس) من كشفها بسهولة إثر التقلبات العجيبة للون غيمتها الخاصة والتي زرعت الشـك بداخله، خصوصا حين وجدها تداعب مأمور الجمرك وتغازله بعبارات مثيرة، وغيمتها لا تنقلب للون الأزرق بتاتا!

وبمفاوضـة بسـيطة دارت بينهما، تفاهما علـى كل ما هو مطلوب مقابل الكتمان..

■ ■ ■

جدول الأعمال اليوم حافل، وصغيرته البوينج 767 بالانتظار..

التقط (نورس) بدلة الربان السـوداء ذات الأزرار السـتة المذهبة، والتـي تحمـل فـي موضـع القلب شـعار الطيـران المذهـب كذلك، والشبيه بنسر فارد لجناحيه..

التقـط بأطـراف أظافره ما خيل له بأنها شـعرة، اتضح أنها كذلك، فتأكد مجددا من تصفيفة شعره، واستعمل مادة رش مثبتة، ثم المشط الصغير كي يعيد التأكد من تناسق التصفيفة.. الربان الجوي يجب أن يكون أنيقا ونظيفا للغاية، لأنها القواعد الصارمة والخاصة بالمهنة!



ارتـدى البدلة بعناية، وتأكد من أناقـة ربطة العنق بضع مرات أمام المرآة، ثم التقط مفاتيحه وجواله مغادرا شقته..

كان يقطن شـقة مريحة هيئتها له شركة الطيران، إلى جانب سيارة مقسـطة بارتياح، راسـل والديه مرفقا بعض الصور للشـقة والسيارة، فالرسـالة كانت موجهة بالأسـاس لوالده، كأنه يُلمح له أنه قد نجح! فقد صار طيارا يكسـب حوالي 12000 دينار شهريا، ويمتلك كل ما يطمح المرء ويصبو إليه..

تراسـله والدتـه طالبـة منـه المجيء فورا كـي تبحث لـه عن بنت الحلال، فيبتسم، ويراسلها بأنه قد وجدها منذ مدة!

فـي معمعـة المطار بمـا في ذلـك ازدحام صالات الـركاب A وB وC متراميـة الأطـراف، قصد السـوق الحرة بغية شـراء هدية مناسـبة لجيسيكا، فالليلة سيطلب يدها للزواج..

أنهـى باكرا إجراءات التقرير الخاص ببرج المراقبة الجوية، حيث مسـئول تحركات الطائرات من محطـات الوقوف إلى نقطة الإقلاع، مرورا بالممرات الأرضية المؤدية إلى مدرج الطائرات المغادرة..

فـي حالة الطائرات القادمة فبرج المراقبة مسـئول عن الطائرة منذ اقترابهـا للمطـار وهبوطهـا وخروجها من المهبط، ومـن ثم الذهاب لمحطـة الوقوف، وفي جميع الأحوال سـواء كانـت الطائرة قادمة أو مغـادرة، فبـرج المراقبة مسـئول عن سـلامة الطائـرة، وتقديم جميع المعلومات اللازمة لسلامة وانسيابية الحركة الجوية..

في تلك الليلة السوداء، لم يكن (نورس) ليتوقع وهو يطالع التقرير بأريحية، ويراجع بيانات حالة الطقس - التي أتت معتدلة- مع مسئول برج المراقبة، ويتأكد من أن «صغيرته» ذات الأجنحة الجبارة كالعنقاء بخير تأهبا للإقلاع، وأن هديته الراقدة في جيبه ستعجب حبيبته (جيسيكا).. لم يكن ليتوقع أن تلك الليلة ستكون ليلة النهاية..

نهايته مع الطيران.. والغيوم الملونة المحلقة فوق الرؤوس البشرية.. وحتى (جيسيكا).. وكل شيء!



جيل الفنون الجميلة



شقيقان

توقف (نجم) عن تقليب صفحات الألبوم الراقد في حجره، وتنفس بروية رافعا رأسه لفوق، كي يتأمل ضوء الشمس المتسلل عبر ثغرات أوراق وأغصان الشجرة وارفة الظلال، والتي جلس على مقعد رخامي نحِتَ أسفلها..

شرد ذهنه بالكامل أثناء إصغائه لحفيفها، وبعينين مغمضتين طفق يفكر بهدوء مصطنع، بعمق مقوض، باحثا عن أي منفذ عقلي يتيح له قليلا من راحة البال الهانئة..

لكن هذا بدا ضربا من ضروب أحلام اليقظة..

الطلبة يمرون من أمامه دون أن يحادثوه، هو غريب عنهم وهم غرباء عنه، قبل شهر كان الأمر مختلفا بعض الشيء، كانت له بعض الشعبية، خصوصا عندما علموا أنه التوأم «الذكوري» لشقيقته (قمر)..

ولربما كان باطن تلك الشعبية المؤقتة الشفقة لا أكثر!

(قمر) التي خلبت ألباب طلبة الكلية، وأثارت غيرة الطالبات ببداهتها وسحرها.. قد جعلته حريصا كل الحرص على إرضائها



وإسـعادها منذ الصغر، منذ أظهرت اكتراثا لـه، مُحوِّلة الأخوة بينهما إلى صداقة لطيفة، فتبادلا الأسرار، وتضاحكا معا على مائدة الغداء، وكان لها مطلق الحرية في ولوج غرفته متى شاءت..

الشـقيقة التي تبدت أنثى ناضجة، تمتلك سـحر مراهقة وحنو أم، (قمر) كانت كالبلبل الذي يُسـعد الجميع بتغريده الشـجي في أرجاء المنـزل، ولـم يكن والدهما يخفي فخـره بابنته الذكيـة الجميلة ذات الطموح الذي لطالما راقه وأرق والدته!

- «كلية الفنون الجميلة!».

لا زال (نجم) يتذكر - متحسرا- تصريح (قمر) الذي أحدث شبه فرقة ما بين والديه..

فوالده ضحك قائلا:

- «أي نوع من الفنون بالضبط؟».

ملامـح والده تعبر ببسـاطة ووضوح مباشـرين عمـا يعتمر داخله من مشـاعر وأحاسـيس وحتى أفكار.. إذا لم يعـد (نجم) للمنزل في الميعاد المناسـب أظهر والده مشـاعر الخوف عليه، رغم أنه يقول له بلهجة لائمة دائما:

- «لقد أحبطتني وخيبت أملي بعودتك المتأخرة هذه!»..

أمـا والدته فتصـرخ غاضبة دائما، حتى عندما تكـون حزينة تبدي غضبـا، ولابـد وأن تكـون دائما أحـد أهم الأسـباب المسببة للنزاع الداخلي في المنزل!

كانـوا معـا في دربهـم للمجمع التجـاري ذات مـرة، عندما قالت الوالـدة أنها تود إعادة بعض الأغراض كي تسـتعيد ثمنها، وقد وافق الوالد على مضض..

وفـي الجنـاح المقصـود، سـألهم البائـع عن سـبب إعـادة تلكم الأغراض، فأجاب الوالد بلامبالاة وهو يؤرجح أكتافه بشبه استهانة:

- «لأنني متزوج طبعا! ماذا كنت تظن؟!»..

أما الأم فقد كادت تلطم وهي تصيح في وجه ابنتها:

- «فنـون جميلـة؟! اللهـم عافنا واعـف عنا! هل جننـتِ يا بنت؟ بمجموعكِ تستطيعين أن تكوني طبيبة!»..

ولا زال يذكر ردها الحاسم على والدتهما:

- «كلية الفنون الجميلة ولا شيء غيرها! فأنا لن أهدر سنوات من عمري لدراسـة مقرر لا أطيقه كالطـب، كي تنهال - لاحقا- دعوات المرضى على رأسي بسبب أو بغير سبب!»..

وقد ضحك والدهما آنذاك معقبا وهو يحاول إشعال غليونه:

- «فعلا (قمر) معها كل الحق! لا أحد يدعو للأطباء هذه الأيام! كلهم ينالون أرزاقهم مرفقة باللعنات، من المرضى وأهاليهم على حد السواء.. قد صارت مهنة الطب مقيتة!»..

رفعت الأم من عقيرتها قائلة باحتداد:

- «وماذا تريدين أن تصيري؟ مطربة؟ ممثلة؟ اللهم عافنا واعف عنا!»..

ردَّت بضيق:

- «لا علاقة لما ذكرتِه بكلية الفنون يا أماه.. ثم إن هندسة العمارة موجودة في كلية الفنون الجميلة!»..

أسرعت الأم تقول متلهفة وقد عاودها الأمل:

- «تريدين أن تصيري مهندسة؟ أهذا قصدكِ؟»..

تنفست ببطء قبيل ردها الحاسم والأخير:

- «بل مصورة.. مصورة فوتوغرافية!»..

■ ■ ■

وتحقق لأميرة المنزل مرادها..

صارت طالبة منتظمة في كلية الفنون الجميلة عقب أداء باهر في امتحانات القبول «اختبارات القدرة»، في قسم التصوير الفوتوغرافي والسينمائي والتلفازي..



وبدا مستقبلها واعدا لتطوير دراستها العليا، شاملة - إضافة إلى الدبلوم - كلاً من درجتي الماجستير والدكتوراه، وبتشجيع محفز من الدكاترة الذين نصحوها بعدم التوقف عند حد التخرج من الكلية، كونها مفطورة على الموهبة!

كان ربع عمل (قمر) اجتهادا وثلاثة أرباعه فنا خالصا، فالفتاة كانت تتمتع بموهبة ربانية، تنتقي الكوادر وكأنها (انغمار بيرغمان) شخصيا، مواضيعها مثالية للبيناليات الفنية، وقد استحوذت على شهادات إشادة مبكرة وعدد من الجوائز إثر عرض أعمالها المبكرة والمحترفة والواعدة..

ولربما كان ذلك طبيعيا كون أحد المقررات يتحدث عن (بيرغمان) بالفعل، فهو المخرج السويدي الذي امتلك مقدرة سحرية على سبر أغوار البشر، فتمكنت أفلامه من اختراق أعمق المناطق النائية في النفس البشرية، عن طريق فهم تضارباتها ومتضاداتها وشكوكها ويقينها وطبيعتها بصورة شمولية..

طبعا (قمر) لم تكن تنوي أن تصير مخرجة كبيرغمان بل مصورة، لكنها استفادت كثيرا من رؤيته الإبداعية التي قدمها في أعماله السينمائية..

وفي المنزل التمع وميض عدستها عشرات المرات، فالتقطت صورا لوالدها أثناء تدخينه الغليون وتنظيفه له، وأخرى لوالدتها وهي في المطبخ تنتحب على البصل الذي تقشره وتقطعه!



ثم خصت شـقيقها «الصديق الصـدوق» (نجم) بأكبر عدد ممكن مـن الصـور، وقد تضايق من ذلـك كثيرا، وأظهر ضيقـه ونفوره كلما أحـس بكاميرتهـا تراقبـه، أو لمـح التماعـة «فـلاش» مباغتـة كرادار الطرقات..

فكان يلتفت لها بملامح متسائلة، ليجدها تضحك هامسة:

- «صورة لا تفوت.. شقيقي وهو ساهم سارح في ملكوت الله!».

أو صورة أخرى له وهو في مرسـمه بالكراج، إذ يعكف على لطخ الأقمشـة بريشته مشـكلا «بورتريه» لها، ما يرسمه مبهر لكنه لا يدعم النفـس معنويـا، دائما يسـتخدم أعتم الألـوان لإظهار الحيـاة بصور سوداوية أكثر!

لحسـن الحـظ أن (قمر) كانت متواجدة إلى جـواره، وإلا لتحول إلى فنان سوداوي بالكامل، فضحكة منها أو ابتسامة كفيلة ببث بعض الروح بداخله، ومزيدا من الألوان الزاهية لرسوماته..

وقد كانت تلك هي المشكلة!



الفنـــان

انتهت آخر محاضرات اليوم..

شيء متعلق بالفلسفية، التي تتناول من خلالها العدسة محاورها المتعددة، وذلك بطرح أفكار مدعَّمة بالرمزيات والإيحاءات والإسقاطات المتباينة.. الخ

وكان (نجم) يدون ملاحظاته.. ليس بشأن الرمزيات وإيحاءاتها، وإنما بتلك المتعلقة بزملاء وزميلات شقيقته الذين درسوا معها وعرفوها عن قرب!

ابتدأ العمل الجاد عقب أسبوع من الانتظام في المحاضرات، إذ عَرَّفَ عن نفسه ليكتسب مودة سريعة بين أقران شقيقته الراحلة، لا يوجد بينهم سوى عدد محدود من الوجوه الجديدة لسوء الحظ، أي أن البقية – وعددهم 33 طالبا وطالبة– قد يكونوا وقد لا يكونوا قد عرفوا شقيقته حق المعرفة..

كان يتخبط حرفيا، خواطره وهواجسه متشبثة بيأس بمسألة إيجاد المسئول الحقيقي عن جريمة إزهاق روح (قمر) الغالية، وقد أقسم

أنـه سـيجده مهما كان الثمن باهظا.. القسـم سـهل هـذه الأيام، لكن تنفيذه دون الحنث به عقدة حقيقية..

شـعر أنه يلـج دهليزا مخيفا كلما خطت قدمـاه أرضية الكلية التي لا يفقـه عنها شـيئا.. لـم يحـاول والده مناقشـته، ولـم تحـاول والدته معارضته كديدنها، لم يسألاه حتى عن الكلية التي اختارها بل اضطر لإخبارهمـا، ولعـل الاضطراريـة كانت شـكلا باردا سـمجا بالفعل، فقـد تحول والـده إلى كائن صامـت غريب عن المنزل، شـارد دائما في شاشـة التلفاز والغليون متدل من فمه، وكل البرامج التي يطالعها بالنسـبة إليه سـواء، بذات النظرات الخاوية يطالـع برامج محاورات سياسية وبرامج طبخ وأفلام رسوم متحركة!

أما والدته فقد اعتكفت في المطبخ..

أحيانـا تجلس بالسـاعات كي تزيـن طبق مقبـلات، وعندما تفرغ تعود لقدر اللحم المطهـو على النار، ثم لفرن الكعكة التي تخبزها.. وفي النهاية، تجلس العائلة على مائدة عامرة بالأطايب كي يتناول كل واحد منهم لقمة فحسب، ويتكرر الطقس الغريب والكئيب يوميا!

كان (نجـم) قـد أدرك أن فقـدانْ المنـزل أميرتـه قـد بـدل الحياة السـعيدة والهانئة للأسرة إلى الأبد، ولا شيء بعد الآن سيعيد الأمور إلى نصابها..

■ ■ ■



واصل (نجم) تظليل صورة البستاني المسن الذي رسمه..

ما إن لمحه وهو يسقي الزرع رافعا عقيرته بأبيات من الشعر حتى رمى سيجارته جانبا وأخرج كراسته، وطفق يخط بتسارع ذي إيقاع خطوطا متلاحقة مشكلا وجها وبدنا يمثلانه..

حين يرسم يفقد ذاكرته تدريجيا، ينسى تماما من يكون ولِمَ هو موجود، فلا يفكر أو يشاهد سوى الموضوع الذي يرسمه.. قد تكون رأفة عقله به نتيجة ضغوط التفكير، لذا يمنحه أحيانا بعض الأريحية كي يمارس شيئا يحبه من الأعماق..

شقيقته كانت ترسمه بعدستها، وهو كان يرسمها بريشته..

ولم تسنح له الفرصة بتاتا للاعتراف لها بأنها كانت أجمل موضوع رسمه على الإطلاق..



مدام «ريكامييه»

لم يُبدِ تحمسا للزميلات الناعمات المتحمسات اللواتي ولجن الكلية معلنات عن نضارتهن باكرا، مستمتعات بذاك الكم الهائل من التحديق وعدم التركيز على المهام الأساسية من مواظبة ودراسة ومشاريع دراسية مشتركة..الخ

تنهض الطالبة من على مقعدها مفعمة بالثقة.. بقدٍ ممشوق وصدر كاعب وتصفيفة شعر مموجة تقوم بعرض وتقديم الأفكار التي جمعتها في مرحلة التأهب والتحضير، متوخية قدر الإمكان الحرص على تفادي الأخطاء، والأهم من ذلك الاستحواذ على انتباه الجميع!

أمور لعينة لن تفيد تحقيقاته!

(نجم) وجد أن ما يعرفه لغاية الآن من معلومات غير كافٍ وغير مثالي بالمرة، فماذا سيحدث الآن؟

كان يستمع للزملاء والزميلات على حد السواء، يدرس أساليب مناقشاتهم بينه وبين ذاته لهدف وحيد، وهو البحث عن المشتبه بهم!

وهم يتحمسون لمن يستمع إليهم، وعدم الاستماع إلى دررهم الساذجة معناه استعدادهم الشرس لإمطارك بوابل من أعيرة الاتهامات والانتقادات، لذا من الأمثل الظفر باحترامهم - وإن كان ظاهريا - كي يظفر بالمعلومات التي يبتغيها!

كان (نجم) قد تجرد - غير آسف - من عواطفه ومشاعره للتركيز على أهدافه، عمل جاهدا لمتابعة تنفيذ مخططاته البدائية وتذليل ما يعترضها من عقبات، ورفض الاعتراف ببعض عيوبه الشخصية التي تمثلت له، فهو أحيانا يغلظ في القول أثناء «استجواب» أحدهم، وأحيانا أخرى يرتفع صوته أثناء السؤال وبحدة تزعج الآخرين وتجعلهم يستنكرون!

كان يناقض أحيانا ما يفكر به ويخطط له.. وهنا تكمن المشكلة!

■ ■ ■

المسألة تبدت لنجم بسيطة - لدرجة الغثيان - مع الزملاء والزميلات، فهذا متحذلق وتلك سطحية..

ولكن مع (رزان) تبدت المسألة متعسرة قليلا!

لم يتمكن من مواجهتها بعد، لكنه بدأ تحضيرات هو نفسه استغرب منها بشدة، كما لو كان يستعد لمواجهة عميد الكلية، أراد خوض تجربة محادثة (رزان) بصورة إيجابية بالكامل، بل وتدرب على ذلك بالممارسة المستمرة أمام المرآة.. كان يصطنع حوارا عصبيا محقرًا



للآراء ومستخفا بالمواقف، ثم يبادر رويدا إلى التهدئة، حتى يجد الأسلوب الأكثر سلاسة في خوض المناقشة الايجابية والمواجهة المحسوبة!

حين وقع بصره عليها للمرة الأولى حسب أنه يشاهد حلما، وتذكر تلك اللوحة التي أرته (قمر) صورتها في «كتالوج» فني كانت تقص منه في «الألبوم» الذي يحتفظ به الآن من ذكراها.. ماذا كان اسمها يا إلهي؟

«مدام ريكامييه»! التي رسمها الفنان الفرنسي (جاك لويس دافيد) مضفيا على ملامحها الرصانة والذكاء، كما لو كان يرسم شخصيتها أولا قبل جمالها!

حكت له (قمر) ذات ليلة عن الأنثى حين تصير مصدر إلهام للفنانين في عصرها من رسامين وأدباء وشعراء، وحتى سياسيين..

كانا يجلسان متجاورين على أرجوحة منزلية في «الفرندة» كما اعتادا منذ الصغر، (قمر) كانت دوما تري شقيقها صور لوحات لفنانين من عصر النهضة، وصورا التقطتها بعدستها لمناظر معينة ووجوه منتقاة كي تسمع رأيه، فهو يمتلك نظرة ثاقبة وحدس فني لطالما وثقت فيهما كثيرا..

كانت تلك المرة الأولى التي تحدثه فيها عن لوحة «مدام ريكامييه»، مؤكدة أنها اختارتها كلوحتها المفضلة، بعض الأشخاص من أصحاب الذائقة يختارون أحيانا لوحات مفضلة مثلما يختارون

أفلاما أو أغان مفضلة، (نجم) كان يفضل لوحات الاسباني (فرانسيسكو دى جويا) المرعبة، وعلى وجه الخصوص لوحته الأشنع «الإله كرونوس يلتهم ولده»!

سألته عن اللوحة الشنيعة والمعلقة في غرفته، والتي تمثل غولا عملاقا قبيحا يلتهم شخصا، فأجابها بفخر كأنه راسمها:

- «تقول الأسطورة أن أقدم آلهة الإغريق (كرونوس) اهتاج لنبوءة تزعم أن أحد أبنائه سيقوم بقتله، لذا، كان كلما وضعت زوجته (ريا) ابنا يبادر بالتهامه!

ثم شاخ (كرونوس) وضعف بصره، فصارت (ريا) تلقمه الأحجار على أنها أولاده الذين أنجبتهم، وقد أخفت عنه أمر إنجابها للعديد من الأولاد، من بينهم (زيوس) إله الأوليمب وزوج (هيرا)، إذ هربته والدته وربته مع حوريات جبلية داخل كهف، وحين كبر وبات متأهبا للانتقام، قدم لوالده الخردل الذي جعله يقيء جميع أبنائه الذين ابتلعهم من قبل! وبعون من إخوته حارب والده وانتصر عليه..»..

أخبرته أنه مخبول كونه يُعلق تلك اللوحة المرعبة بدلا من بوستر لمطرب أو مطربة أو حتى شخصية كوميكس، فواصل الحديث باسما مطلعا إياها بأن كرونوس هو النسخة البدائية للشيطان، لذا تسمى اللوحة كذلك: «الشيطان ينهش ابنَه»!

- «وهل يجدر بكلامك هذا أن يسعدني؟ قد بتُّ أكره سماع سيرة (جويا) حتى، كيف رسم مثل هذا الموضوع الشنيع؟!»..

- «أنتِ إنسانة ذات ذائقة فنية فكفي عن السخف الأنثوي الهستيري! تأملي الألم البادي على وجه (كرونوس) وهو يلتهم ابنه الذي يظهر في اللوحة كبشري بكل وحشية، لكن سحنته مفعمة بالتعاسة والألم! يُقال أن (جويا) رسم هذه اللوحة في أواخر حياته، لما اعتكف مبتعدا عن الناس بسبب ضعف السمع..»..

- «إذن فهي رسمة لعجوز وحيد ونكد بنهاية المطاف!»..

صحيح أنه سخر من آرائها بشأن لوحته، لكنه هام على الفور بتلك اللوحة التي أرته شقيقته صورتها في ألبومها الخاص.. تلك السيدة الرصينة التي تبدو بشعرها وردائها الأبيض كربة إغريقية مثل «فينوس» أو «أفروديت»، وقد تمددت حافية على أريكة فاخرة، مسددة بنظرة قريبة من «الجيوكندا» لرسامها، ولاحقا لمشاهدها!

بذراعها اليسرى اتكأت على مخدة، وأراحت اليمنى بنصف امتدادة تاركة أناملها على شكل نصف قبضة لفوق، لكنها متراخية.. رشيقة القد كالحوريات، شاحبة شحوب الرقيقات، وحتى الأريكة التي جلست عليها تبدو كقارب خارج من الأساطير..

حدثته (قمر) حديثا شائقا ومطولا عن مدام (ريكامييه)، اسمها الحقيقي كان (برنار)، وقد سخر (نجم) قليلا من الاسم كونه ذكره بالكلب اللطيف من سلالة «سان برنار»، فلكمته مداعبة في كتفه!

قالت له بنظرة شاردة مُحبة:

- «على الرغم من فتنتها، طمح والدها الطبيب لتزويجها من شخص ينتمي للطبقة المتوسطة، لكن سرعان ما ساق القدر إلى دربها الارستقراطي البارز (جاك ريكامييه)، فتزوجا رغم فارق السن الكبير بينهما، فـ(ريكامييه) كان أكبر حتى من والدها!»..

- «وكيف وافقت؟»..

- «كان (ريكامييه) من أساطين المال المرموقين في باريس!»..

- «إذن فهي في النهاية مجرد فتاة مادية جشعة!»..

- «ولربما رضخت لرغبة والدها فحسب!»..

- «ألم تقولي أنه أرادها لواحد من ذوي الطبقة المتوسطة؟»..

- «كف عن التذاكي! المهم أن زواجهما تم وهي لم تزل صبية في الخامسة عشرة من عمرها، وصارت تحمل اسمها التاريخي «مدام ريكامييه» الذي خلده (دافيد) في لوحته، والدليل على توقد ذكائها وتطلعاتها الطموحة هو حبها للاطلاع وتعلمها عددا من اللغات، كانت ترغب باكتساب الثقافة، لذا لم تستغل ثراء زوجها في هراء النساء المعتاد من زينة وثياب، بل أقامت صالونها الخاص الذي اشتهر فيما بعد بضمه عددًا من خيرة رجال الأدب والسياسة والفن!»..

لذا، حين وقع بصر (نجم) على تلك الفتاة صهباء الشعر، رائعة الحسن، رشيقة القوام، ذات بشرة جامعة ما بين اللطف والطراوة،

مرتدية ثوبا ورديا أنيقا شبيها بالأردان الذي كانت الأعراب ترتديه لدس الدنانير كون أكمامه متسعة فضفاضة..

- «و(ريكامييه) كان على بينة بأن زوجه الفاتنة الآسرة مطمع للمجتمع الراقي الذي يتربص بها ليل نهار، لكنه كان يتباهى بذلك، يتباهى باقتنائها كما لو كانت تحفة نادرة أو حلية ثمينة ما!

كان يراقبها بزهو وخيلاء وهي تتنقل بين الساسة والفنانين والأدباء كالفراشة، إذا توقفت لتحادث شاعرا يقرر لتوه نظم أبيات تتغزل بمفاتنها، وإذا كان أديبا هرع لكتابة عمل يسرد حكايتها عبر رؤيته الخاصة، كانت كمن تنير الحياة أو الدروب كالنجم..

لقد ألهمت الأديب السياسي (شاتوبريان) أعظم أعماله الأدبية!

لكن العبث يظل عبثا، والمرأة ذات الجمال الأخاذ يستحيل مقاومة سحر أنوثتها، تألق مدام «ريكامييه» جعلها تظفر حتى بالنفوذ السياسي المقلق، لقد أقلق (نابليون بونابرت) شخصيا! فأمر بنفيها من فرنسا بحجة طموحها الذي دفعها لتزعم أنصار الملكية المناهضين لسياسته، وخسر زوجها ثروته من جراء ذلك، وبالتالي انفض الجميع من حولها، والوحيد الذي ظل مخلصا لها حتى النهاية كان (شاتوبريان)، إلى أن توفي قبلها بحوالي عام!»..

كان يعلم أنه سيحدثها، فهي من أولوياته، خصوصا وأنه توجد صورة منفردة لها في ألبوم شقيقته، ويبدو وأن «المرحومة» قد ظفرت بذات الانطباع الذي ظفر به عن (رزان)، انطباع أن تلك الفتاة الفاتنة الصهباء هي تجسيد مبهر للوحة «مدام ريكامييه» التي أحبتها بعمق!



الموهوب

تاريخ (ودود) غير مُستساغ بتاتا، كونه اختار مجالا انحرف به بعيدا عن مسار العائلة..

ففي الوقت الذي فكرت فيه (رزان) بترك كلية الفنون الجميلة والالتحاق بكلية الاقتصاد كي لا تلوكها الحياة المريرة، يقرر (ودود) الاستمرار وبكل أريحية وطمأنينة..

والحقيقة أن لديه أسبابا قوية ومقنعة للغاية، فهو شخص نافذ وإن كان لا يُظهر نفوذه بتاتا، ولا حتى بتبجح أولاد الأثرياء الذين ولدوا بأفواه مطبقة على ملاعق من ذهب.. والدته نموذج لسيدة الأعمال التي شقت طريقها بثقة حاصدة النجاح والتفوق بلا قيود، خاصة وأنها قد صنعت ذلك كله في مجتمع غربي، فهي تحمل الجنسية السويدية..

حاليا، هي عضوة هامة في غرفة تجارة وصناعة سيدات الأعمال اللواتي يشار لهن بالبنان، بالإضافة إلى أنشطة أخرى كثيرة، منها التجاري كإدارة بعض مكاتب السياحة و"البيناليات» الفنية، فهي

متذوقة للفنون الراقية، ويبدو وأنها من مشجعات ولدها على مطاردة حلمه المتمثل في الفن..

ومنها ذات الطابع الاجتماعي كجمعيات حماية الطفل، والحد من العنف ضد الزوجات..

وبالطبع تنتظر الفتى - عقب تخرجه- دراسة مطولة وشاقة - لكنها شائقة وممتعة- في باريس، لذا فالمستقبل أمام (ودود) مرصع باللآلىء، على عكس زملائه الحمقى البؤساء الذين وحده الله أعلم بمصائرهم عقب التخرج!

لم يأتِ (ودود) من أجل حكاية رومانسية كما في تصور بعضهن.. بسرعة أظهر قدرات متعددة وأنشطة لا حصر لها، ففي غضون أسابيع قليلة ترأس نادي الشطرنج، وبات مظهره وهو يلاعب خصومه على أربع أو خمس رقع في حديقة الكلية أمرا مألوفا، والأكثر ألفة هي الهزيمة الدائمة لمن يجسر على ملاعبته!

تجده في السباحة كالحيوان البرمائي، سريع رشيق، ولطالما تربصت أبصار أقرانه بذلك الوشم الذي دقه على ذراعه اليمنى بأكملها، ويبدو كمخالب لحيوان مفترس!

كان لطيفا في أعين كثيرين، مخيفا في رأي قلة، يبدو اجتماعيا وبذات الوقت انطوائيا، تضارب عجيب ومثير للتساؤل، لكن عدد الأذكياء الذين يطرحون التساؤلات المناسبة كان ضئيلا للغاية..



في الواقع كان العدد مقصورا على (نجم) وحده! من الطبيعي أن يولي جل اهتمامه للفتى الثري الوسيم والناجح، فهو يلائم المعايير التي رسمها ذهنه للمشتبه به المثالي..

والأهم من هذا كله أن ألبوم شقيقته كان يحوي صورة لها وهي واقفة تبتسم.. مع (ودود) الباسم بدوره!

■ ■ ■

كانت كلية الفنون الجميلة محظوظة لضمها بين صفوفها طالبان متفوقان بصورة خارقة..

الأول هو (ودود)، وقد حصل على نسبة 99 ٪ في امتحانات الثانوية العامة العلمية، ولدى التحاقه وبدء مهامه الدراسية، كشف للجميع أن تفوقه المبهر ذاك لم يكن محض صدفة على الإطلاق.. بالتأكيد كانت هنالك شكوك تساور الجميع بخصوص تحصيله تلك النسبة المذهلة، خصوصا وأنه ابن سيدة أعمال مرموقة، لكن ذلك كله تلاشى بمجرد إثباته لجدارته وتفوقه وحنكته في الدراسة والأنشطة..

أما الآخر، فالمعلومات عنه تكاد تكون شبه معدومة، لكنه حصل على نسبة 100 ٪ الخرافية في امتحانات الثانوية الأدبية!



الغوث من (غيث)

لم يظهر أن شخصا كطالب النحت (غيث) مثالي كرفيق..

ليس السبب كونه يشرب سبعة أقداح قهوة يوميا متجاهلا خطر الإصابة بالأزمات القلبية، إلى جانب استهتاره بمخاطر تصلب الشرايين، كون السيجارة مشتعلة بين سبابته ووسطاه طيلة الوقت مع القهوة!

كان رفيقا حسب الملزمة العلمية داعية الآخرين للحديث، فلا يقوم نقاش أو حوار بشخص واحد، إذ لابد لكل زميلين - أو أكثر - في الكلية من التحدث وتبادل المعلومات ووجهات النظر، ولربما اعترافات الحب إذا ما كانا من جنسين مختلفين!

ولم يجد (غيث) غضاضة أو حرجا للمبادرة بالحديث مع أي طالب أو طالبة، لربما من خلال طرح فكرة أو اقتراح، أو حتى الدعوة إلى تحديد موعد للقاء أو اجتماع - وهو ما حدث لاحقا مع شلة «راس الغول»!-، فوجهة نظر (غيث) أن لتبادل الآراء وكثرة اللقاءات فوائد جمة لكل الأطراف المشاركة!



كان من نوعية الطلبة الذين يشعرون سريعا بالإثارة والفضول وحتى التشكك.. وفي ذلك اليوم الذي أنصت فيه لحكاية (نجم) قال له:

- «اسمع، لدي اقتراح مفيد، بإمكاننا مناقشته، وأنا واثق أنه سيساعدك في مهمتك كثيرا!»..

وكان شك (نجم) برفيقه الجديد والمتحمس ذاك كبيرا ومنهكا لعقله، ما قدم لأجله زرع في رأسه عددا لا حصر له من الأفكار السوداء، تتعلق بالشك تجاه كل من يحاول تقديم يد العون بقصد النوايا الحسنة.. فكيف يقبل عونا من أحدهم والكل مشتبه به في نظره؟

ومثلما يقول المثل الغربي: «هنالك أشخاص يرغبون في مساعدتك بوضع سلتك على رأسك لأنهم يرغبون بمعرفة ما بداخل السلة!»..

قد تكون حماسة مد يد العون تلك إشارة ضمنية للانقضاض عليه بهجوم مراوغ لتبين ما يخطط له بالضبط!

لكنه - ومع مرور بعض الوقت- لم يملك إلا أن يشعر بالتقدير والامتنان لذلك الزميل والرفيق الذي عرض المساعدة، فقد أثار حالة مؤقتة من الشك الايجابي، ذاك الشك الدافع للتساؤل عن مدى صحة وقيمة ما أنجزه للآن في إطار تحقيقاته المبهمة!

قال له بعينين شاردتين داكنتين:

- «وأنا مستعد لسماع كل ما ستقترحه علي!»..

■ ■ ■

في الحقيقة، تبدو حكاية (غيث) مثيرة للاهتمام نوعا..

لـم ولن يسـرد حياتـه بالتفصيل، سيكشـف لمحات عنهـا لنجم، وذلـك بقصـد التقرب ومد يد العـون، فقد كان معجبا خفيا بشـقيقته (قمر)، لكنه لم - ولن - يفصح عن ذلك أبدا..

عاش (غيث) فتى بائسـا وحيدا، حيث كانت لديه مشـكلة حقيقية مع أعصابه، إذ كان من النوع الذي يفقدها بسهولة تامة لأتفه مشكلة، وقـد كاد يُطـرد من الكلية إثر شـجاره مع العميد بسـبب مشـكلة في مواعيد حضوره، فقد غاب بضع مرات بلا سبب أو حجة..

كان يقضـي نهارا منهكا فـي الكلية كي يبدأ ورديـة ليلية متعبة في المطعـم، حيث يعمل نادلا، لكنه لم يكف عـن الحلم، وحلمه تمثل في أن يصير نحاتا بعظمة النحات المصري الشـهير (مختار)، قبل أن ينقلب حلمه إلى «تحويشـة» تمكنه من طلب يد زميلته الفاتنة (قمر) يوما!

بالطبـع وحدته سـهلت عليه اختيار قرار النحـت، تخيل أن تكون مـن طبقـة مطحونـة أو حتى متوسـطة الحال، وتقول لأسـرتك حين يسألونك عن المستقبل أنك ترغب بأن تصير «نحاتا»!

تأثر (غيث) بشـدة بتجربة فريدة للنحاتة الشهيرة (منى السَعودى) وبشـدة، تلك الفنانة الأردنية التي ارتحلت إلى باريس كي تدرس فن النحت، وعاشت كذلك في بيروت سنوات حرب لبنان القاسية، كما ولجـت تجربة الحصار عـام 1982 قبل عودتها إلى العاصمة عَمان، وانطلاقتهـا الفنيـة في نحـت التماثيل مـن الحجارة التـي فتحت لها مغاليقها فكشفت لها عن أسرارها الدفينة!

قـد يكـون الحلـم «الآخـر» ضربـا من ضـروب الأحـلام كذلك نظـرا لموقفـه الاجتماعي المتعسـر، لكنـه لم يفكر بذلـك، وواظب لتحقيـق ذلك الحلم الوردي، ودافعه الأقوى في السـعي وراء حلمه كان وجههـا الـذي قطن مخيلته وأحلامه دائمـا، لدرجة نحته بصورة سرية فوق سطح البناية التي يقطن إحدى غرفها، كون ضوضاء الدق ستدفع سكان البناية لرفع شكوى ضده حتما..

لطالما كانت (قمر) حلمه الأهم..

لكن حادثا وقع سابقا كاد يدمر حلمه، بل مستقبله برمته..

فقد دخل (غيث) في مشادة كلامية مع أحد زملائه في الكلية أثناء الورشة، فقام بضربه بازميل النحت!

وكادت القضية أن تودي به للسـجن، فالضربة كانت خطيرة على مسـتوى العنق، وقد اعترف (غيث) بالتهمـة لأنه كان من النوع الذي ينهار بسرعة إذا ما أدرك خطأه..



باتـت القضيـة قاب قوسـين أو أدنى مـن قضبان السـجن، حريته المؤقتـة بكفالة مكلفة – تطوع الزملاء في الكلية بنية صادقة لجمعها ودفعهـا– تكاد تفرغ، ووجـد (غيث) عالمه البائس سـلفا يكاد ينهار تماما..

لـم يدر كيف سـاقته خطواته للغرفة رقم (12) في سـكن الطلبة، لكنـه سـار في الممر المؤدي لها مسـترجعا عشـرات العبـارات التي سمعها من الطلبة القاطنين:

- «شـلة (راس الغول) ليسـت كأي شلة تحاول الإفساد أو فرض السيطرة!».

- «إنهم أقـرب لنظام أمني محكم! لكنهم كذلك يحاولون فرض سيطرتهم!».

- «ليـس كالبقيـة الرعنـاء.. الليلة الماضيـة أنهوا النزاع بين شـلة الغرفة (14) والغرفة (15)!»..

- «الأسبوع الماضي كشفوا لص ماكينة الحلوى وأدبوه!»..

- «هم أقرب للصعاليك، لكنهم طيبون!»..

- «لا يردون أحدا خائبا بتاتا!»..

هكذا توقف (غيث) أمام الباب الذي حمل رقم (12) مترددا..

ثم اكتشـف أنه لا يملك فعلا ما يخسره، فطرق الباب بضع مرات قبل أن يؤذن له بالدخول..

شلة راس الغول



الغرفة رقم (12)

فتح الباب.. بالأحرى حُرر رتاج القفل ليصير بذلك قابلا للفتح!

وولج (غيث) المتلهف يتبعه (نجم) المتشكك حاملا ملفا جامعيا أسفل إبطه، كما لو كان يراجع دائرة حكومية ما واسطته إليها هو (غيث)!

أول ما لفت انتباه (نجم) ضيق مساحة الغرفة، ولحسن الحظ أن النافذة مفتوحة كي تطرد سحب الدخان الشبيهة بضباب لندن، ثمة مدخنون هنا، وهو يكره تلك العادة الذميمة..

ثمة كذلك سرير واحد وفراشين أرضيين، أي أن واحدا فقط يمتلك امتياز النوم على السرير.. إذن، لابد وأن يكون قائد الشلة المزعومة!

وحتما هو ذلك الفتى المضطجع عليه الآن، ويرمقه بتلك النظرات التي لن ينساها طيلة حياته!

بشكل سريع رمى الجالس أمام الشاشة بنظرة متفحصة، كان فتى بدينا بصورة لا تصدق، يبدو كمصارعي «السومو»، له لحية



خفيفة وشعر أخف، وقد ارتدى قميصا فضفاضا مشجرا كتب عليه بالانجليزية من الخلف:

A friend should be a master at guessing and keeping still. you must not want to see everything!

وقد كان منهمكا، منهمكا في ضغط محموم لأزرار يد التحكم المنفصلة كما هو شائع لمن يمتلكون أجهزة ال"بلاي ستيشن 3»! لعبة دموية مروعة لأشخاص مدججين بالسلاح يقتحمون مطارا ما، ويطلقون النار على كل كائن حي يتحرك ولو كان هرة!

كان مندمجا لحد السعار وهو يلعق شفتيه متلمظا طيلة الوقت..

في حين جلس على الفراش الأرضي فتى مديد القامة مجعد الشعر مشمر العضلات عبر «فانلة» داخلية بيضاء ذات زركشة خفيفة، لكنه حمل وجه طفل.. وقد سد أذنيه بسماعتي «ووكمان»، وشرع يدندن بأسارير منفرجة ملوحا بأصابع مطبقة على عقب سيجارة:

- «ولعت كتير.. خلصت الكب.. ريته!

لا انتة الزير.. ولاني نفر.. تيته!»..

كان هذا أكثر من كافٍ بالنسبة لنجم، فقرر التركيز على ذاك المضطجع بأريحية على السرير، ومن ثم اصطناع أي حجة كي يخرج من هذا الجو الموبوء!



لام نفسـه ألـف مرة وهو ينصـت لغيث الذي ابتـدأ ثرثرة متهدجة عجيبـة، كمـا لو كان يقـدم نذور الـولاء والطاعـة لزعيم مـن زعماء المافيا، فلم يتبق سوى أن يقبل يده كذلك!

لكـن (نجـم) ألغـى مع مـرور الوقـت انطباعه الأولي عن شـكل الفتى، وابتدأ يرسم له صورة ذهنية بعناية فائقة..

يجلس قائد شـلة «راس الغـول» بكامل ثيابه وبحذاءيه الرياضيين ماركة NIKE على السرير، وقد ارتدى سترة مطر كحلية أرخى غطاءها على رأسـه.. سـرواله «جينز» من النوع الممزق عنـد الركبتين، تماما كمطربـي «الهيب هوب» الذين يـؤدون أغنياتهم المسـعورة بهيجان ووعيد على الشاشة!

وجهـه ضامر وأنفه مدبب قليلا، لديه لحية سـوداء مشـذبة لتصير بذلك خفيفة، وفمه يلوك طيلة الوقت نكاشة خشبية!

كان يحافظ على «برستيج» قائد العصابة ومطرب «الهيب هوب» بحذاقة، لكنه كذلك لم يبدُ سيئا إلى ذلك الحد..

ولـم تكـف أناملـ يـده اليمنـى عن غـزل وتنطـيط وضغـط طابة تنس صفراء لتسـجية الوقـت، أحيانا يقلد (سـتيف ماكوين) في فيلم «الهـروب الكبير»، عندما يقذف بالطابة للجدار كي ترتد ملتقطا إياها ببراعة..

ويبـدو وأنه قد ضجـر أخيرا من ثرثـرة (غيث) العقيمـة، إذ قذف بالطابـة على الفتى الضخم المندمج بالأغنية، فأزالت الضربة سـلك السماعات عن أذنيه بغتة..

وانتفض الفتى المديد وهو يهتف محتجا:

- «لِمَ فعلت ذلك؟».

- «(بنكي).. أخبرتك مائة مرة ألا تنصت لهراء (زياد الرحباني)!».

- «هذه ليسـت نسخة (زياد) يا زعيم، بل نسـخة (الفوركاتس).. الريميكس!»..

- «ولو يا أحمق ولو!»..

زعيم؟ الموضوع بات طريفا الآن، خصوصا وأن الأحمق عريض المنكبين مفتول العضلات يدعى (بنكي)!

ماذا عن الآخر؟ ذاك الذي يبدو كدب قطبي في..

- «قل للأحمق الآخر أن يكف عن اللهو كي ننصت!»..

والأحمـق الآخر كان يضغط أزرار يد التحكم بهيجان، وقد مضغ بفمه الشـبيه بأفراس النهر عودا أبيض اللون تنبه له (نجم) الآن فقط، وسـرعان ما اتضح كنه ذلك العود عندمـا أخرجه من فمه كي يتمكن من الصراخ بعصبية:

- «مت!! مت!! مت!!».

كانت حلوى مصاصة! وقد تمكن (نجم) من تمييز لسان الفتى المحمر، فخمن نكهة مصاصته تلك!

لكزه (بنكي) بخشونة قائلا:

- «كفى يا (لمعي)، الزعيم أمرنا بالتوقف.. لدينا ضيوف لو لاحظت!»..

أعاد (لمعي) المصاصة إلى فمه وقد هدأ بعض الشيء، وإن ظل يرمق الشاشة بغل معاودا ضغط الأزرار بعصبية أقل!

إذن.. زعيم و(بنكي) و(لمعي).. وكأنهم في السجن!

شيء طريف فعلا!

■ ■ ■

- «بالِدِ؟».

قالها (لمعي) بأحرف مضعضعة من جراء المصاصة في فمه، مقرنا القول باستخراج زجاجات «ماونتن ديو» من الثلاجة الصغيرة، فتقبل (غيث) الدعوة شاكرا، في حين رفضها (نجم) بتهذيب..

كان الأخير يغلي من الداخل.. تضاربت مشاعره بهيجان إزاء ما يزمع القيام به، أو بالأحرى قوله.. قطبان متصارعان بداخله، واحد يأمره أمرا بألا يشاطر أسراره مع شلة الصعاليك هذه.. ذكرياته الثمينة مع (قمر) العزيزة!

كان يشعر أنه سيتلوث حتما لو ذكر مجرد اسمها، وسيلوث ذكراها بمجرد إدخاله لهذا الصعلوك المتشح بالأمر مع رفيقيه الأبلهين!

ثم يتدخل الطرف الهـادئ محاولا أن يُبدي تعقلا.. لقد جاهدتَ وجاهـدت، بحثـتَ وبحثـت، ولم تجن سـوى الفشـل، تتظاهر أنك متحـر بارع، تسـأل مجرد أسـئلة سـاذجة، وتحصل إجابـات تصلح لمقالة تسجيلية عن حياة (قمر)، وكيف كانت آراء زملائها وأساتذتها فيها لا أكثر!

- «بارد؟!».

كررها (لمعي) وهو جالس قبالته على كرسـي بدواليب مخصص للمعاقين، يعلم الله وحده لما هو موجود في الغرفة!

كان حديثـه واضحا هذه المرة كونه أمسـك زجاجة «ماونتن ديو» بيـد، بينما الأخرى ممسـكة مؤقتا بمصاصة الفراولـة، ويبدو وأنه لم يتنبه لرفض (نجم) الأولي، فاضطر الأخير لتكراره مظهرا ضيقه هذه المرة بهمهمة غير مسموعة..

دس (لمعـي) المصاصـة فـي فمـه، ودفـع بعجـلات الكرسـي المدولـب للأمام حتى ارتطم ببنكي الذي أطلق شـتيمة، بينما الأول يضحك محاولا النهوض بصعوبة، فوزنه لا يكاد يساعده!

شـعر (نجم) أن ضيقه يكاد يفجر ثناياه.. وندم أشـد الندم مجددا علـى سـماعه نصح (غيث).. لِمَ ورط نفسـه مع أولئـك الصعاليك؟



إنهم حقا أقرب لمهرجين داخل سيرك، صحيح أنه قد سمع عنهم قصصا غريبة غالبيتها تشيد بهم، لكن منظر (لمعي) وهو يلهو كالصغار مع (بنكي) أشعره أنها مجرد شائعات طفولية لا أكثر..

- «هما غبيان أحيانا، لكنهما يتحولان إلى ماكينتين وقت الجد!».

نظر (نجم) بقلق للصعلوك الثالث المتشح، فوجده يعتدل فوق الفراش..

ولما فعل هدأت المعمعة قليلا، والتقطت أذن (نجم) - بدهشة- صوت (لمعي) وهو يتمتم بعقيرة ملحنة:

- «قد.. حان.. وقت.. العمل!».



الجريمة

قال (نجـم) عقب برهة تردد محاولا ألا يطالـع الأبصار المتعلقة به:

- «(قمـر).. كانـت شـقيقتي التـوأم، فتـاة متزنة وعاقلـة وصانعة قـرارات، في السـنة الأولـى مـن المرحلـة الثانوية سـردت لي قصة مضحكـة ومزعجـة عـن صديقتهـا (وهـج)، فتـاة مسـتهترة حاولت أن تعرفهـا علـى صديقهـا الشـاب الـذي يقلهـا كل يوم عقـب انتهاء المدرسـة، لكنها رفضت، وهددت بقطـع العلاقة بينهما حرصا على مصلحتهـا ومصلحة الفتاة على حد السـواء.. لكـن (وهج) اختارت صديقها!»..

- «هذا حديث شائق!»..

قالها (الزيبق) وقد تبدى ضجر شديد في ملامحه..

اغتاظ (نجم) لذلك طبعا، ونظر إلى (غيث) الذي ناشده بنظرة أن يكمل عرض المشكلة!

- «ثـم حاولت (وهـج) إقناع (قمـر) أن العلاقة بينهـا وبين ذلك الشـاب عبـارة عن حكايـة حب مليئـة بالطموحات والأحـلام، وقد

مرت أشهر كثرت خلالها لقاءات (وهج) بفتاها، حاولت عدة مرات استعادة أواصر الصداقة مع (قمر) لأنها كانت تحبها بحق، لدرجة محاولتها دفعي للتدخل، لكنني احترمت قرار شقيقتي، ونصحت الفتاة بالابتعاد عنها..

أنهت شقيقتي دراستها الثانوية، وعقب تخرجها فوجئنا ب.. ب...»..

هنا قال (الزيبق) بملل والنكاشة تتراقص بين أسنانه:

- «بالفتى صديق (وهج) يتقدم لخطبة شقيقتك.. أليس كذلك؟»..

رفع (نجم) وجها حمل أسمى آيات الاستغراب، وبريبة تساءل:

- «كيف عرفت؟ هذا ما حدث بالفعل!»..

- «يا بني! قصص الفتيات التي يحسبها البعض عجيبة - وبالذات الفتيات نفسهن - هي في الأساس مكررة!»..

وضحك (بنكي) قائلا بجذل مرح:

- «دائما مكررة!»..

رمقه (الزيبق) بنظرة دفعته للتوقف والطأطأة برأسه، لدرجة أنه همس:

- «عذرًا يا زعيم!»..

أرجح (الزيبق) برأسه مردفا بشيء من برودة:

- «أنـت تسـرد هـذه الحكايـة لأن لهـا مدخـلا ينم عن شـخصية شـقيقتك، وبأن الأحـداث القادمة لا علاقة لها بخروج شـقيقتك مع فتـى مثلا، هي لم تكن مـن ذلك النوع.. «لم تكن»، أنت قلت ذلك.. واضح أن مكروها ما قد أصاب شقيقتك، اعتداء أو تحرش أو..»..

احتقن وجه (نجم) قبل أن يهتف ليوقفه عند حده:

- «بل قتلت!»..

صمت الجميع قبيل تبادلهم النظرات شبه الخاوية..

ثم نطق (الزيبق) أخيرا وببطء:

- «ولكـن ما دمت هنا فمعنى هذا أنك تبحث عن حقيقة تريح بها قلبك، أنت تحاول إيجاد قاتلها.. إن وُجد أساسا!»..

كان ذلك قاس إلى حدٍ لا يوصف..

وقـد رمـق (نجـم) ملامـح (الزيبـق) الخامـدة وهـو يرتجـف، واحمرت عيناه محاولا ألا يفقد أعصابه لسـبب بسيط، وهو أن الفتى «الصعلوك» لم يخطئ في حديثه بتاتا، كان الوغد لماحًا، لكن حديثه بدا فجا وقاسيا..

ويبـدو وأن (لمعـي) قد استشـعر ذلك، فهمس مشـفقا على حال (نجم):

- «يا زعيم.. أرجوك!»..

رمقـه (الزيبـق) بنظـرة لا معنى لهـا، ثم تنهد بضجـر وهو يتوقف أخيرا عن ملاعبة نكاشته المزعجة مقررا السكوت لبعض الوقت..



هكـذا، بات الصمت سـيد المكان، ولم ينطق أحـد بحرف طيلة دقيقة..

وفـي النهاية، تسـاءل (بنكي) وهـو ينهض قاصـدا الثلاجة ليفتح بابها بشيء من عنف:

- «أيرغب أحدكم بشرب شيء؟»..

لـم يرد أحد، فتناول زجاجتيـن، فتح إحداهما متجرعا منها بظمأ، وناول الأخرى لنجم قائلا له بنبرة مترفقة:

- «خذ..»..

تناولهـا (نجـم) شـاكرا هذه المـرة، شـاعرا أن ريقه جـاف للغاية وبحاجة لبعض الترطيب..

في حين، هز (غيث) رأسه شاعرا بارتياح قبل أن يقول:

- «شـقيقته درسـت معنا، كانت فتاة رائعة والكل أحبها.. رحمها الله!».

قال (الزيبق) هارشا شعره من أسفل غطاء الرأس:

- «أفضل أن يكمل صاحب القضية قصته..».

صمت (غيث) شـاعرا بالحرج، في حين واصل (نجم) كأن شـيئا لم يحدث:

- «حـدث ذلك عقب ليلة العاصفة الكبرى.. بعد حوالي أسـبوع تقريبا، ليلة الجمعة..

في الساعة السابعة والنصف مساءً خرجت شقيقتي إلى حفلة عيد ميلاد صديقة لها تدعى (جمانة)، كانت متأنقة وتحمل هدية قامت بنفسها بتغليفها، كما أخذت طبق «بيتي فور» منزلي معها كمشاركة بسيطة، ولم نشك بشيء إلا عندما صارت الساعة حوالي الواحدة بعد منتصف الليل..»..

هتف (لمعي) مقاطعا بغتة:

- «لحظة.. لم تشكوا بشيء إلا لدى تأخر الوقت لهذا الحد المفزع؟!»..

قال (الزيبق) وهو يضغط طرف النكاشة كما لو كان يثبتها:

- «لابد وأنها اتصلت بهم ذاكرة أنها ستتأخر!»..

وتمتم (نجم) خافضا رأسه:

- «هذا ما حدث! اتصلت في الساعة العاشرة والنصف وأخبرت والدتي أنها ستتأخر لمنتصف الليل، لكنها ستحاول العودة قبل الانتصاف، وستعيدها إحدى الصديقات بسيارتها.. ولكن لدى تأخر الوقت أكثر قامت والدتي بمهاتفة جوال شقيقتي و..»..

- «ولم ترد! طبعا هاتفت والدتك منزل المدعوة (جمانة)، فوجدت ابنتها قد غادرت بشهادة من تبقى!»..

- «فعلا! وقد عاتبتها والدتي، بل إنها تشاجرت معها بعنف! إذ كيف تسمح لها بالمغادرة في ذلك الوقت المتأخر ولوحدها؟ وأين وعد إيصالها بالسيارة لغاية باب دارها؟»..



- «إذن.. نصل لمرحلة الأسئلة، ما الذي دفع شقيقتك للمغادرة مارية عرض الحائط التوصيلة المجانية الآمنة؟»..

- «لا فكرة لدي..»..

طرقع (لمعي) بإصبعيه الإبهام والوسطى صائحا:

- «ميعاد جديد!»..

تبسم (الزيبق) بسمة لم ترق بتاتا لنجم، الذي تساءل بسحنة مكفهرة:

- «ماذا تعنيان؟!»..

- «أنت تعلم ما نفكر به، ولأجل ذلك سردت مقدمة لا بأس بها عن عدم اكتراث شقيقتك لأمور الفتية، لكن من الواضح أنها..»..

هب الفتى واقفا وقد انبعث شرر عصبي من مقلتيه، فبدا متأهبا لكيل لكمة طائشة، لولا أن قبض (الزيبق) على رسغه هامسا بصرامة:

- «تريث.. من الواضح أنها كانت تخفي سرًا!»..

ظل (نجم) يلهث غاضبا، لكنه تمكن من خلال غضبه أن يتنفس بهدوء، وهو يتساءل بحدته تلك:

- «سرًا متعلقا بصديق؟»..

- «صديق مقرب للغاية، حكاية حب كادت أن تعلن عن نفسها لولا..»..

لم يرد (نجم)، لكن (الزيبق) لم يستحثه للنطق، بل ربت على يده داعيا إياه بإشارة صامتة للكف عن عصبيته، والاستطراد..

فاستطرد (نجم) مكملا الحكاية وهو واقف:

- «بقينا مذعورين، وخرجتُ للبحث عنها مستخدما دراجتي الهوائية، لم أعد للمنزل إلا عقب ساعة، وكلي أمل أن أجدها هناك، في منزلنا! تتلقى التوبيخ الملائم لتصرفها عديم المسؤولية..»..

ودمعت عيناه أخيرا ونبرة صوته تنخفض تدريجيا:

- «استمر عذابنا لليوم التالي، وللذي يليه، شقيقتي رسميا مفقودة، والشرطة باشرت بحثها، وقد تطوع عدد من المعارف والأصدقاء للبحث، وبدأت والدتي تفقد عقلها تدريجيا، ثم لحق بها والدي..

وفي النهاية.. أتانا الاتصال من الشرطة الساعة السادسة مساء وعقب مرور أربعة أيام كاملة على اختفاء شقيقتي.. «لقد وجدنا (قمر)!»..، وكنتُ أنا من تلقى المكالمة، فاندفعتُ خارجا وأنا أصرخ كي يسمعني والدي: «لقد وجدوا (قمر)!»..، ولربما كانت خطوة غير صحيحة مائة بالمائة، لكنها كانت لتحدث عاجلا أم آجلا..»..

■ ■ ■

بين يدي (الزيبق) الآن نسخة من تقرير الشرطة الذي طلبه من الفتى المفجوع بمقتل شقيقته.. كان (نجم) دائما يحمله، وبصراحة لم يتوقع أن يطلبه الفتى الصعلوك بتاتا!

كان (الزيبق) يطالعه ببصر شاخص بينما يواصل (نجم) سرد قصته:

- «كان من الممكن أن أضع صديق (وهج) في قائمة الشك لدي، لكنه وعقب رفض شقيقتي له سرعان ما..».

قاطعه (الزيبق) ولكن بنبرة هادئة هذه المرة مواصلا مطالعة التقرير:

- «خطب (وهج) بعدما يئس من خطبة شقيقتك!».

لم يعد (نجم) متيقنا من إمكانية الحفاظ على رباطة جأشه، في حين قال (لمعي) مداعبا:

- «أجل.. إنه حذق كما يقولون عنه!».

هنا، نفد صبر (نجم) أخيرا وبطريقة مفاجئة، فهتف باحتداد:

- «بصراحة، هو يسرد ما يحدث معي كما لو كان..»..

قال (الزيبق) باسما بسمة ساخرة:

- «كما لو كنتُ أقرأ الأفكار؟»..

- «هذا ما كنتُ أفكر به بالضبط!»..

- «حكاية جحا مع قومه! عندما أخبرهم أنه يمتلك موهبة مطالعة الأفكار.. سأله قومه: إذن، فيم نفكر الآن يا جحا؟ فرد عليهم: تفكرون أنني محتال!»..

قهقه (بنكي) ضاحكا لطرافة الحكاية، لكن (الزيبق) تجاهله مردفا بجدية:

- «كل ما يثير دهشتك لا يثير دهشتي، كل موقف تراه جديدا وعجيبا ومفاجئا أراه أنا مملا ومكررا بل ومثيرا للغثيان، وكأنه

مسلسل درامي يعاد بثه مرارا وتكرارا، أو من مسلسلات أوبرا «فقاعات الصابون» التي لا تنتهي حلقاتها ويمكن تخمين أحداثها بسهولة تامة! أستطيع رؤية أهلك وهم يرفضون العريس بسبب سمعته السيئة، أستطيع رؤية الفتى وهو يحاول التودد لشقيقتك بشتى الطرق، وهي تصده لدرجة التهديد بالشرطة..»..

توتر صوت (نجم) وهو يهمس:

- «ولكنها الحياة! الحياة فعلا مليئة بالمفاجآت! وإلا لصار كل فرد فيها يستنتج ما سيحدث تاليا كما لو كان يطالع مسلسلا سخيفا ما في التلفاز!»..

بدت لهجة (الزيبق) هازئة وهو يرد:

- «وأنا عبارة عن مُشاهد مشارك في «كآيبل» الحياة! أتعتقد أنني هنا بقصد الدراسة والتخرج وخلاف ذلك من ترهات حياتية؟»..

واعتدل في جلسته رامقا ضيفه الحائر بنظرة شديدة البرودة، وبلهجة قاسية حملت عبق السخرية همس:

- «أنا هنا كي أتسلى!»..



الحجر

في الكافيتيريا الملحقة بمبنى الكلية، جالس (غيث) رفيقه الجديد (نجم) داعيا إياه لارتشاف قدح من القهوة، ولم يعترض الأخير، فقد بدا شاردا كما لو كان ذهنه مشغولا بأمور أهم..

أشعل (غيث) لنفسه سيجارة دون أن يعرض مثلها على رفيقه، فهو يعلم أنه لا يدخن.. ونفث بعضا من دخان سيجارته مراقبا شروده، ثم سأله باسما:

- «تفكر في أنه محتال؟»..

- «أفكر بأنه شخصية عجيبة!»..

أطلق (غيث) ضحكة قصيرة، ثم قال بجدية:

- «هو كذلك، يصعب إنكار أنه شخص مختلف، إذا أراد أن يساعد فهو يمد يد العون بالمعنى الحرفي للكلمة، ولولا مساعدته لي لبثُّ مسجونا وضيعا فاقدا مستقبله للأبد، هو ليس مجرد كلمات متشدقة، إنه يعرف ما يقول وماذا يصنع بالضبط..»..

أرجح (نجم) رأسه واجما، ثم تساءل باهتمام جم:

- «لمـاذا يدعونـه بالزيبـق؟ أعني أليس (الزيبق) هـو ذاك الذي.. تلك الشخصية الخيالية صاحبة الحيل الشبيهة بروبن هود؟!»..

- «تقصد (علي الزيبق) ابن المقدم (حسن راس الغول)!»..

- «بالضبط! كما أنه يسـمي شـلته ب(راس الغول)! ما الحكاية؟ أهو متأثر بالحكاية الشعبية لتلك الدرجة؟ أم أنه مهووس بالمسلسل الذي قام ببطولته (حسن أبو شعيرة)؟»..

- «لا هذا ولا ذاك..»..

وأخـذ (غيث) نفسـا عميقـا من سـيجارته، ثم قال تـاركا الدخان ينسحب ببطء عبر فمه:

- «يقولون أنه ينحدر من نسل (علي الزيبق).. شخصيا!»..

■ ■ ■

- «كيف توصلت إليه؟».

نظـر (غيث) إلى (نجم) ببصر متمعن، فبـدا وكأنه لم يتوقع طرح ذلك السؤال بتاتا..

- «ستسخر مني..».

- «حتما لن أفعل!».



- «بل ستفعل.. لكنني سأخبرك بكل الأحوال فليس لدي ما أخسره.. أنت تذكر طبعا تلك العاصفة الهوجاء التي ضربت البلاد قبل حوالي عام ونيف..»..

- «بكل تأكيد، فمأساتي بدأت عقب أسبوع من انتهاء تلك العاصفة كما أطلعتك سابقا..»..

- «كان النهار حالكا، والغيوم سوداء كقلب كافر! وعندما هدأت أخيرا تلك العاصفة المروعة خرجتُ للتريض.. كنتُ يائسا من قضيتي، فمهلة الكفالة المدفوعة التي دفعها أولاد الحلال انتهت، والقضية بات حكمها على الأبواب، وقد اسودت الدنيا أمامي تماما.. كنتُ أحاول تسجية الوقت برؤية الآثار المدمرة التي خلفتها تلك العاصفة الهوجاء عندما..»..

كان يتحدث وهو ينبش في جيوبه باحثا عن شيء، وأشرق وجهه كناية عن إيجاده، فوضعه قبالة بصر (نجم) المندهش..

كان الشيء حجرا صغيرا أشبه ببلور الصخر، لكنه منحوت بصورة طبيعية على شكل يبدو مماثلا لهيئة القلب، كما نرسمه نحن حين يخترقه سهم!

- «وجدته بارزا وسط بركة خلفتها أمطار العاصفة، كان يتوهج ببريق وردي عجيب، فما إن أمسكته حتى توقف ذلك البريق!»..

اتسع بصر (نجم) في عدم فهم، فتنفس (غيث) ببطء مكملا حديثه العجيب:

- «هذا الحجر هو ما قادني للزيبق وشلته! أرى في عينيك اتهاما بالجنون، ولا بأس بذلك بتاتا، لكنها الحقيقة فعلا، فقد كنتُ قريبا من مسكنه عندما عاود الحجر توهجه لكن بوهن، وكلما اقتربت أكثر زاد توهج الحجر، وبالطبع كلما ابتعدت ضعف التوهج!»..

- «أنت تمزح حتما!!»..

- «أؤكد لك بأني لا أمزح! كان الحجر العجيب بمثابة بوصلة أوصلتني للزيبق، حيث طرقت بابه، وكانت شلة (راس الغول) بانتظاري، في البداية حسبتهم كأي شلة رعناء، وقلتُ لنفسي أنهم سيوسعونني ضربا ويرمونني خارجا عقب الاستيلاء على بقايا المال داخل محفظتي، لكنهم لم يفعلوا!»..

رمقه (نجم) بنظرة طويلة وصامتة..

قد يكون (غيث) قد ساعده بإيصاله لتلك الشلة المزعومة، من يدري؟

ولكن لربما قد حان الوقت لتركه كذلك، فهو لن يرافق شخصا يمتلك أفكارا مخبولة كأفكاره!



الخـــاتـــم

ثمة سيدة بارعة الجمال رغم تجاوزها سن الخمسين، متبرجة بلهفة، ليس تبرجا تستصغر به نفسها كمراهقة، وإنما تلك الزينة البارعة التي يُجدنها سيدات المجتمع الارستقراطيات..

السيدة جالسة باحتشام دون أن تلف ساقا على ساق، كما صنعت المذيعة التي جاءت على عكس ضيفتها تماما، فهي ذات تنورة ضائقة وماكياج مكثف شديد الابتذال، وبالطبع لم يكن الموضوع المطروح يهمها في شيء، لكنه يهم ضيفتها حتما، وبكل تأكيد قلة من المشاهدين!

تقول الضيفة الارستقراطية بنبرة هادئة شابكة أصابعها معا:

- «جمعيتنا من القلائل التي توجب حماية الأطفال عبر برامج تأهيلية وتوعوية للأسر، كما أننا نخوض حملات ونطرح ندوات الترشيد، والهدف هو معالجة مشاكل الطفل النفسية التي يتسبب بها العنف، كما تعمل جمعيتنا - دونا عن جميع الجمعيات - على تأمين

مدخول مناسب للأسر المتضررة والتي أناخ عليها الدهر، فالمعيل قد يكون ميتا - لا قدر الله- أو محبوسا في قضية ما، ولربما هاربا!».

تسألها المذيعة مصطنعة التأثر:

- «كيف في رأيكِ سيدتي بإمكاننا الحد من تلك الظاهرة المقيتة؟ أقصد العنف ضد الأطفال الأبرياء؟»..

- «الشائع في المجتمعات الشرقية للأسف هو أن الضرب وسيلة فعالة لتربية الطفل، إنها أمثولة مطبقة من أيام الكُتاب لما كان الأب الشرس يجر ولده التعس للشيخ من أذنه، قائلا بتبسط مثير للسخرية: يا شيخ هذا ولدك! اللحم لك والعظم لنا!»..

فتضحك المذيعة ضحكة سمجة، لكن السيدة الارستقراطية تتابع حديثها بجدية:

- «هذه مفاهيم بدائية خاطئة للغاية، والدولة مُحاسبة كذلك، إذ يجب فرض قوانين أكثر صرامة للحد ضد عنف الأطفال!»..

- «هل من خطة معينة في جمعيتكم؟»..

- «الجمعية ترحب بكل المبادرات، نحن حاليا نناقش مع الحكومة بعض القوانين التي يجب سنها لصون الطفل وحمايته من سوء المعاملة والاستغلال الجسدي وحتى التشرد، يجب إيجاد آلية تفاعل بين المراجع التشريعية كالسياسة التعليمية وفرض العقوبات والصحة لحماية الطفل، جمعيتنا متعاونة مع منظمة «اليونيسيف»



العالميـة، والتـي رحبت بالتدخل، حتى يتأكـد الجميع - ومن خلال العمل الميداني - أن المسـاهمة فعلية، وليست مجرد أقوال فحسب، لأن..»..

هناك رجل يتجول في الأنحاء مُدونا الأسماء..
وهو يقرر من الحُر ومن الذي يُلام..
لن يُعامل الجميع على قدم المساواة..
سيكون هنالك سلم ذهبي ينحدر للأسفل..
عندما يجيء الرجل..

الشعر على ذراعك سينتصب..
بالرعب في كل رشفة وكل جرعة..
شارك بتناول آخر كأس معروض..
أو توارى داخل الأرض الخزفية..
عندما يجيء الرجل..

اسمع الأبواق، اسمع المزامير..
مائة مليون ملاك يغنون..

مسيرة هائلة نحو طبول الغلاية الكبرى..

أصوات تنادي، أصوات تنوح..

البعض يولد والبعض يموت..

إنها لمملكة «ألفا» و«أوميغا» الحاضرة..

والزوبعة في شجر الشوك..

وكل العذراوات يشذبن فتائلهن..

تلك كانت كلمات الأغنية الجنونية التي طغت على صوت السيدة الارستقراطية المتحدثة برصانة على شاشة تلفاز «البلازما» العريضة، في غرفة نوم (ودود) داخل الفيلا..

خلف الشاشة لوحة عملاقة لممثلة أمريكية مغمورة، لم يعلقها لشيء سوى لولعه بجاذبية ملامحها، وتدعى (سارة غادون)..

كان واقفا نصف عار يؤرجح رأسه باندماج مع أغنية: «عندما يجيء الرجل» للراحل (جوني كاش)، وقد راقب شاشة التلفاز عن طريق انعكاسها على المرآة، التي وقف أمامها كي يراجع وشم المخالب الداكن الذي دقه على طول ذراعه اليمنى، وأوصله إلى منتصف صدره والقليل من عنقه!

ثم نظر نظرة عابرة للوحة الممثلة الحسناء ببسمة ناعسة، وتنهد!



رفع يـدا مزينة الإصبع الوسـطى بخاتم مرصع بحجر بنفسـجي، أراد أن يمرر أصابعه على شعره الفاحم المصفف بعناية، لكنه توقف ما إن وقع بصره على الخاتم، وكأنه يلمحه للمرة الأولى!

■ ■ ■

دخلت الخادمة الغرفة بغتة..

- «ماذا تبغين يا (سولانا)؟».

وتبسم (ودود) برقة..

دنت وهي متوجسة خيفة منه.. كانت تهابه، وحاولت عدم إظهار ذلك هامسة بلباقة مطأطئة رأسها للأسفل:

- «لا شيء سيدي.. أتيت فقط لكي..»..

دنـا منها بخطواتـه المتراقصة، إبهامه يطرقع بمسـاعدة الوسـطى بتواصل، ورأسه يتأرجح مع ألحان غيتار (جوني كاش)..

- «الغيار.. للغسيل..في..»..

- «يمكنكِ أخذه.. ماذا تنتظرين؟»..

وتبسـم بسـمة عجيبـة ذات دعة، لكنهـا أوقعت الرعـب في نفس الخادمة السمراء الجذابة!

لا شعوريا ضمت نفسها بنفسها، وعاودت مطالعة الأرض راجية أن يدعهـا وشـأنها، لكنـه لـم يفعـل، بـل دار حولها مواصـلا طرقعة أصابعه، ومدندنا لحن الغيتار!

همست بتخاذل وقد بدأت ترتجف فعلا:

- «هل يرغب سيدي بشيء؟»..

- «أحببتها!»..

- «أستميحك عذرا؟!»..

- «كلمة: سيدي! راقني كيف خرجت من شفتيكِ!»..

ثم رفع سبابته بطريقة مباغتة..

- «لكن!»..

ارتبكت أكثر، فواصل حديثه باسما بدعة:

- «هل سمعتِ بحكاية الكلب التايواني؟»..

ولم ينتظر إجابة، فقد كان أدرى بجهلها:

- «أسـرة أمريكية فقـدت كلبها التايوانـي.. فأعلنت عن ذلك في الجرائـد والإذاعة، وبعد أسـبوع، اتصلت امرأة هاتفيـا لتخبرهم أنها وجـدت كلبا قريبا مـن مواصفات كلبهم، لكنهـا لا تملك أدنى فكرة عن كنه الكلب التايواني بالضبط..

طلبـت صاحبـة الكلـب مـن المتصلة أن تسـدد بسـبابتها للكلب قائلة: «بانغ»!



فصنعـت المتصلة ذلـك، ثم هتفت بإعجـاب أن الكلب قد وقف على قائمتيه الخلفيتين!»..

خيل لسـو لانا - التي اتسـع بصرهـا لدرجة الجحـوظ- أن الفتى الوسيم قد رمقها بنظرة لا يمكن وصفها إلا بالجمود اللامبالي، وهو يسدد سبابته صوبها هامسا ببرودة أثارت قشعريرتها:

- «بانغ!»..

في حين كان (جوني كاش) ينهي الأغنية بقوله:

وقد سمعت صوتا وسط الوحوش الأربعة..

ثم نظرت فأبصرت جوادا شاحبا..

واسمه المدون عليه كان: «الموت»!

ثم «الجحيم» تلته!



طريقة باولسن

وقف المحاضر في عرض القاعة مواجها طلبته بهامة مديدة..

ساعد الصدى على إيصال صوته بوضوح للجالسين في آخر السطر، عندما قال بنبرة قوية لحسن حظ الجميع:

- القلب والعقل يا سادة! القلب والعقل!

أتراكم سمعتم بجول فيرن؟ أخشى سؤالكم والمخاطرة بسماع إجابات على غرار: «إنه مطرب روك آند رول»!

تصاعدت صوت ضحكات، فتبسم المحاضر مردفا بثقة:

- «ضحكاتكم تريحني وتثلج قلبي! إذن أنتم تعرفون من يكون.. حسنٌ.. كان (فيرن) من قلائل الكتاب الذين جمعوا ما بين التفكير العلمي والأسلوب الأدبي في مؤلفاته، سألوه يوما: ما العلم؟ وما الأدب؟

أتدرون ما قال؟



قال: العلم عقل، والأدب قلب! والإنسان ليس بإمكانه العيش بأحدهما، فهو ميت إذا ما توقف قلبه، كما أنه حي ميت عندما يتوقف عقله!

كذلك الكاتب لا يمكنه أن يكتب بقلبه وحده، ولا يمكنه أن يفكر بعقله وحده، إذ لابد للعقل والقلب أن يمتزجا معا في كل رأي.. لأن..».

توقف المحاضر عن الاسترسال، وتصلب بصره على بقعة معينة في آخر سطر من القاعة، ثم رفع من عقيرته قائلا بغضب:

- «أنت! يا من تضع قدماك على الطاولة!»..

نظر الجميع بتمعن ودهشة، فوقعت أبصارهم على فتى ارتدى سترة غطى بها رأسه، في حين لم يكف لثانية عن ملاعبة نكاشة خشبية بين أسنانه!

- «هل جننت؟ أتحسب نفسك لا تزال في الثانوية؟!»..

لم يتزحزح (الزيبق).. كان يدس يداه في جيبي سترته محدقا تجاه المحاضر بصمت..

فرفع الأخير سبابته صوب الباب قائلا كمن يحاول السيطرة على أعصابه:

- «اخرج.. حالا!!»..

ببطء، أعاد (الزيبق) قدميه للأرض، ونهض كمن يتمطى لدرجة أنه تثاءب بالفعل، وسط ضحكات شبه مكتومة من زملائه!

- «صه!!»..

فصمتوا.. وراقبوه وهو يهبط بتثاقل الدرجات بين المقاعد قاصدا الباب، في حين قال المحاضر باستهانة مخاطبا الطلبة:

- «يا سادة، هذا نموذج مجسد أمامكم للمستهتر الذي يحضر فحسب لإثارة المتاعب ولحصد إعجابٍ لن يناله! أراهنكم بأنه كان يفكر في السيارات أو الفتيات، أو في «كليب» الراب الجديد الذي لم ينزل الأسواق بعد! لن أتعب حتى نفسي بسؤاله عما كنا نتحدث بالضبط، ولتكن لكم عبرة في..»..

توقف (الزيبق) بمنتصف الطريق بغتة..

ثم رفع رأسه قائلا وبنبرة باردة محدقا في مقلتي المحاضر:

- «كنتَ تتحدث عن (جول فيرن)! الذي كان من قلائل الكتاب الذين جمعوا ما بين التفكير العلمي والأسلوب الأدبي في مؤلفاته، والذي سألوه يوما: ما العلم؟ وما الأدب؟ فرد قائلا: العلم عقل، والأدب قلب! والإنسان ليس بإمكانه العيش بأحدهما، فهو ميت إذا ما توقف قلبه، كما أنه حي ميت عندما يتوقف عقله!»..

وأوقف (الزيبق) تلاعبه بالنكاشة بين أسنانه منحدرا حتى هبط وسط غابة من الوجوه المشدوهة، ثم سار قاصدا الباب!

وقبل أن يخرج، التفت مخاطبا لا أحد:

- «على فكرة.. لم يكن (جول فيرن) هو قائل تلك العبارة.. بل (جورج ويلز)!»..

■ ■ ■

فاجأ الأمريكي (ستيفن باولسن) مدرسة الأحد في «سيراكيوز» بولاية نيويورك، عندما تلا غيبا في مسابقة أسبوعية الفقرات المقررة للسنة برمتها، وقد كان يومها لا يزال في التاسعة من عمره!

وفي المرحلة الإعدادية اختار مادة اللغة اليونانية، واختار له معلمه 21 سطرا من «الإلياذة» لحفظها في غضون أسبوع، ولكن في نهاية ساعة الدرس تلك، وعلى الرغم من إصراره على أنه كان يقظا للدرس، إلا أنه حفظ مائة سطر من الإلياذة دون خطأ يذكر!

وفي جامعة «هارفارد» انتقى (باولسن) مادة دراسية واحدة في المسرح اليوناني، بعدها، لم تعد له صلة باليونانية كلها قرابة 44 عاما، إذ حاز درجة الماجيستير في إدارة الأعمال، وغدا محاسبا قانونيا مجازا، وعمل في عدة شركات دولية، وتزوج كذلك منجبا خمسة أولاد..

في عام 1978 عُين مديرا ماليا مسؤولا عن قسم أوروبا في شركة «سبالدينغ» بعدما أغلقت شركة الأدوات الرياضية مكتبها في باريس، وللمرة الأولى منذ الجامعة صار لباولسن الذي بات في الستين من عمره وقت فراغ..

وليظل ذهنه متقدا أعاد مطالعة الإلياذة، فتبين له أنه لا يزال يحفظ تلك الأسطر المائة، فقرر استكمال المهمة!

هكذا، وفي مدة وجيزة، حفظ (سـتيفن باولسـن) الإلياذة بأكملها غيبا وهو مسن في أرذل العمر!

طريقة (باولسـن) كانت قائمة على مطالعة الكتاب وتسجيله على شريط، ثم التأكد عدة مرات من فهمه لكل حرف، ويقول في ذلك:

- «أسعى إلى تخيل نفسي جزءًا من الحدث!».

فهو يقرأ فقرة واحدة، ثم يعيد تلاوة كل سطر حتى يحفظه، بعدها يتلو زمرًا من السـطور حتى يحفـظ الفقرة عن ظهر قلب، وبعد حفظ عـدة فقرات يتلوها كوحـدة متكاملة، هكذا حتى ينهـي الكتاب، فإذا نـال منه التعـب قام بالإصغاء إلى شـريط التسـجيل كي يسـاعده في ترسيخ المادة بين ثنايا ذاكرته..

لكـن (باولسـن) كلما حفظ كتابا تنسـل كتبٌ أخرى مـن ذاكرته، فينبغـي إذن إعـادة حفـظ كل منها تكـرارا، وعقب مـرات لا تحصى تسـتقر في ذاكرته، فهو أشـبه بعملية ملء سلسـلة من الدلاء المثقوبة مرة تلو أخرى، حتى تسد سائر الثقوب!

(باولسـن) لم يحفظ الإلياذة لدى تناوله شاي ما بعد الظهيرة، بل مرة عقب مرة، وكلما توافرت لديه دقيقة ما.. لدى قيادته سـيارته، أو أثناء الاسـتحمام وحلاقة الذقن، وحتى لدى انتظاره فاتورة الحساب في مطعم ما عقب تناوله وجبة العشاء!

ابن البستاني

البستاني أو «الجنايني» المسن يرش المياه ضاغطا طرف الخرطوم حتى تتدفق أكثر، ليبلغ غالبية النباتات التي لا يسعه أن يبلغها..

لا يمكن لأحد من الطلبة أن يمر دون أن يسلم عليه..

- «السلام عليكم يا عم (حسن)!».

- «وعليكم السلام يا بني!».

الرجل كان يعتبر نفسه أبا للجميع دونما استثناء، رزقه على الله كما يردد دائما، فيما مضى كانت له زوجة أحبها وأحبته، لكن الله عزوجل اختارها ذات ليلة قبله لتكون إلى جواره..

- «كيف حالك يا عم (حسن)؟»..

- «بخير يا ابنتي!»..

العم (حسن) زار بيت الله ثلاث مرات، وهو ينوي زيارته للمرة الرابعة إن أحياه الله وظفر بمساعدة أولاد الحلال، رجل تقي مؤمن ولله الحمد، لم يعارض مشيئته يوم خطف الموت روح زوجه..

لكنـه لم يخفِ حزنه الشـديد علـى فقدانها، فقد كانـت امرأة صالحة مطيعة لزوجها، لم تقصر يوما في خدمة دارها..

- «كيف حالك يا حاج؟».

توقف عن رشـق النباتـات بالماء، وباتت بسـمته عريضة أكثر من ذي قبل، فتمددت التجاعيد المزينة لوجهه وهو يتساءل ببشاشة:

- «كيفك اليوم؟».

بهتت بسمة (الزيبق) رويدا وهو يرد بشرود طفيف:

- «ككل يوم!».

- «نعمة!».

- «ليس هذا قصدي يا حاج، لكن.. ليكن!»..

أطلق الرجل الطيب ضحكة قصيرة قبل أن..

النوبة الكلوية.. تنقض بغير ميعاد! وترحل دون وداع، لكن آلامها لا توصف إذا ما بزغت..

تبـدأ آلامهـا مـن الخاصـرة وتنـزل علـى مسـير الحالب، مسـببة ألمـا يتزايد حتـى ليتمنى المصاب لـو كان ترابا، ويترافـق مع الغثيان والقيء..

شـرب المـاء بدل سـقاية الـزرع للوقايـة! كونه يغسـل المجاري البولية غسـلا ميكانيكيا مذيبا للأملاح التي يمكن أن تترسـب.. ثرثر (الزيبق) بذلك كثيرا وهو يسند البستاني العجوز المتألم..



لكن الأخير قهقه بوهن، مؤكدا أنه قد اعتاد تلك الآلام الأسطورية!

لـم يُظهـر (الزيبق) قلقه علانيـة، لكنه كان - داخليـا- قلقا للغاية على صحة البستاني العجوز..

لا أحد للبائس غيره عقب رحيل زوجته الغالية..

كان مدينا له، عقب ولادته تحول الرجل البائس إلى أب وأم معا، ولم يتزوج مجددا، واستعان أحيانا بشقيقته لتربية الولد..

ولمـا كبر (الزيبق) قليلا صار البسـتاني المنهك يُرغبه في أمور لا تخطـر ببال رجل أمي.. حثه على المطالعـة النهمة، ورغبه في ولوج المدرسـة، فقـد لاحـظ - مغتبطا- مقـدرة الولـد غيـر الطبيعية على الحفـظ، كمـا لاحظ نهمه الشـديد للمعرفة بسـبب كثرة أسئلته التي قلما تمكن من إجابته عليها!

في صغـره، اعتاد (الزيبق) كل ليلة تقريبا سـماع تلك الأسـطورة الشعبية من البسـتاني أحيانا، أو من المسجلة على شريط «كاسيت»، لـم يمتلك مقطنهم - الضائق المزود بسـقف مـن «الزنكو"- تلفازًا، لم يكن ثمة كهرباء أساسـا! فكان البسـتاني يستعيض عن ذلك بسرد مغامرات (علي الزيبق) التي يسردها كل ليلة على ابنه.. ذات الحكاية كل ليلـة! والصبـي لم يكن يضجـر من تكرارها بتاتـا، خصوصا وأن والـده يؤكـد أنها حكاية الشـخص الذي انحدرت عائلتهم من نسـله مباشرة!



(علي) ابن المقدم (حسن راس الغول)، صاحب الحيل والمقالب الأريبة، الداهية الذي أحبه الناس كونه استحال نصيرا لهم على ظلم الوالي، والمقدم (صلاح الكلبي)، وزبانيتهما من الطغاة..

خصومه كثر، أبرزهم المقدم (أحمد الدنف)، المقدم (صلاح الكلبي)، (حسن شومان)، وبالطبع (دليلة) المحتالة، وابنتها (زينب) التي تماثلها في الدهاء والطباع، هذا قبل أن تقع في غرام (الزيبق) وتتزوجه!

كانت مشكلة سرد الأسطورة الشعبية أن (الزيبق) - ابن البستاني - كان يطرح أسئلة بخصوص والدته التي توفيت عقب ولادته، والسبب أن دور (فاطمة بنت نور الدين القاضي) الملقبة بأنثى الأسد - والدة (علي الزيبق) - لها حضور طاغ في القصص، فهي التي ربته دون تنشئته على طلب الانتقام لوالده الذي تسبب خصومه في موته، لكنها كذلك علمته ألا يتخاذل عن حقه، وأن ينصر المستضعفين دائما، كما أنها أرسلته للقاهرة كي يتتلمذ على أيادي كبار علماء الأزهر..

إلا أن روح الفتى القلقة وتمرده سرعان ما دفعاه للمواجهة مع رجال (الكلبي) و(دليلة)، مستخدما مهاراته في التخفي والتنكر وصنع المقالب الذكية، فصار من المتعسر إلقاء القبض عليه، ومن هنا جاءت تسميته ب"الزيبق»!



وحتى حين يقع أخيرا في قبضة خصومه ويجهزونه للإعدام، تظهر والدته (أنثى الأسد) كفارس ملثم، فتنقذ ولدها من موت محقق!

لربما كانت (فاطمة) هي شخصية (الزيبق) الصغير المفضلة، والأقرب لفؤاده المتهدج، والسبب طبعا هو اشتياقه لوالدته التي لم يرها في حياته!

- «أريد سماع حكاية المخطوطة السحرية يا أبي!»..

والبستاني لا يضجر ولا ينزعج، بل يضحك قبيل سرده الحكاية الوحيدة التي يحفظها خلافا لأسطورة (علي الزيبق)..

لكنه - وكديدن الآباء أو الأمهات الذين يسردون حكايات على صغارهم قبل النوم- يقوم بجعل ابنه بطلا رئيسيا للأحداث!

■ ■ ■



المخطوطة السحرية

كانـت المـرة الأولى التي سـمع فيهـا (الزيبق) عـن «المخطوطة السـحرية» يوم احتفلـت القرية بهبـوط الأمطار، بعـد رحيل عام من القحط كان قد حل بأراضيها، فتيبسـت المحاصيـل ونفقت الأنعام، لكـن رحمة الله كانت واسـعة شـاملة، فعاد الأمل والسـرور بهطول المطر الغزير الذي أعاد للأرض خضرتها ونضرتها..

كان احتفـالا كبيـرا يعكس سـعادة الأهالي بما جادت به السـماء عليهـم من ميـاه مباركـة، فالطعام والشـراب معدٌ للـكل، للفقير قبل الغني، الكل سيشبع احتفالا بانتهاء المحنة التي سببت الضراء للقرية الهادئة المسالمة..

لكن (الزيبق) لم يكن جائعا أو حتى سـعيدا، كان ينصت للشـبان الخمسـة الذيـن وقفوا بمعزل عـن الأهالي واحتفالهم كي يتسـامروا بطريقة مثيرة للشـك، يتحدثـون عن فرصتهم الأولـى والأخيرة التي يجب عليهم اغتنامها لنيل «المخطوطة السـحرية»، حيث أن أحدهم سـمع بأنها قد ظهرت في إحدى المدن البعيدة كل البعد عن قريتهم، لذا يتوجب عليهم شد الرحال إليها للتيقن من صحة الأمر..



اقترب (الزيبق) منهم، فقطعوا حديثهم ليحدجوه بنظرات تتقاطر شكا وارتيابا، فحياهم بمودة، ثم تساءل:

- «المخطوطة السحرية؟ ماذا تكون بحق الله؟».

- «وما شأنك بأحاديث الكبار يا فتى؟».

وتفرقوا بوجوه عابسة عدا شاب بدا ودودا بعض الشيء، حدج (الزيبق) بنظرة ثابتة قبل أن يقول له:

- «عندك العجوز (سهلب)..»..

ثم رحل لحال سبيله هو الآخر..

■ ■ ■

كان (سهلب) العجوز يقطن الطرف النائي من القرية في كوخ حقير عطن الرائحة، ولطالما حذره والده من الدنو من مسكن ذلك الرجل لأن فيه شيئا من الجنون، لكن فضول (الزيبق) اليوم كان أقوى من أي شيء آخر، وعليه، فقد قرر القيام بزيارة مفاجئة للعجوز الذي اعتزل جميع الخلق..

سار (الزيبق) حتى بلغ البقعة المنشودة، فوجد العجوز جالسا أمام كوخه على دكة نهش السوس خشبها، وعند قدمه اليمنى رقد كلب هزيل يقوم بلعقها، فاقترب وهو يصيح محييا بأعلى صوته:

- «عافاك الله يا سيدي الفاضل..».

- «من أنت؟».

- «أدعى (الزيبق) يا سيدي..»..

- «ولأي شأن أتيت؟»..

- «أتيت لسماع أعجوبة يتناقلها عباد الله على لسانك..»..

- «لساني أنا؟»..

ورفس الكلب رفسة قاسية جعلته يثب للخلف وهو يعوي بألم، ثم نهض قائلا باستهزاء:

- «أتقصد المخطوطة السحرية؟»..

- «هي بعينها، فما تكون لو تكرمت وشرحت لي؟»..

- «وما المقابل أيها الفتى؟»..

- «ماذا تريد في المقابل يا سيدي؟»..

- «أحضر لي من لذائذ صنوف الطعام والشراب، وأنا كفيل بسرد حكايات ألف ليلة وليلة بمجملها لك!»..

- «وهو كذلك..»..

وهكذا حضر الفتى في اليوم التالي جالبا معه أصنافا ذات رائحة طيبة من أشهى الأطعمة والحلويات وألذ المشروبات، فاستقبله العجوز بحفاوة هذه المرة، بل ودعاه للدخول ومشاركته الطعام..

كان الكوخ سيئ التهوية كثير الغبار شحيح الأثاث العتيق، ولم يتمكن (الزيبق) من الأكل لكثرة مرور الحشرات الضارة بين قدميه،



في حين أخذ العجوز يلتهم الطعام بنهم كبير وهو يدمدم بخدين منتفخين:

- «أكرمك الله على جودك يا بني!»..

- «بالهناء والشفاء، ولكن لا تنس اتفاقنا يا عماه..»..

- «بالطبع! لكن عقب الطعام..»..

وبعد أن أنهى الرجل طعامه، دعا ضيفه لتناول الشاي في الخارج..

قال مناولا إياه كوبا وهما يجلسان على الدكة القديمة:

- «المخطوطة السحرية! لكم من ذكريات تجول بخاطري كلما سمعت أحدهم يردد اسمها..

في الصغر سمعنا بها، فالجدات كن يقصصن علينا أعاجيبها، فننصت بأبصار متسعة وآذان صاغية.. يقال بأنها نوع خارق من الورق القديم، امتلكها ملك جبال القمر الذي يقال له (الخازندار)!

كان الخازندار مخلوقا أسطوريا لا يُدرى كنهه، غني كما يكون الغنى، أعطاه الله من النفائس مالا يخطر ببال بشر..

يقال بأنه امتلك سفنا تجوب البحار والبراري، صنعت من المرمر وزينت بالأحجار الكريمة، وتماثيل من الذهب الخالص بحجم الهضاب القريبة، كما امتلك قطعانا من الجياد البيضاء التي لا يجاريها الريح في السرعة ولا الأعاصير في القوة، ومزارع من أشجار تنبت الفضة الخالصة!

لكن أغلى نفائسه على الإطلاق - ولربما على الأرض كلها- كان نوعا من الورق العتيق باهت اللون مائل للصفرة..»..

- « المخطوطة السحرية!»..

- «قيل بأن عفريتا دوَّن فيها قوة عجيبة، فصار كل من يكتب ما يرغب به أو يشتهي على ورق المخطوطة ينال بعد ليلة واحدة مراده!»..

- «ماذا تعني؟»..

- «كل ما تتمناه يا بني يتحقق إن دونته على المخطوطة السحرية! إذا أردت القصور فلك ذلك، وإن أردت الزواج بأجمل فتاة يتحقق لك ذلك أيضًا.. كل ما تتمناه وترغبه!»..

- «أكاد لا أصدق ما أسمع!»..

- «بل صدق! لكم من فتية ورجال هجروا أهاليهم من أجل الظفر بها، كلما سمعوا بظهورها في أرض بعيدة، في مملكة أو واد أو قرية مجهولة الهوية..»..

- «وكيف يعلمون أنها موجودة حقا وليست مجرد حكاية خرافية؟»..

- «المخطوطة السحرية موجودة كالهواء يا فتى، أوليس الهواء موجودا؟ هل تستطيع أن تريني إياه؟»..



- «لكن تلك ليست بحجة يا عماه، فبالعلم يمكنني إثبات وجود الهواء لك، ولكن أثبت لي أنت وجود مخطوطتك السحرية المزعومة!»..

- «أتكذبني يا فتى؟»..

- «حاشا لله يا عماه! لكنني أرغب بالتأكد فقط..»..

- «إذن ارحل من هنا حالا! المخطوطة السحرية موجودة رغما عن أنفك!»..

- «لِمَ أنت غاضب هكذا يا سيدي؟»..

- «قد أفنيت عمري بحثا عن أثمن كنز في الوجود، ثم تظهر أنت لتزدري تعبي ومجهود عمري ببساطة الصغير الطائش الذي لم يفهم بعد معنى الحياة بيسرها وعسرها؟!»..

وهكذا وجد (الزيبق) نفسه مطرودا من مقطن العجوز (سهلب)، لكنه لم يحزن، فقد ظفر في نهاية المطاف بحكاية مسلية يحكيها لأقرانه على سبيل التفكه لا أكثر..

وأثناء عودته إلى داره لمح من بعيد أولئك الشبان الخمسة، كانوا يتسامرون فيما بينهم بأصوات مرتفعة، فآثر الاختباء خلف صخرة عملاقة والإنصات إلى ما يقولونه..

قال الأول بنبرة الواثق من نفسه:

- «حين أجد المخطوطة السحرية سأدوِّن فيها مأساتي مع الفقر، وآمرها بجعلي تاجرا غنيا..»..

قال الثاني بسخرية:

- «أهـذه جل طموحاتك؟ سـأدوِّن في المخطوطة السـحرية بأن تصيرني قائدا أعلى لجيش ملكنا المحبوب..»..

هتف الثالث مستنكرا:

- «يـا لغبائكمـا العـارم! سـأجعل المخطوطة السـحرية تنصبني وزيرا للبلاد بأسرها !»..

وصاح الرابع بنشوة مفرطة:

- «سـأجعلها تزوجنـي ابنـة الملك بارعة الحسـن، وبذلك أصير خليفته على عرش البلاد!»..

تنهد الخامس - وكان الشـاب الذي أرشد (الزيبق) من قبل-، ثم قال مترددا:

- «لا أعلـم، أخشـى أننـا نغـرق حتى آذاننـا في أضغـاث أحلام، ألـم يفكر أحدكم بأن المخطوطة السـحرية مجرد حكاية للتسـلية لا أكثر؟»..

تساءل الأول ممتعضا:

- «لِـمَ قبلت المجيء معنـا إذن؟ إذا أردت التراجـع الآن فافعل، ولكن لا تكدر صفونا أو تثبط من عزائمنا..»..

ردَّ الخامس بعد برهة قصيرة من التفكير:

- «أنا معكم والتوكل على الله وحده..»..

وهكـذا تابعوا سيرهم حتى اختفوا عـن ناظري (الزيبـق)، الذي حدَّج الأفق بنظرات شاردة قبل أن يقول:

- «شارف الليل على إرخاء سدوله، يتوجب علي الإسراع للعودة إلى الدار..»..

■ ■ ■

ومرت سنوات سبع لم يشعر بمرورها أحد..

مات العجوز (سـهلب) فقيرا معدمـا كثير الأحلام والطموحات، وقـد قيل بـأن آخر كلماتـه كانت عـن «المخطوطة السـحرية» أيضًا، فقامـوا بتحويل كوخه إلى زريبة للمواشـي يحرسـها كلبـه الذي بقي على قيد الحياة..

صار (الزيبق) تاجر صوف مرموق رغم صغر سنه، فقد لازم والده حتـى أتقن العمل في دكانه، فأسـلمه له معتمدا علـى فطنته وذكائه.. وارتـاح الأب مبكرا من عنـاء الجلوس في الـدكان والعمل فيه، فقد أظهر ولده نبوغ الراشدين في السـوق، ورفع اسم أبيه عاليا بين التجار في القرى المجاورة كذلك، فأقبلوا على بضاعته مستوثقين من أمانته وصدقه وإخلاصه في العمل..

وذات ليلـة هادئـة أضـاء القمر بنـور بـدره أرجاءهـا، وبينما كان (الزيبق) يسـير عائدا إلى داره عقب إحصـاء الأرباح وإقفال الدكان، لاح له من بعيد شبح لشخص يسير ويسقط، فأسرع إليه ليجده رجلا

هزيـل البنيـان يعاني الفقر والجوع كما يبدو.. سـاعده على النهوض واقتاده لداره كي يغيثه بالزاد والشراب..

وبعد أن استعاد الرجل كثيرا من عافيته بفضل ما أكل وشرب، قال بنبرة لا زالت ضعيفة:

- «أشكرك يا سيدي الكريم على حسن ضيافتك لي..».

- «الشكر لله، ثم انك ضيفي..».

- «كدت أهلك جراء رحلتي الملعونة، بقينا نجري خلف وهم وسراب!»..

- «أكان معك أحد؟»..

- «أربعـة فـي سـجن المدينـة بتهمـة السـرقة! ألا لعنـة الله على المخطوطة السحرية المنحوسة!»..

وهنـا تذكر (الزيبق) على الفور الرجل، لقد كان - قبل السـنوات السبع -الشـاب الخامس الذي دله على (سهلب) العجوز كي يعرف منه حكايته مع «المخطوطة السحرية».. لكم تغير!

سأله وقد تبدى ذهول عارم في ملامحه:

- «وكيف انتهى بكم المطاف إلى تلك المآسي؟»..

أجابه الرجل والدمع يترقرق في مقلتيه:

- «عندمـا وصلنا المدينة المنشـودة كنا قد اسـتهلكنا كل ما لدينا من زاد، لم نتمكن من البحث عن المخطوطة السحرية بسبب الجوع الـذي نهشـنا بأنيابـه القاسـية، حاولنا إيجـاد عمل ففشـل الجميع ما

عداي، فقد وجدت عملا كعتّال، وصرت أشتري بما أكسبه الطعام لنا جميعا، وبذلك بتنا أكثر ليالينا جوعى..

قست علينا الظروف أكثر فيما بعد، والأدهى أن الجميع قد سخروا منا عندما سألناهم عما أتينا لأجله، وعندما أيقنا بألا فائدة ترجى من العيش في الوهم قررنا الرجوع..».

- «لكنكم غبتم مدة طويلة للغاية..»..

- «عندما هممنا بالرحيل فوجئنا بزيارة تاجر لنا، قال أنه يريد استخدامنا جميعا في مخزنه للغلال، فوافقوا على الفور ما عداي، لقد فضلت الإبقاء على المهنة التي أكسب رزقي منها لأنني اعتدت عليها، وهكذا عمل رفاقي مع ذلك التاجر الطيب لمدة طويلة..»..

- «وما الذي حدث بعد ذلك؟»..

- «اتفقوا عقب كل تلك السنوات على سرقة الرجل!»..

- «أعوذ بالله!»..

- «انكشفت جريمتهم وحُكم عليهم بالسجن لعشرة أعوام!»..

- «لا حول ولا قوة إلا بالله..»..

ومسح على جبهته قائلا له برفق:

- «استرح الآن فقد عانيت كثيرا، أنت الآن بين أهلك..»..

- «الشكر لله ثم لك..»..

■ ■ ■

وفي تلك الليلة، بينما كان (الزيبق) مستغرقا في النوم، أبصر حلما غريبا جعله يشعر بخوف مبهم..

رأى نفسه يهرول في صحراء قاحلة أسفل لهيب شمس محرقة لا ترحم..

كانت اللهفة متبدية عليه، كأنما يدرك تماما وجهته رغم أن جميع الاتجاهات متشابهة، في حين أخذ الظلام ينتشر بسرعة غير عادية رغم وجود الشمس، وفي النهاية اصطبغت بزرقة عجيبة..

توقف (الزيبق) عن الهرولة في آخر المطاف، فقد وقف في مواجهته مخلوق عملاق ومروع الشكل، أشار تجاهه بواحدة من مخالبه الطويلة!

سمع (الزيبق) المخلوق العفريتي يخاطبه بصوت مروع قائلا:

- «يا (زيبق)، إن أردت المخطوطة السحرية فهي لك!».

جثا (الزيبق) على ركبتيه وهو يسأل بقلب واجف:

- «ومن تكون أنت؟».

- «أنا (الخازندار)! ملك جبال القمر ومالك المخطوطة السحرية، وقد وهبتها لك!».

- «وكيف السبيل لتملكها؟»..

- «ارحل إلى قرية الوادي الأخضر البعيدة، واسأل هناك عن مغارتها..»..

- «وأهلي؟ وتجارتي؟»..

- «المخطوطة السحرية تستحق كل عناء..»..

- «لكني زاهد أشد الزهد فيها..»..

خيل إليه أنه قد لمح غضبا استشرى في سحنة ذلك الكائن المريع عندما هتف بصوت كالهدير:

- «المخطوطة السحرية تستحق كل عناء يا (زيبق)..

دع كل شيء وارحل.. إرحل!»..

■ ■ ■

استيقظ (الزيبق) من النوم وهو يتعوذ ويبسمل..

تلفت حولـه وقد غرق وجهه فـي العرق، ثم بدأت نفسـه تهدأ..

جفف عرقه بمنديل وتنـاول جرعة ماء من الجـرة القريبة منه، واتكأ على وسادته قائلا ببسمة وهو يتنهد بارتياح:

- «الحمد لله الذي نصرني على الشيطان! حاول خداعي بجعلي أركض خلف سـراب وأوهـام، كما صنع مـع العجوز (سـهلب) - رحمه الله- وأولئك الشبان الخمسة من قبل!».



الصعلوك

طرق (نجم) الباب الذي حمل رقم (12) النحاسي.. قبل سماعه صوتا يهتف من الداخل:

- «ثوان يا (نجم)!»..

طفق ينتظر متسائلا عن الكيفية التي عرف بها صاحب الصوت أنه (نجم)، خصوصا وأن الذي رد كان (لمعي)!

- «تفضل بالدخول..»..

فتح الباب وولج قائلا بتؤدة:

- «مساء الخير..»..

- «أين صديقك؟»..

نظر (نجم) ليبصر (الزيبق) على السرير كالمعتاد..

- «صديقي؟»..

- «(غيث)!»..

- «آه.. هو... مشغول!»..



(غيث) ليس صديقا، كما أن حكاية الحجر الذي يعمل كبوصلة تلك أشعرته أن الفتى مجرد مخبول، وهو ليس بحاجة حاليا لمخابيل، سوى..

شلة (راس الغول) كما تركها قبل ثلاثة أيام، لا زال (الزيبق) ممددا على السرير، و(بنكي) يضع سماعات «الووكمان» على أذنيه العملاقيتين وسيجارته بين أنامله..

لكن (لمعي) لم يكن يذبح الخلق في لعبة ما من ألعاب «البلاي ستيشن»، كان عاكفا على ضرب أزرار «اللاب توب» الأسود قبالته، بكل همة ونشاط..

لوهلة، فهم (نجم) أن (الزيبق) هو من أخبر (لمعي) أن الطارق كان هو.. فالشيطان المتصعلك لا تفته فائتة حتما!

ثم تفكر فيما يحدث، واحتار كيفية فتح باب المناقشة..

لكن (الزيبق) رحمه.. بالأحرى لم يفعل! إذ سأله:

- «لِمَ الكذب؟»..

- «كذب؟!»..

- «بشأن (غيث)، قلت أنه مشغول، لكن هذا ليس سبب عدم مجيئه معك!»..

- «أنا لم..»..

- «هلم! نظراتك وطريقة نطقك تشيان بسر!»..

يا لك من صعلوك أريب! ولكن لا بأس، كذبة أخرى أكثر إحكاما قد تحل المشكلة!

إلا أنه بادره بقوله في جدية أربكته حقا:

- «تذكـر أن الجميـع فـي قائمة المشـتبه بهم، وأيـة معلومة مهما تبدت لك هينة أو تافهة قد تساعدنا!»..

هنـا.. شـعر (نجـم) ببعـض الاحتـرام تجـاه (الزيبـق)، وبالفعل بـدأ يفكـر أن مخبولا كغيث قـد يكـون القاتل.. حجـر وردي يعمل كبوصلة؟!

هكـذا شـاطر «الزعيـم» حكايـة (غيـث) مـع الحجـر، وفوجئ بالتفاعـل العجيب الذي أظهـره، إذ لاح اهتمام عجيـب في محياه.. ليس هذا فحسـب، بل إن (لمعي) قد كف عن ضرب أزرار حاسـوبه المتنقل مصغيا بإمعان وبحدقتين متسعتين!

- «هذا.. مثير للاهتمام بحق!»..

قالها (الزيبق) وهو يهرش ذقنه ببطء، ثم همس ببطء شارد:

- «شـكرا لمشـاطرتنا معلوماتك الثمينة، وأرجو ألا تستخف بعد ذلك بما لديك، شاركنا إياه فورا، خصوصا لو كان على تلك الدرجة من الغرابة.. اتفقنا؟»..

- «وهو كذلك..»..

- «حسنا إذن، هل لي باستعارة ألبوم صور شقيقتك؟»..

ارتاح لثوان كالوميض فحسب، وذلك كونه شك بأن تلك الشلة عبارة عن مستهترين حمقى، وبأن (غيث) كان أكثر حماقة كونه عرفه عليهم ووثق بهم، ومن ثم اتهم نفسه هو بأكثر المتواجدين حماقة كونه وافق على لقائهم!

وأتت راحته عندما لاحظ اهتمام (الزيبق) بالقضية..

أما غيابها السريع فلأنه طلب البوم صور شقيقته، وتلك الخصوصيات كره (نجم) أن يجازف بمناولتها لهذا الغريب الصعلوك!

وكأن (الزيبق) قد طالع أفكاره – كالعادة–، إذ تمتم بهدوء:

– «كل ما أطلبه منك قد يفيدنا، وصدقني أنا متعاطف معك، فلا أحد يرغب باطلاع شخص غريب على خصوصيات شقيقته أو ابنته أو زوجته أو والدته أو حتى جدته، لكن شقيقتك بحاجة للراحة في قبرها، وذلك لن يتأتى إلا بإيجاد قاتلها!»..

أرجح (نجم) رأسه بغير اقتناع، ثم مد يده ملتقطا حقيبته التي أراحها عند ساقه، ففتحها ليستخرج منها الألبوم الذي لم يفارقه لحظة..

ناوله مترددا للزيبق، وقبل أن يفارق يده تشبث به عند آخر لحظة قائلا بتصميم وهو يسدد بنظرة قاسية نوعا لتقاسيم الفتى الصعلوك:

– «أتمنى أن تكون على علم بما تصنع!»..

■ ■ ■

سار (الزيبق) بخطوات متثاقلة دون النظر حوله..

الطلبة يتوقفون، ينتظرون مروره ثم يتهامسون من وراء ظهره..

بأي شـيء؟ بكل ما يمكن أن يخطر ببال طالب يعتقد نفسه طبيعيا لحد السماجة، أو طالبة تكثر من التأفف ومط شفتيها!

همسات عديدة قد تتحول لإشاعات لاحقا، خصوصا بعد القصة التي وقعت في قاعة المحاضرات.. من يكون؟ من أية بؤرة أتى؟ من يظن نفسه؟ يا له من صعلوك مغرور!

وتـزداد الآراء قساوة.. فطالـب يؤكـد لرفاقه أن الفتى المستهتر قد دخل السـجن بتهمة تتغيـر في كل مرة.. شـجار.. تحرش.. قيادة متهورة.. اعتداء بسلاح أبيض.. وحتى السُكر!

أمـا الفتيـات فلقد نقلـن حكاية بلهاء عـن علاقته بفتـاة كانت مع إحداهن في الغرفة، ثم تحولت إلى زميلة في محاضرة المادة الفلانية لدى الدكتور فلان أو البروفيسـورة عـلان، وقد دفعها إلى الرحيل أو الانتحار!

لكـن الحكايـة التي تكـررت أكثر من غيرها هـي حكاية الفتى مع «الجرافيتي» Graffiti، أو فن الرسـم على الجدران لكن بسـبل فنية، يعتبـره الغـرب من أفضـل الطرق للتعبيـر عن الآراء بحريـة، لذا فهو مخالف للقوانين خصوصا في معظم البلدان العربية!

الأماكن المستهدفة من رسامي الجرافيتي تكون عادة القطارات والحافلات والشوارع والمرافق العامة والجدران الخلفية أو الأمامية، وقد وضعت غرامة مالية تختلف قيمتها بين الدول لمن يقبض عليه متلبسا بالرسم، والحكاية المتداولة عن (الزيبق) أنه قد حبس مدة في السجن لقيامه بتنفيذ عدد من رسوم «الجرافيتي» مخالفا بذلك القانون!

وتتضخم الشائعات والأقاويل أكثر فأكثر..

كل هذا و(الزيبق) يسير بينهم في ممر الكلية الطويل غير آبه لأحد!

شخصية كشخصيته لابد وأن تواجه بعض المتاعب، هو نفسه مؤمن بذلك..

وسرعان ما استجاب القدر لهاجسه الملح، إذ لمحه أربعة طلاب وهو يقترب، فتبسم أعرضهم وهو يهمس محاولا إخفاء ضحكة:

- «تفقدوا جيوبكم يا شباب وإلا اختفت محفظاتكم!»..

وتقهقه البقية، لكن (الزيبق) واصل سيره غير آبه وغير مكترث، فازدادت جرأتهم، ودمدم آخر بجدية مصطنعة:

- «أتقصد أن ثمة نشال بيننا؟»..

- «لقد حذرتك وعلى الباغي تدور الدوائر!»..

- «لا أصدقك!»..

- «أقسم لك! حتى اسأل.. أنت! يا صاح!!»..

وصنعوا سدا بينه وبين دربه، فتوقف..

قال العريض بمرح وهو يربت على كتفه بمودة ظاهرية غامزا لرفاقه بمكر:

- «أصحيح ما يقال؟ بأن ثمة نشال يتسكع بيننا؟»..

لم يرد (الزيبق) أو يستجب، فتغيرت لهجة الفتى العريض وهو يدفعه بشيء من حدة في كتفه:

- «أأنت أصم يا هذا؟»..

وصاح آخر مستنكرا:

- «إنه يخاطبك، أم أنك لا تفهم إلا بلغة الإشارة؟»..

وحرك أصابعه أمام شفتيه مقلدا قرد الشامبانزي، فتضاحك الأربعة!

ومن جديد تجاهلهم (الزيبق)، وحاول المرور من بينهم، لكن أحدهم أوقفه بأن شد غطاء رأسه وهو يهتف بغيظ ولؤم:

- «يبدو وأنك بحاجة إلى..»..

شده عندما وقع بصره على تلك الرقعة المخيطة من مؤخر رأسه!

كان شعر (الزيبق) غزيرا، إلا من تلك البقعة التي تشي بأنه قد أجرى عملية ما، وكان تأثير منظر تلك الرقعة مهيبا بالنسبة

للشبان، فصمتوا هنيهة، ومن ثم غمغم العريض مصطنعا الاستهتار واللامبالاة:

- «واو! يبدو مثل فرانكنشتاين!»..

- «هل أصبتَ رأسك يا مسكين؟ ألهذا أنت معتوه؟»..

حاول الابتعاد، ولم يكترث حتى لإعادة الغطاء على رأسه، وإن ضغط بقساوة على النكاشة الخشبية الأزلية بين أسنانه..

ثم عرقله أحدهم بساقه، في حين دفعه العريض في ظهره صائحا بغضب:

- «يا لك من مأفون!»..

وما إن سقط أرضا حتى ارتفع صوت أنثوي حازم:

- «دعوه!»..

التفتوا ليردوا بكلمة أو اثنتين، لكنهم تسمروا، وكاد العريض أن يصفر بشفتيه، لكنه صمت لسبب وجيه..

كانت «مدام ريكامييه» - أو (رزان)- هي فاتنة الكلية بلا منازع، وقد شعر العريض أنه سيفقد فرصة ذهبية في التقرب لها، بل وشعر ببعض الاغتياظ كونها قد لمحته وهو يتحرش بالفتى الصعلوك..

ودنت بخفة وحُسنها يشتعل بالغضب، كانت تحمل حقيبتها على كتفها وتحضن عددا من الكتب، ولم ترحمهم بل هتفت ثائرة:

- «يا لكـم من حفنة أوباش! تتحرشـون أربعتكم بشـاب وحيد؟ أهذه هي الشجاعة؟»..

همس العريض محاولا إرضاءها:

- «كان يتفوه بحماقات غير مناسبة يا..»..

- «ولا كلمة! تبا للرجال إذا كانوا من طينتكم!»..

ثـم وبنبرة أرق همسـت للزيبق معينة إياه علـى النهوض وبصرها المشفق لا يفارق تلك البقعة المرقعة من رأسه:

- «أأنت بخير؟»..

أخيرا، ردَّ الفتى مجيبا بجفاء:

- «أجل.. شكرا لكِ!»..

لاحظـت الصـورة التي سـقطت من طيـات ثيابـه، فالتقطتها بغية إعادتها له..

لكن بصرها تصلب على وجه صاحبة الصورة، وارتعشـت شفتها السفلى وهي تتمتم مشدوهة:

- «هل كنتَ.. تعرفها؟!»..

أظهر شيئا من التعاسة في ملامحه مجيبا:

- «يا له من سؤال!»..

ثـم شـيئا من الخشـونة وهـو يختطـف الصورة مـن بيـن أناملها، منسحبا بسرعة البرق..

ظلت مقرفصة في مكانها كالمصدومة.. في حين واصل هو طريقه وقد تلاعبت بسمة ذات طابع دهائي على شفتيه!

لقد أعد الصنارة وألقى بالطعم، والآن عليه أن ينتظر، أن يصبر، لا فارق بين ما يفعله وبين جولة على رقعة الشطرنج.. وعلى الرقعة لم يحدث وأن تهور يوما..

ولكن أثناء الانتظار، لا ضير من التسلي ببعض التمارين الرياضية!

هكذا وعقب نصف ساعة، وخارجا بين مواقف السيارات.. وجدهم أخيرا!

الطلبة الأربعة كانوا واقفين يدخنون ويتمازحون، فسار باتجاههم وهو يُمَسِّد أصابع قبضتيه استعدادا..

كيف حال اللياقة البدنية؟ عالية ولله الحمد!

القبضة متصلبة، سميكة كالخرسانة!

– «فرانكنشتاين قد عاد يا شباب!»..

– «كان محظوظا لأن الأمورة حمته!»..

– «والآن من ذا الذي سيحميه من..»..

قام بعدد لا يحصى من الانطواءات الجسدية في سبيل الدفاع عن بدنه، ثم عدل من قامته ليكيل لكمة أولية خطافية، جعلت الفتى الأول يثب قليلا عن الأرض، قبيل سقوطه أرضا كالمغشي عليه!

ثم طوى كتفيه وأطلق قدمه كمن يحاول اقتحام باب موصد، فالتصقت بالقفص الصدري للثاني!

ثم باعد من ساقيه ولطم مؤخر عنق الثالث بقبضة سددها من الخلف، وأكمل مسيرة ساقه لتتشابك مع ساق خصمه، فاختل توازن الأخير، ووجد نفسه يُقبل الأرض بشفتيه وأسنانه وأنفه معا!

ولم يصدق العريض تساقط رفاقه، كالذباب الذي تلقى بخاتٍ من مبيد حشري قاتل! فهجم بغضب وخوف معا..

الضئيل الصعلوك لن يقدر عليه هو، هو بالذات! وإلا لكان من صنفٍ غير صنف البشر!



الخصم

راقب (نجم) لهو (لمعي) الهستيري على جهاز «البلاي ستيشن»..

كان يتشنج بعصبية مُلحة تدل على توغل العنف في دمه، فمه مطبق على «مصاصة» الفراولة، عيناه مشدودتان نحو الشاشة ببريق متنوع من انعكاس الألوان المتحركة على الشاشة، ويداه تقبضان بإحكام على يد التحكم، وقد ارتعشت أنامله قبيل ضغطها المتواصل والعنيف على الأزرار!

بتؤدة همس (نجم) محاولا أن يبدو حياديا:

- «ثمة دراسة تؤكد أن إدمان مثل هذه الألعاب قد يؤدي إلى الصرع الدماغي! وفي أوهن الأمور تشنج في اليدين وعدوانية..».

ثم لاحظ أن لاعب (لمعي) قد كفَّ عن قتال الذكور، وابتدأ يطلق النار على عدد من الإناث أنصاف العاريات، يتأودن قبيل أن يتأوهن مع كل طلقة!

- «ناهيك عن تذبذب الأخلاقيات!».

هنا ضغط (لمعي) زر Pause، وترك اليد تنفلت من بين أصابعه ليسدد بنظرة إلى (نجم) لو أنها تقتل!

ارتبك الأخير، لكن ضحكة مفاجئة ومجلجلة من (لمعي) بردت أعصابه!

قال الفتى البدين لاعقا شفته السفلى كالظمآن ومظهرا لسانه المحمر:

- «يا بني، أنت تثرثر بكلام يناسب البرامج التعليمية للصغار! تاليا ستحدثني عن كيفية التخاطب بين الأفراد لزيادة الإنتاجية!»..

وحاول التمطي لولا أن صدرت عنه آهة أقرب للصيحة!

هب (نجم) واقفا وهو يتساءل بذعر:

- «ماذا؟»..

- «ألا تبا! أظنني قد.. قد..»..

- «قد ماذا؟!»..

- «قد.. أي! شيء ما يسري كالتيار الكهربائي في عامودي الفقري!»..

تبسم (نجم) هامسا بإشفاق:

- «أحسب أنه التعضيل! إنه وزنك الزائد يا صديقي! عليك أن ترحم بدنك قليلا من التهام الطعام كالفيل، والجلوس طيلة ساعات للعب على هذا الجهاز الأسود المشئوم.. سِر على مهل كل يوم لربع

ساعة محركا ذراعيك، وحين تجلس حاول طي ساقك اليمنى نحو أصل الفخذ، ثم ابسطها كما كانت من قبل، وبعدها كرر ذلك مع الساق اليسرى!»..

المضحك حقا أن (نجم) كان يثرثر ويُطبق ما يثرثر به عمليا، مُريًا (لمعي) الطريقة الأصوب للتطبيق، وقد راقبه الأخير بدهشة قبل أن يقول هازئا:

- «لم أعلم أنك مدرب تمارين سويدية!»..

فتح الباب ليظهر (الزيبق) على عتبته، وتسمر هنيهة حين وجدهما على تلك الوضعية العجيبة!

- «أرجوك لا تسأل يا زعيم!»..

- «أفضل ألا أفعل!»..

فاسترخى (لمعي) في جلسته قبيل تساؤله:

- «أين كنتَ يا زعيم؟»..

- «كنتُ أمارس بعض الرياضة لتفكيك عضلاتي المتراخية!»..

- «حتى أنت؟! أهو اليوم العالمي للتمارين السويدية؟»..

- «تماريني أنا كانت أقرب للملاكمة التايلندية!»..

أفلت (نجم) ساق (لمعي) مسترجعا قلقه المعتاد وهو يتساءل:

- «إذن؟»..

- «إذن؟»..

- «هل توصلت لشيء؟»..

- «ماذا عن عدة أشياء؟»..

وارتمى على السرير ليصدر زئزئة مزعجة بحق، ثم قال واضعا قدما على قدم ومتوسدا ذراعه:

- «شقيقتك كانت موضع إعجاب كثيرين، لم أسمع سوى رأي حسود لفتى وآخر غيور لفتاة.. حتى دكاترة الجامعة كان لهم نصيبهم من الإعجاب بها، الإناث بموهبتها، والذكور بجمالها!»..

احتقن وجه (نجم) بصورة ملحوظة، وكالعادة لاحظ (لمعي) ذلك، فهمس بوجل:

- «يا زعيم!»..

ومرة أخرى تراقصت النكاشة بسرعة البرق في فم (الزيبق)، فخفف من لهجته قليلا وهو يردف:

- «لدينا ذلك المحاضر المتحذلق المدعو (ضياء)، طلبة كثر كرروا حكاية اهتمامه الزائد عن الحد بها، وهنالك كذلك الدكتور (مرزوق)، تصور! ذاك البدين ال..»..

- «بم سيفيدنا ذلك؟»..

تنهد (الزيبق) لتلك المقاطعة، واعتدل أخيرا ليجلس بمواجهة الفتى الحانق هامسا:

- «ألا تريد قائمة بالمشتبه بهم؟»..

- «أريد الحقيقة!»..

- «ستحصل عليها لو دست على كوابحك قليلا!»..

وهرش شعر رأسه من أسفل الغطاء الأزلي الذي لا يرفعه إلا فيما ندر، وذلك لإخفاء أمر تلك الرقعة، هامسا بشيء من ضجر:

- «وعلى العموم لو انتظرتَ دقائق معدودة فلسوف تكون راضيا إلى حدٍ ما!»..

■ ■ ■

اقتحم (بنكي) الحجرة في تلك اللحظة..

كان يلهث وكأنه عائد لتوه من «ماراثون»، لكنه رفع ورقة لوح بها صائحا بغبطة:

- «لقد حصلت على كل المعلومات التي طلبتها يا زعيم!».

في تلك الأثناء كان التلفاز يعرض رسوما متحركة لفتت انتباه (لمعي)..

راقب الشاشة وهو يضحك قائلا وإبهامه مسددٌ صوبها:

- «إنهم يعرضون (وودي نقار الخشب)! ليس الرتيب الأحمق كثير الثرثرة.. بل الآخر.. الذي له أسنان وحَوَلُ المخابيل في عينيه!»..

وانفجر ضاحكا ونقار الخشب «يبهدل» الفقمة ذات الناب الناقص، ثم هتف بجذل طفولي:

- «ألن تشاهد يا زعيم؟ أليس هذا كرتونك المفضل الذي..»..

جمد الدم في عروقه لدى تلقيه تلك النظرة القاسية من (الزيبق)..

كان الموقف طريفا، لكن أحدا لم يضحك!

وكتم (نجم) استغرابه.. شعر ببعض الازدراء تجاه الفتى الصعلوك الذي يتظاهر بأنه شخص خطر، ثم يتضح أنه يعشق أفلام الرسوم المتحركة السخيفة، وأنصت بنصف انتباه للزيبق الذي قال دون أن يزيح بصره عن وجه (لمعي) المكفهر:

- «حسب تقرير الشرطة الذي أعطيتني إياه فقد غادرت شقيقتك حفل عيد الميلاد حوالي الساعة الحادية عشرة ليلا، وحسب روايات الشهود المجتمعة فقد تلقت اتصالا هاتفيا على محمولها الذي فقد لاحقا، والتخمين أن القاتل قد سرقه لأنه من اتصل بها..

عثر على شقيقتك في منطقة قريبة من الكلية، حيث سلسلة الحوانيت القديمة المعدة سلفا للهدم من قبل البلدية، الفتاة لم تمانع اللقاء في مكان كذلك المكان، فلابد وأن معرفتها بالقاتل وطيدة بحق، وإلى الآن كل الدلائل تشير إلى أن القاتل ذكر وليس أنثى، الاتصال، مكان اللقاء.. صحيح؟»..

- «أعتقد هذا..»..

- «وأنا لا أعتقد! لا تنس أن الغيرة سلاح قاتل كذلك!»..

اتسع بصر (نجم)، في حين دمدم (لمعي) هارشا بطنه باهتمام:

- «أتشتبه بفتاة معينة يا زعيم؟»..

- «لدينا قائمة! الراحلة كان لها أعداء غالبيتهم من الجنس اللطيف، ولربما سيتضح لنا أن نصفهن - على الأقل - لسن كذلك!»..

ونظر صوب (بنكي)، فلوح الأخير بالورقة التي جلبها قائلا بحماسة:

- «قمتُ بزيارة ميدانية للرفاق يا زعيم! في الشرطة والمنطقة المهجورة، لدينا (سميط) شمام الغراء الأحمق! الصبي شاهد ليلة الجريمة فتاة بمواصفات شقيقة (نجم) وهي تلج المنطقة التي اعتاد اللجوء إليها كي ينفرد بالعفانة التي يُدمنها!»..

- «هل يعلم كم كانت الساعة عندما شاهد الفتاة؟»..

- «يقول أنها كانت حوالي الحادية عشرة والربع..»..

- «كيف يعلم ذلك التوقيت؟ هل يمتلك ساعة؟»..

- «يمتلك يا زعيم، وهو متأكد كونه يرسم توقيتا زمنيا لعملية.. أنت تعلم!»..

قالها (بنكي) باسما وهو يتظاهر بالاستنشاق، فتبسم (الزيبق) راضيا، ثم عاد لإكمال المعلومات:

- «حسنٌ.. قتلت الفتاة بنصل حاد غرز في مؤخر عنقها، ثم..»..

توقف عندما لمح شيئا في عيني (نجم)..

صمت هنيهة، ثم تساءل بنبرة شديدة الهدوء والترفق:

- «هل أنت بخير؟»..

- «بخير..»..

- «أترغب بأن أكمل؟ أم..»..

- «أرجوك أكمل!»..

ثـم دعـك أجفانـه بكلتا يديـه، فبدا (لمعـي) واجما، أمـا (بنكي) فهرش جبهته مرتبكا!

انتظر (الزيبق) لثوان معدودة، ثم قال:

- «غالبية التقرير عبارة عن تخمينات.. (قمر) لم تواجه قاتلها بل أخـذت غيلة، المنطقـة كانت مهجورة، ولـم يكلف قاتلها نفسـه عناء جرهـا إلى داخل أحد المحلات المهجورة، بل تركها في ذات البقعة التـي قتلها فيها، تقدير زمن وقوع الجريمة بين الحادية عشـرة والربع والواحدة بعد منتصف الليل.. والآن..

أزمع الشـهود علـى أن (قمر) قد غادرت حفلة عيد الميلاد سـيرا على الأقدام، طبعا أجد في ذلك أشد أنواع الاستهتار واللامبالاة، إلا لـو كانت قد غادرت سـرا والجميع منهمك، هم يعلمـون تلقائيا أنها لا تملك سـيارة، وبصراحة هذه النقطة مثيـرة للاهتمام فعلا، ولربما كانت (جمانة) تلك محرجة للغاية وهي تدرك المشـكلة التي وقعت



بها عندما اكتشفت رحيل صديقتها أثناء مكالمتها والدتك.. متى وكيف رحلت؟ أم أنها على علم بتفاصيل أكثر؟»..

تفكر (نجم) وقد راقته تلك النقطة بشدة، وبسحنة شاردة في تلك التفصيلة الخطيرة تمتم:

- «أكمل أرجوك..»..

- «لدينا شهادة مشكوك بأمرها لكنها كذلك مثيرة للاهتمام.. فشمام الغراء (سميط) أبله، لكنه لن يصف فتاة بمواصفات شقيقتك من خياله حتما، ولكن، إذا ما أخذنا بتوقيته الزمني فسيكون ثمة تعارض ينافس تعارض المواد في جدول الطالب الجامعي المستجد!»..

سأل (لمعي) متحمسا:

- «كم تستغرق المسافة ما بين منزل (جمانة) وتلكم المساكن المهجورة؟»..

لم يجب (نجم) لأنه لم يكن يعلم تحديدا، لكن (بنكي) أناب عنه:

- «قمت بقياس المسافة كما أمر الزعيم.. المسافة سيرا على الأقدام تستغرق 40 دقيقة، أما بالسيارة فحوالي ربع ساعة فحسب..»..

- «إذن، فقد خرجت شقيقتك من الحفل في الحادية عشرة لتصل منطقة المسـاكن - حسـب كلام (سـميط)- في ربع ساعة سيرا على الأقدام.. أوليس هذا طريفا؟»..

كان صـوت أنفـاس (نجـم) مسـموعة الآن بوضوح، فقـد كانت متلاحقة!

وبالكاد سيطر عليها وهو يتساءل:

- «ما هي نظريتك؟»..

- «للأسـف لسنا متأكدين بنسبة مائة بالمائة من الشهادات الزمنية للـكل، فإمـا أن أحدهم يكذب كجمانـة، أو أحمق تماما كسـميط - وهو ديدنه-، أو..»..

- «أو ماذا؟»..

- «أو أن ثمـة متبـرع تعطـف بتوصيلة لشـقيقتك بالسـيارة لذلك المكان، ولربما كان قاتلنـا الذي نبحث عنه.. وهذا التخمين بالذات يروق لي.. كثيرا!»..



الضحية

الطلبة والطالبات يتحركون في الأروقة والممرات، هدير أصواتهم يملأ الأجواء ولا يكاد يتوقف، نفس الأصوات التي تسمعها داخل مجمع تجاري أو مطار أو في محطة مترو، ذلك الضوضاء البشري الذي لا يتوقف إلا لدى إغلاق الأبواب ورحيل كل فرد إلى منزله، ولربما كان الحارس الليلي هو الشخص الوحيد الذي يستمتع بالهدوء، والحفاظ عليه يُعد من مقتضيات وظيفته..

وككل ليلة، سار الحارس (بشير) منصتا باستمتاع للاشيء في الواقع! وقد اعتبر ذلك إيجابية هو بحاجتها، كيف لا ومنزله يعج بالصراخ الطفولي والنسوي طيلة الوقت؟

أحيانا يطلبون منه تسلم وردية نهارية رغم أنه وقع عقدا كحارس ليلي، لكنه مضطر للقبول على مضض، فلقمة عيشه لم تكن يوما سائغة كديدن الخلق..

في كل مناوبة ليلية يجب أن يفكر في حالة القحط التي بلغها، فهو مسئول عن أسرة تتدبر عملية الإنفاق بمشقة، وقبل شهر تقريبا تمكن



من استرداد زوجته التي تركت الشقة تاركة له ثلة من الأولاد العوائين كصغار القيوط، ورسالة سخيفة بخط قبيح تتهمه بالخنوع والبخل!

اربـد وجهـه هنيهة لما ذكـر ذلك، فهـو ليس بخيلا، من سيسـعد بثلاجة لا تعمل مثلا؟

لكن المرأة ترفض حتـى الإنصات إلى موضوع إصلاح الثلاجة، مطالبة بالطلاق إن لم يجلب واحدة جديدة!

لحسـن حظـه أن أهلهـا ممـن يعتبرون الطـلاق وصمة عـار على الأسـرة، مارسـوا ضغطـا مـن نوع مـا دفعها للعودة بسـحنة عابسـة، شـقيقها جلبها بنفسه وبسـيارته.. صحيح أن إطار السيارة انفجر أثناء الدرب، وأنها انسـلت محاولة الانتحار بالوثب من فوق الجسر أثناء محاولته تغييره، وبأن إنقاذها تم بمعجزة، وبأنه قد اضطر إلى أخذها من قسـم الشـرطة عقب الفضيحة وتلاوة الأقسام بأن الكل حمل نية صادقة في إصلاح ذات البين..!

أحـس (بشـير) بوخـز عنيـف يلتهـم وجهه، فاكتشـف أنـه حانق غاضب إلى حد لا يصدق!

حاول تهدئة نفسـه، واكتشـف أن كيـل عدد من الشـتائم المتهمة زوجتـه بالخسـة يريح قليـلا، والآن، لابد من سـيجارة وقهـوة ثقيلة استعدادا لسهرة العمل الطويلة..



سار إلى حيث المنضدة التي وضع على سطحها مطارة القهوة التي جلبها معه من الدار، فهو لا يستخدم ماكينة القهوة كي يقتصد..

ولكن ما إن لاحظ أن المطارة مفتوحة، حتى سلط بالكشاف يمنة ويسرة بعصبية، ثم صاح بعقيرة أرعبته هو نفسه:

- «من هناك؟!»..

الحارس (بشير) لا يملك سلاحا بالطبع، تلك ليست مشكلة بالنسبة له، لديه ذراع تفتت الصخر وتلوي الحديد، وفي مباريات «المكاسرة» هو الرابح دائما!

فوجيء بقدميه تتزحلقان، وذعر لثوان وهو يحاول التوازن والسيطرة على بدنه وساقيه! ولما نجح، وجه بضوء كشافه أرضا، فأبصر سائلا داكنا له رائحة القهوة!

احتقن وجهه.. ثمة من دلق قهوته على هيئة خط متواصل.. إن فكرة البعض عن المزاح أسوأ من السوء!

تتبع الخط شاعرا باغتياظه يزداد بازدياد طوله، لقد فقد القهوة لهذه الليلة، لذا أقل ما سيصنعه عندما يجد الوغد الذي..

■ ■ ■

وفي اليوم التالي، استيقظ البعض غير عالمين أن عوالمهم التي كانوا يألفونها قد حظيت ببعض التغييرات المفزعة!

أولئك كانوا من طلبة الكلية المتحمسين، الذين يستيقظون باكرا مفعمين بالنشاط والحيوية ليوم دراسي جديد، فيتناولون إفطارا متكاملا، ثم يحملون كتبهم قاصدين المستقبل!

بعضهم يحضر بسيارة خاصة، والبعض الآخر يقطن قريبا في إحدى الشقق المؤجرة والتابعة للكلية، وكل أولئك سيلعنون هذا اليوم بالذات كونه اليوم الذي رأوا فيه - وللمرة الأولى - جثة شخص مقتول بهمجية!

والأدهى أنهم يعرفونه.. الحارس (بشير) الذي يحفظون ملامح وجهه! إذ يستلم أحيانا وردية النهار، بعضهم كان يلقي التحية عليه، والبعض الآخر اعتاد الاسترسال معه في الحديث..

كانت صدمة لكل من عرفه، ولربما كان وقع الصدمة أخف وطأة على الذين لم يعرفوه حق المعرفة، لكن النتيجة شبه متقاربة، هذا كائن كان حيا واليوم قضى نحبه على يد شخص آخر قد يكون بينهم الآن، واقفا يطالع جريمته متصنعا البراءة..

ولربما مخططا لجريمة أخرى لا تقل شناعة!



معارك الذكاء

لـم يبدُ على شـخص مـن طينـة (ودود) أنـه يمارس لعبـة معقدة كالشطرنج..

كانت بداية إظهاره لموهبته الفذة عبر رقعة وحيدة في فناء الكلية، حيث طالع بشـغف مبـاراة بين اثنين من الزملاء، مبـاراة حامية فعلا، وتجمـع لا بأس به كان يتفرج بحماسـة، ليس الكل سـطحيا لحسـن الحظ، فهم يتابعون أحيانا نشاطا كالشطرنج، ويصفقون لنقلة مبهرة، وبالطبع للفائز في النهاية..

تحـول الفنـاء إلى رواق خـاص، وزاد عدد اللاعبيـن، ويبدو وأن الجامعـة قـد رحبت بالنشـاط الجديـد، فأقامـت الـدورات ومن ثم البطـولات، لكـن مشـاركة (ودود) فيهـا مؤخـرا كاد أن يدفـع الكل للجنون الحماسي المستعر، فالفتى عبقري بلا مواربة أو مداهنة!

صار مؤهلا لأولمبياد الشـطرنج التي تشارك فيها عشرات الدول، ثـم بدأ يخفف من نشـاطه زاعما أنـه غير مؤهل للمباريـات الدولية، رغم أن مستواه ينطق بالعكس تماما!



لكـن هذا لم يبعده عن سـاحة الشـطرنج، كانت بدايتـه برقعة كما ذكرنـا آنفيـن، ثم صار يلاعب خمسـة لاعبين علـى خمس رقع على الأقل!

فـي فناء الكليـة - كما تم الذكر سـابقا- تجده يتمشـى بين الرقع المتأهبة لخطوته التالية، بعضهم متسـرع، والبعض الآخر يأخذ وقته، فاللاعبين مدركون تماما أنه لا يكترث ولا يستعجل حتى ولو أمضوا بقية حياتهم في التفكير بالخطوة التالية!

لكنه - وفي قرارة نفسه- استشعر السأم فعلا..

وجهه بشوش كأفضل ملاك، يداعب هذا وذاك إلى جانب نصيحة مبسـطة كي يغير خصمه خطوته وإلا انتهـت المعركة باكرا، في ذلك تناقض، فهو يشـعر فعلا بالسأم لوقوفه منتظرا تحركاتهم التي يجدها دوما ساذجة..

لكن الغريب بالأمر أنه كذلك يستشـعر لذة وهو يقودهم للهزيمة النكراء مرارا وتكرارا!

تناقض عجيب في نفسـية (ودود).. لكنـه يرحب به! وحين يقف علـى رؤوسـهم لا يختلف شـعوره عن شـعور ملك رقعتـه الذي لم يسقط ولو لمرة واحدة!

لذا.. كان اليوم الذي ظهر فيه (الزيبق) أسطوريا!



في تلك المحاضرة التي صحح فيها (الزيبق) معلومات الدكتور المحاضر كان (ودود) من بين الحضور..

بداية، راقبه فاترا مستشعرا ذات السام، كان يعلم أن الدكتور مخطئ في معلوماته عن المقولة التي نسبها لجول فيرن، لكنه لم يجد محفزا لتصحيح الخطأ له..

ثم لفت المحاضر أنظار الجميع لذلك الصعلوك الجالس في الخلف كطالب المدارس الثانوية الفاشل، واضعا ساقا على ساق وقدما فوق قدم، وبالطبع طرد الصعلوك لصنيعه الخالي من الذوق..

تبدى اهتمام طفيف في ملامحه عندما كرر (الزيبق) ما ذكره المحاضر بحذافيره عن القلب والعقل وكل ذلك الهراء!

الفتى يحفظ جيدا لما يسمعه، تلك ميزة لكنها غير مبهرة ولا تدل على اطلاع..

ولكن.. وعندما التفت قائلا للمحاضر قبيل مغادرته:

- «على فكرة.. لم يكن (جول فيرن) هو قائل تلك العبارة.. بل (جورج ويلز)!»..

في تلك اللحظة، اشتد اهتمامه وهو يعتدل وسط قهقهات الطلبة والطالبات شبه المكتومة..

فالزيبق لا يبدو من تلك النوعية المثقفة التي سَمِعَت بأدباء من نوع ما، بدا كمن يصدر تلك الأصوات السخيفة بحنجرته واعوجاج

شفتيه مع بعض «التفتفة»، مقلدا إيقاع «الهيب هوب» الغربي الذي لا يطيقه بتاتا، فهو من هواة «البوب» و«الروك آند رول»!

بـل إن (الزيبـق) يبدو كأولئك الصعاليك الذين يتشـقلبون كذلك علـى بلاط الرقص المصقول! يتحولون إلى مراوح بسـيقان مفتوحة ورؤوسهم ملتصقة بالأرض! وفي رأي (ودود) الخاص ألا فرق بين مُصدر أصوات الإيقاعات البلهاء والراقص المخبول.. كلاهما متفق في الحماقة!

لكـن المعلومـة التـي ظفر بها لاحقا من مصدر سـري استخدمه لنبش شيء من ماضي (الزيبق) هي ما جعلته يوليه اهتماما أكبر..

يوجد اختبار عالمي هو عبارة عن أسـئلة وضعتها جمعية «مينسا» Mensa المهتمة بمؤشر الذكاء أو I.Q. عالي الدرجة..

وهـو اختبار ذكاء حـاد وضعته تلك الجمعية لإيجاد الأشـخاص المؤهليـن للانضمـام إليهـا، وبطريقـة رسـمية تقـدم (ودود) لذلك الاختبار، فحقق درجة طيبة فتحت له فرصة الانضمام..

ولكـن، أن يحقق شـخص الدرجات النهائية فـي ذلك الاختبار.. فذلك دليل على أنه عبقري!

وذلك العبقري الذي حقق تلك الدرجة كان..



اكتشف (ودود) في وقفته تلك أمام رقع الشطرنج أنه قد منح من وقته للتفكير في (الزيبق) حوالي ربع ساعة.. ذلك رقم قياسي يستحق مزيدا من الاهتمام لمعرفة الأسباب!

والآن.. ما أمثل تقنية للتغلب على شخص حقق الدرجات النهائية في اختبارات ال I.Q. ؟

تسمير القطع The Pin من الأمور الهامة التي تستحق عناية خاصة من اللاعب المبتدئ والمحترف على حد السواء، فهو يشل قطع اللاعب جاعلا منها فريسة سهلة لقطع الخصم الأصغر والأقل قيمة، فالقطعة المسمرة تعجز كليا عن الحركة، بسبب التهديد المستتر الموجه لقطعة أخرى تفوقها قيمة..

- «يبدو اللعب مثيرًا.. أنت أستاذ حقيقي!»..

- «شكرا..»..

وقد طالع (ودود) - في العقول قبل الوجوه- امتعاضا لتواجد (الزيبق)، تبسم باطنه وهو ينصت لأفكارهم الخاصة بشأن ظهوره المفاجئ، طربا لشتائمهم واحتقارهم لفضوله المزعج!

فكان لابد وأن يتبدى كالملاك! هكذا دأبه، وتلك لعبته! دائما وفي الواجهة هو ملاك أو أمير يحاول تحقيق السعادة للجميع، ولربما كان التواصل مع هذا الصعلوك البائس سيدفعه للاحتمال يوما آخر، كونه حادث أميرًا أو ملاكا!

- «ما قولك في لعبة سريعة؟»..

يُسمر الفيل الأبيض الحصان الأسود الذي لا يملك حراكا حماية لوزيره من تهديد الفيل، فيصبح بذلك فريسة سهلة لبيدق الأبيض الذي يهدد بأخذه في النقلة القادمة..

هنا، تحولت الأفكار المتهكمة والمحتقرة للحشد الواقف إلى ذهول امتزج بالسخرية، وضحك فؤاد (ودود) بوحشية عندما وجدهم يفكرون أن (الزيبق) يحسب لعبة الشطرنج الراقية دور طاولة في مقهى شعبي!

لكنه تبسم بأدب جم - ومصطنع - للفتى الصعلوك، وبتؤدة سأله:

- «أتلعب الشطرنج؟»..

- «لو لم أكن أفعل لما سألتك!»..

وفي ضرب آخر من ضروب التسمير يقع الوزير الأبيض فريسة سهلة لفيل الأسود، لوقوعه هو والملك على وتر واحد..

- «إذن؟»..

راقبه (ودود) بصمت، ثم..

- «هلم.. لعبة واحدة وسريعة!»..

ولم يتنبه لبسمة (الزيبق) بتاتا!

مثال متقدم على التسمير والكشة المزدوجة بآن واحد، إذ لا مناص لوزير الأسود من أخذ الفيل، وبالتالي الوقوع فريسة سائغة للحصان الذي يكش الملك ويكشه في آن واحد في النقلة التالية..

(ودود) محتفظ بوجه هادئ.. لكن أعماقه تصرخ كمن يتلوى في السعير!

والأدهى أن، أن الفتى خاو! لا أفكار داخل رأسه! من أي نوع!! كيف ذلك؟ كيف؟!

كان من السهل على (ودود) اختراق عقول الجميع ومطالعة أفكارهم، الجميع دونما استثناء، بكل بساطة يفكر بالشخص القريب منه دون الحاجة للنظر في وجهه حتى، فينصت إلى أدق أسراره!

المحاضر الذي يساعد الفتيات طمعا بهن، الطالبة التي فقدت عذريتها مؤخرا، والطالب الذي تسبب بذلك! العميد الذي يعاني مشاكل مالية، وآخر لديه مشكلة معاقرة الشراب، و.. و..

كلهم عبارة عن كتب مفتوحة! اعتبار عقولهم كتبا يعد حماقة أساسا، فهم أقرب لخراف بلهاء خاوية العقول!

فلنقل عقولهم مفتوحة كالأبواب على مصراعيها أمام (ودود)، وهو المستغل الأول لكل دفق الأفكار المنهمرة كشلال المجارير.. كلما كانت أكثر قذارة وانحطاطا كلما ازدادت سعادته!

- «هل لاحظت؟».

- «إنه لاعب جيد!».

- «بل هو رائع! ترى هل سينجح في دحر (ودود)؟!»..

وفي كثير من الأحيان يكون التسمير هو العامل الرئيسي في إماتة الملك، حيث يكش حصان الأسود ملك الأبيض، فيضطر للأخذ

بالبيدق كون الرخ مسمرا حماية للملك، والذي يتيح للأسود إنهاء الدور بكش الملك من المربع ر3 (أو ح3 بالطريقة الجبرية)..

يقهرني؟ أنا؟!

والتهبت أعماق (ودود) بنيران سوداء مبغضة، فرفع بصرا حادا كأنه يحاول به ثقب رأس هذا الكائن العفن الجالس أمامه ويدعونه باسم (الزيبق) الغبي!!

كان اللعين يداعب طرف نكاشته الخشبية المتدلية من فمه، وهو يطالع رقعة الشطرنج منتقيا نقلاته بأكبر قدر من البساطة، كأن العالم ملك يمينه!

اشتعلت نيران وحشية في مقلتي (ودود) محاولا الظفر بأية فكرة.. أية فكرة تساعده! لكن لا.. الوغد الصعلوك كان يحمل بين كتفيه رأسا كأشد الخزائن تحصينا، رأسا مصمتة تماما لا تسمح بتسلل فكرة وحيدة خارجا!

لماذا؟ لماذا؟!

يمكن أن يؤدي التسمير في كثير من الأحيان إلى ضرب «كش مات» في المراحل الأولى من الدور، كما في الطريقة المكتوبة بالجبرية:

1 - 45 ح - و6

2 - ج4 هاء 5



3 – د X هاء5 ح – هاء4

4 – ح – د2 ح – ج5

5 – ح – و3 ح – ج6

6 – أ3 و – هاء7

7 – ز3 د6

8 – هاء 65 X ح – 35

ويتضح من هذا الدور أن اليقظة هامة وواجبة جدا، عندما يضع الخصم وزيره على نفس الخط – أو الوتر – الذي يحتله الملك..

– «كش!».

■ ■ ■

تحولت مباراة الشطرنج بينهما إلى حدث رياضي هام!

الطلبة يتجمعون ويحدقون باهتمام وصمت وأنفاس متقطعة للنقلات العبقرية لكلا اللاعبين، لا أحد يصفق، فالكل ينتظر النتيجة النهائية بفارغ الصبر!

لكن المباراة الحقيقية كانت في التحديق.. نظرات (ودود) التي حملت الحيادية الممتزجة ببعض الاحتداد ضد تلك النظرة الثابتة غير المتزحزحة من مقلتي (الزيبق)..

– «كش!».

كان أحدهما يفكر محموما: «لا يجب أن أفترض أن منافسي سيحاربني بذات الطريقة التي أحاربه بها، علي أن أضع نفسي مكان خصمي، وأن أعمل حسابي الكامل لكل حركة أو سكنة ممكنة له، وبذلك أرد كيده لنحره!».

- «كش!».

«ما الشيء الذي قد يقدم عليه منافسي استنادا للوضع وليس نظرتي؟ اعتمادا على القواعد التي يتبعها لا قواعدي؟ وفي ضوء ثقافته وليس ثقافتي؟!».

- «كش.. مات!».

بينما فكر الآخر - لتسجية الوقت- في حكاية طريفة تتحدث عن كمين شفوي أعده خصم سياسي لآخر ينافسه أثناء مناظرة تلفازية:

- «هنالك أكثر من مائة طريقة لجمع المال، ولكن لا توجد سوى طريقة واحدة لجمعها بالحلال..».

تساءل الآخر:

- «وما تلك الطريقة؟».

فأجابه الأول باسما باستهزاء:

- «كنت على يقين بأنك لا تعرفها!».

I.Q.

إليك نسخة مُعربة من الأحاجي التي وضعتها جمعية «مينسا» Mensa المهتمة بمؤشر الذكاء أو I.Q. عالي الدرجة..

هذا النموذج لاختبار يستنفر العقل، وقد يساهم بمعرفة ما إذا كان الشخص مؤهلا للانضمام إلى أعضاء تلك الجمعية البالغ عدد أعضائها 70 ألف شخص من مختلف أنحاء العالم:

الأسئلة:

1 - نقفت قطعة نقود معدنية، فوقعت ووجهها للأعلى 10 مرات متتالية، فما احتمالية وقوعها على هذا النحو في النقفة الحادية عشرة؟ بفرض أن القطعة ظلت سليمة من أي نوع من أنواع التلاعب؟

2 - لو كنت مسئول التوظيف في بلدة سكانها إما كاذبون فلا يصدقون جميعا أبدا، وإما صادقون فلا يكذبون جميعا أبدا، وجاءك طالب وظيفة لمقابلتك وبدا أنه شخص أمين، وقال

لك أن المرأة التي ستقابلها بعده أخبرته أنها كاذبة، فهل كان كاذبا أم صادقا فيما قاله؟

3 - أي من الكلمات التالية التي اختلطت حروفها غريبة بين الثلاث الباقية إذا أعيد ترتيب حروفها على النحو الصحيح؟ (تيبور، قمشد، قرناة، طارلبا)

4 - ما الرقم الناقص في التسلسل الآتي؟ (3 - 7 - ..... - 63 - 127).

5- إذا كان 40 خبازا يخبزون 20 قطعة بيتزا في ساعتين، فكم ساعة يقضيها خبازان لصنع 10 قطع؟

6 - نسبة جزيرة «سيلان» إلى «سريلانكا» تشابه نسبة القسطنطينية إلى: (القسطنطينية الجديدة - لنينغراد - لندن - اسطنبول)

7 - تنافس خمسة أشخاص في سباق، ولم يكن في النتيجة تعادل، (عمر) لم يأتِ الأول، (ملاك) لم يأتِ الأول ولا الأخير، (سياف) جاء بعد (عمر) بمرتبة واحدة، (أنبل) جاء عقب (جرير) بمرتبتين، فكيف كان تعاقب وصول المتسابقين؟

8 - المثل القائل «إن الطيور على أشكالها تقع» يعني: (أ. أن كل الطيور المغردة تتجمع دائما في سرب؟ ب. أن العصافير المريشة تحيا في هناء؟ ج. أن الناس ينزعون إلى الاجتماع بأشباههم؟ د. إذا رأيت عصافير كثيرة معا فالأرجح أنها



مـن لون واحـد؟ ه. الطيور غير المريشـة منبوذة لـدى الطيور المريشة؟)

9 - إذا كانـت ابنة (حنين) هي أم ابنـي، فما قرابتي بحنين إذا كنتُ رجلا؟

10 - (أ) لا تأكل السـمك ولا السـبانخ، (ب) لا تأكل السـمك ولا الفاصوليـا، (ج) لا يأكل القريدس ولا البطاطس، (د) لا تأكل لحم البقر ولا الطماطم، (هـ) لا يأكل السـمك ولا الطماطم، إذا أقمـت وليمـة لهـؤلاء المتعنتيـن، فـأي الأصناف سـتقدم لهم؟ (الفاصوليا - الكرفس - الخس - السمك - لحم البقر المشوي - الدجاج المحمر).

11 - جميع أحفادي دون السـابعة عشرة من العمر، جميع حفيداتي جميـلات، جميع أحفادي شـقر الشـعر زرق الأعين، ولأكبر أحفادي شـعر أحمر طويل.. السن القانونية للاقتراع 18 سنة، فأي من هذه العبارات يمكن إثباتها من المعلومات المذكورة؟ (أ. أكبـر أحفـادي لا يحق لـه أن يقترع ب. أكبـر أحفادي فتاة جميلـة ج. أصغر أحفـادي لا يقود سـيارة د. لأصغر أحفادي شعر أحمر قصير)

12 - البطاطا بالنسبة للفستق كالتفاح بالنسبة ل: (الخيار - الزنبق - الدراق - الطماطم)

13 - يتسلق حلزون جدار بئر، عمق البئر 6 أمتار، كل نهار يتسلق الحلزون مترا واحدا، وكل ليلة ينزلق للوراء مسافة نصف متر، عقب كم يوم يخرج الحلزون من البئر؟

14 - على الرف مجموعة من 3 مجلدات عربية مرقمة 1 و2 و3 من اليمين لليسار، وعلى الرف أيضًا سوسة تنخر الكتب، سماكة الصفحات لكل مجلد 5 سم، إذا بدأت السوسة النخر خارج الغلاف الأمامي للمجلد الأول، واستمرت حتى الصفحة الأخيرة من المجلد الثالث، فكم سنتيمترا تنخر؟

15 - شاب كان يعمل مع بعثة للتنقيب عن الآثار، فاتصل برئيسه وهو متلهف كي يخبره بعثوره على قطعة نقود ذهبية نقش عليها أنها سُكت في العام السادس قبل الميلاد، فما كان من رئيس البعثة إلا أن طرده من عمله.. فلماذا؟

■ ■ ■

الأجوبة:

1 - الاحتمال واحد من اثنين، إذ ليس لقطعة النقود ذاكرة..

2 - كان يكذب، لأن الكاذب لا يقر أنه كذلك!

3 - الحروف المختلطة تؤلف أسماء العواصم الآتية: (بيروت - دمشق - أنقرة - الرباط) أنقرة هي الغريبة لأنها ليست عاصمة عربية..

4 - 31 يضاعف في كل رقم ويضاف للحاصل واحد..

5 - 20 ساعة..

6 - اسطنبول هو الاسم الحديث للقسطنطينية، كما أن سيريلانكا هو الاسم الحديث لجزيرة سيلان..

7 - (جرير) كان الأول، وجاء في إثره (ملاك)، ثم (أنبل)، ثم (عمر)، ثم (سياف)..

8 - (ج)

9 - صهر (حنين)

10 - دجاج محمر وكرفس وخس..

11 - أ. العبارات الأخرى يمكن أن تكون صحيحة أو مغلوطة، ولكن لا يمكن الجزم بها اعتمادا على المعلومات المتوافرة، مثلا: أكبر الأحفاد قد يكون ولدا وليس بنتا!

12 - التفاح والبرقوق ثمار تجنى من الأشجار، كما أن البطاطا والفستق يجنيان من الأرض..

13 - أحد عشر يوما، الحلزون يرتقي مسافة نصف متر كل يوم، في اليوم العاشر يصل إلى ارتفاع خمسة أمتار، وفي اليوم الحادي عشر يبلغ فوهة البئر ويخرج منها ولا ينزلق بعد ذلك..

14 - 8 سنتيمترات وثلاثة أرباع سنتيمتر، ضع ثلاثة مجلدات على الرف وانظر إليها، إذا بدأت السوسة خارج الغلاف الأمامي

للمجلـد الأول فإنهـا لا تمسـه، ثـم تنخـر المجلـد الثاني كله وتتوقـف عنـد الصفحة الأخيرة مـن المجلد الثالـث، وهكذا لا تنخـر سـوى غلافـه الخلفـي، فيكـون مجمـوع مـا نخرت بالسنتيمترات:

- المجلد الثاني بصفحاته وغلافيه: 7.50 سم
- الغلاف الخلفي من المجلد الثالث: 1.25 سم
- المجموع = 8.75 سم

15 - يستحيل أن ينقش على قطعة نقود أنها سُكت في العام 6 قبل الميلاد، فكيف تؤرخ قطعة نقود نسبة لميلاد لم يحدث بعد؟



الصليب

الألسنة تتناقل أهم حدثين وقعا في الكلية مؤخرا..

الأول هو مقتل الحارس التعس (بشير).. من قتله؟ ولماذا؟ وهل سيقبض على قاتله؟

أما الثاني فكان فوز (الزيبق) على (ودود) في مباراة الشطرنج حابسة الأنفاس!

وبدا وكأن (الزيبق) قد أتى ليبرهن على وجوده، فكلما ظهر راقبه الجميع باهتمام، ولربما حياه البعض تحية الصباح كنوع من التزلف..

قد تلتمع نظرة شغوفة ممتزجة ببعض الرهبة من حين لآخر في عيني فتاة، كما أن الشبان قد كفوا عن الهمز واللمز من وراء ظهره، إذ بلغهم مصاب (عاصم) - وهو ذاك الفتى العريض الذي كان يتحرش بالزيبق مع رفاقه- في موقف السيارات، فالفتى رياضي هو وشلته، وضربهم بتلك الطريقة يستحيل أن يتم بتلك البساطة، وممن؟ من الفتى الصعلوك! ولوحده دون أن يستعين بأحد!

كان (الزيبق) يكسب أرضا جديدة كل يوم، خصوصا عندما تناقل الطلبة ما تقوم به شلته - شلة (راس الغول)- في السكن لمد يد العون لأي طالب أو طالبة في محنة معينة، فنشروا قصصا عجيبة عما كان (الزيبق) وأعوانه يصنعون هنا وهناك، لهذا وذاك، وكيف أنهم على استعداد لتقديم المزيد!

إذن، صار خبر (الزيبق) وشلة (راس الغول) عالميا على كل لسان الآن، ليسوا مجرد عصابة ما، بل هم شلة من طراز خاص وعجيب للغاية، قدموا خدمات يستحقون الاحترام عليها، وبلا مقابل!

وبدا وكأن شعبية (ودود) في تراجع، ولم يبد الفتى الوسيم آبها، بل إنه في مرة استوقف (الزيبق) ليصافحه قائلا بمودة:

- «كانت مباراة رائعة يا (زيبق)!»..

لكنه كان يغلي داخليا.. متمنيا لو سنحت له فرصة تهشيم رأس هذا المتصعلك الكريه!

ولم يتجاهله (الزيبق) كما يصنع مع الكل، بل صافحه قائلا بتؤدة:

- «وأنت خصم رائع!»..

لكنه كان يشعر أنه يجب أن يقترب أكثر لكشف ما يخفيه مشتبهه المفضل في قضية مقتل (قمر)!

■ ■ ■



ثـم كسـب (الزيبق) أرضـا جديدة عندما شـهد الجميـع - دونما استثناء- جلوسـه مع حسـناء الكلية (رزان) على طاولـة واحدة في الكافيتريا!

كان هـذا أكثر من كافٍ.. وبالنسـبة للجميع، تحـول (الزيبق) إلى شـخصية لا يشـق لها غبـار! الطلبـة يراقبونـه بنظرات تجمـع ما بين الحسد والإعجاب، في حين يرمقن الطالبات (رزان) بنظرات تتقاطر غيرة ولؤما، ومن ثم (الزيبق) بنظرات الازدراء الممتزجة بالإعجاب!

لقد تحول الصعلوك إلى شخصية ألمعية بعدما كان مجرد نكرة..

ولكن لهذا الهرج كله هدف واحد فحسب!

كانـت الصورة التي رآهـا (الزيبق) لرزان في ألبـوم (قمر) تحمل تلك الملحوظة المدونة بخط الأخيرة النضيد: «مدام ريكاميه»

لم يسـأل (نجـم) عن معنـى ذلـك.. كان لماحا كعادتـه، وتمكن ببحث بسـيط من ربط (رزان) بلوحة (دافيد) الشـهيرة.. وقد أدهشـه الشـبه الواضـح بينهمـا، وأقر لذاتـه أن (قمر) - رحمهـا الله- كانت تمتلك بصر وبصيرة فنان حقيقي..

يصمـت راقب ملاعبة (رزان) لقشـة شـفط العصيـر، وهي تقلب مكعبات الثلج داخل كأسها، باسمة بشيء من ارتباك..

ثم..

- «أنت لا تتحدث كثيرا!».

ظل صامتا.. في الواقع كانت تلك أول محادثة مباشـرة وصريحة لـه مع أنثى، وتذكر المهمة التي قدم لأجلها، فقال ببسـاطة من اعتاد الكذب دائما:

- «كنا - أنا و(قمر)- نتحدث كثيرا..».

- «رحمها الله.. كانت أجمل وألطف من قابلت..».

ثم تساءلت بفضول واضح:

- «أحقا كنتما متحابين؟»..

- «أفضل ألا نخوض في ذلك!»..

- «أوه! معذرة لو أزعجتك.. ولكن..»..

تحركـت طبيعتـه العمليـة المطـاردة للمعلومـات طيلـة الوقت، فتساءل:

- «هل كانت تطلعكِ على جميع أسرارها؟»..

ولمـا رمـق نظرتهـا المندهشـة لعـن نفسـه بالسـر، هو لـم يخلق لاسـتجواب الفتيات بأنعـم الطرق، وكم تمنى تحصيـل المعلومات التي يحتاجها والرحيل مسرعا..

لاحظ - بضيق- نظرات الزملاء والزميلات المتخابثة، فازدادت سرعة تلاعب ثغره بنكاشته الخشبية..

- «ألا تنزع تلك النكاشة عن أسنانك؟»..

- «أبدا!»..

قالها بعقيرة محتدة ومرتفعة بعض الشيء، فأظهرت تفاجؤًا وارتباكا بأكثر من ذي قبل..

تسمر هنيهة، ثم أظهر أسفا مباغتا لاعنا نفسه بغيظ داخليا، وقال متظاهرا بالاهتمام بينما نفسه تكاد تختنق من نفاد صبره:

- «هل تستهويكِ الهندسة المعمارية أم أنها رغبة والديكِ؟»..

كان يعرف الإجابة سلفا، لكن تظاهره بالاهتمام بدا ماكرا، فقد صدقت ملامحه مجيبة وهي تتنهد:

- «رغبتهما.. لكنها النهاية بالنسبة لي، لن أكمل.. الفصل القادم هي كلية الاقتصاد!»..

- «آسف لسماع ذلك، ولكن ما الأسباب؟»..

- «الدنيا!»..

- «آها!»..

تبسمت هامسة وهي تشبك أناملها بطريقة محببة:

- «ماذا؟ أفهمت ما أرمي إليه؟»..

- «طبعا.. الحياة العملية! نقطة نهاية الأحلام وبداية محاولة اللحاق بركب الدنيا الكئيب!»..

- «لقد عَبرتَ عما يعتمر داخل نفسي بالضبط!»..

- «لكن الهندسة المعمارية مناسبة كذلك لبدء حياة كريمة، فمجالها مطلوب حسب علمي..»..

- «ليس في هذه الأيام الحالكة، ليس تخصصا مطلوبا بقدر هندسة الحاسب الآلي أو الاتصالات أو المحاسبة..»..

- «شيء طريف!»..

- «وما الطريف فيه؟»..

كاد يصرخ أنه مسلسل الدنيا الأزلي الذي سئمه.. وبأن حكاية كل شخص يحسب أنها مميزة وصالحة للتحول إلى فيلم هي ذات الحكاية المكررة دائما وأبدا منذ الأزل!

فكر في عدد بين واحد وعشرة، ضاعفه وأضف عشرة للحاصل، ثم قسم المجموع على اثنين، وأخيرا اطرح من الخارج العدد الذي فكرت أنت فيه واخترته منذ البداية..

في كل الأحوال سيكون الفرق خمسة.. دائما!

كانت تتحدث في شيء ما.. وكان يراقب كدأبه..

ولكن مع مرور الوقت، حديثها شده في شيء، وجد نفسه ينصت ببطء، ثم نظر فوجد عينان ممتلئتان حيوية وحبا للحياة، حركة الأنامل المقلبة لقشة شرب العصير فيها شيء مختلف، لا يجرؤ إطلاق مصطلح «أنثوي» عليه..

ثم تصلب على جيدها الآخذ بزحزحة تلك السلسلة عن عنقها من فرط إيماءاتها المتكررة برأسها، تتحرك كثيرا، وفي النهاية تدلى ما كان عنقها يحمله..

كل الصلبان التي تتقاطع بمحض الصدفة قد تسبب الشقاء، إصبعان متقاطعان، سكين وملعقة وضعتا فوق بعض عرضًا على المائدة، أيادي أربعة رفاق يفترقون، وكل ما يماثل ذلك نذير شؤم!

وأي سرير لمريض يتقاطع عموديا مع عوارض سقف غرفته يحتاج لوقت أطول كي يشفى.. وإذا رُسم صليب فوق مدفأة منزل ما حماه من العواصف والحرائق، ويمكن كذلك عصم حيوان من المرض برسم صليب على جبهته!

وإذا وضعت أربعة صلبان من القش حول أحد الأسرة طردت المخاوف الليلية والكوابيس!

أوقف سيل المعلومات المنهمر في ذهنه عن الصلبان متسائلا:

- «أنتِ مسيحية؟»..

تنبهت لبصره المتشبث بالصليب المتدلي على نحرها، فتبسمت متلمسة إياه هامسة:

- «أأنت متفاجيء؟»..

- «ولِمَ أتفاجأ؟»..

- «لا أعلم.. كذا شعرت!»..

وتوردت وجنتاها حين لاحظت أنه لا زال ينظر بإصرار، فسارعت لإخفاء صليبها بقبضتها، مم دعاه للتنحنح مدمدما:

- «أرجو المعذرة، لكنه أقرب لقطعة أثرية نفيسة..»..



- «لا أعلم عن ذلك، أهدتني إياه شقيقتي الكبرى..»..
- «لديكِ شقيقة كبرى؟»..

رمته بنظرة مستنكرة وهي ترد ضاحكة:

- «ولماذا لا يكون لدي؟!»..
- «قصدت أن هذا.. أمر حسن!»..

أرجحت برأسـها بلا معنى، ثم أسـرعت تتسـاءل بجـذل طفولي وكأنها تحاول تغيير دفة الموضوع:

- «هل اسمك (الزيبق) حقا أم أنه مجرد لقب ينادونك به؟»..
- «بل هو اسمي، كما أنه لقب عائلتنا!»..
- «ولكن أليس الزيبق شخصية شعبية؟»..
- «هو شخصية حقيقية كما يقول بعض المؤرخون ووالدي، وهو فخور أننا ننحدر من نسله..»..
- «شيء طريف!»..
- «وما الطريف في..»..

ثم صمت باسـما لمـا تفهم اللعبة على نحو ما، في حين تبسـمت بشيء من مكر محاولة ألا تركز على عينيه المهمومتين كثيرا!

مسافات

كان حفل التكريم مملا.. مملا!

وظاهريـا.. بـدا وكأن (ودود) أنيـق الهندام يستمتع بوقته، يوزع ابتسـاماته الأسـرة، ويصافـح بلباقـة، ويحـادث رجـال الأعمـال بدبلوماسـية، وبناتهن بشـيء من غزل لجمالهن «المزعوم» وأناقتهن المفرطة!

لكنه – وداخليا- كان يغلي!

المناسـبة متعلقـة بوالدتـه، دائما بوالدته، سـيدة الأعمـال التي لا تهـدأ ولا تكل، وعلـى المجتمع أن يتظاهر بالامتنـان، تكريم وحفل ودرع وشهادات تقدير و«بوفيه» وضحكات زيف وتزلف وتملق، مع عشرات الصور التذكارية الملتقطة للصحف والمجلات!

وصعـدت والدتـه لتبـدأ عقـب تسـلمها درع التطـوع الخـاص بالشـخصيات المتطوعة المتميزة بسرد خطبة وجدها (ودود) مبتذلة لأبعد الحدود، حديث ممل، ممل! عن اعتزازها بهذا التكريم، وكيف أنـه أهم شـيء حصل لها فـي حياتهـا، وتوجهها بالشـكر اللامتناهي



لأعضاء الجمعيـة، وتعهدهـا بمواصلة العطـاء اللامتناهـي، وكيف أن هـذه الخطوة محفزة للأجيـال القادمة كي يلجوا بحماسـة عوالم الإيثـار، وبـث روح التطوع والسـعي لعالم أفضل فيـه راحة وخدمة للجميع!

وصفق الجميع بحماسـة منقطعـة النظير، وكان (ودود) أشـدهم حماسة، حتى أنه نهض مواصلا التصفيق، فحذا الكل حذوه..

لكنه كان يغلي من الداخل..

(الزيبق)!

(الزيبق)!!

اسمه السـخيف، ملامحه الأقرب لملامح صعلوك.. ثيابه التافهة الشـبيهة بثياب مطـرب «هيب هوب» بغطـاء الرأس المبتـذل، وفمه المتلاعـب طيلـة الوقـت بتلـك النكاشـة الخشـبية اللعينـة كنية عن الاستهتار!

ولكن كيف؟ كيف لم ينجح في اختراق ذلك الرأس كما صنع مع الجميع؟!

حتى (قمر)! الساحرة التي شاءت لها الأقدار وقوعها بين براثنه.. بـادئ ذي بـدء اعتبرهـا فريسـته التي سـيضمها إلـى سـجله الحافل بالصديقات، وقد كان بإمكانه إرغامها على تقبله لولا تلكم المشاعر التي كنها لها بصدق!



كان أول لقاء بينهما بمثابة النقطة التي جذبتها إليه، ثم كثرت اللقاءات بينهما لمجرد تجاذب أطراف الحديث عن منهاج الكلية، وعن التخرج، وتصور المستقبل، وكل ذلك الهراء الذي يمقت الخوض فيه..

كانت اللقاءات دوما عمومية، خصوصا في «كافيتيريا» الكلية، لا زال يذكر ذلك اليوم الذي فاتحها فيه بموضوعهما، تذكر كيف تبسمت بسمة أثارت شيئا في داخله، كانت سعيدة، وكانت تحبه..

في خاطرها رأى كيف تحول الموعد إلى حدث تاريخي يثبت مدى صدقه ونيته في الاقتران بها، وكاد يصفع نفسه لما تذكر زيارتها للفيلا بحجة تعريفها على والدته، رفضت في البداية لكنها أذعنت عندما استخدم سلطة الإقناع، كان يشعر بحرب دائرة في داخله وهو يتأملها، بقوته يستطيع جعلها تذعن.. سبق له وأن جعل من هن أعسر منها مراسا جاريات تحت قدميه!

لكن لا.. ليس (قمر)!

ابتدأ حضور الحفل المقيت زيارة «البوفيه»، ثلاثة أرباعه مأكولات بحرية طبعا، كأن الكل يتحضر لليلة زفافه! بوسعه أن يرى داخل غالبيتهم أن الموضوع جدي حقا وليس مزحة، خصوصا الحيتان الكهلة التي تراقب عذراوات الحفل بأبصار متسعة نهمة!

تبسم بشيء من تهكم، وراقب باحتقار تلك السيدة الارستقراطية البدينة التي تهمس لرفيقتها مصطنعة ضحكة وهي تملأ طبقها بالخرشوف المطبوخ:

- «أربعة كيلوغرامات ونصف! خلال شهر واحد فحسب!»..

- «يا لكِ من شجاعة ذات إرادة صلبة يا عزيزتي!»..

ثم آخر يهمس لرفيقه في كبرياء:

- «كلهم يعرفونني، أقلعت منذ سنة عن الكحول، وقريبا عن السيجار، فصحتي لم تعد تتحمل المزيد..»..

- «كان الله بالعون يا مولانا!»..

وواحد أكبر سنا للسيدة راعية الحفل وبنبرة ضيق:

- «ضرب الزوجة جريمة! نمط من أنماط التسلط القسري، شخص يسيطر على آخر، فيجعله يهابه ويتوجس مما قد يفعله فيه أو ذكر ما يضمره له!»..

- «الحق معك يا سعادة السفير!»..

لكن أفكارهم كانت أكثر مدعاة للاهتمام!

السفير على سبيل المثال كان يتمنى لو يستطيع تحطيم عظام زوجته الجاحدة كثيرة المصاريف والفكاك منها للأبد، لكنه خائف على منصبه من الفضائح..

أما السيدة الارستقراطية البدينة فقد كانت صادقة بشأن العدد أربعة ونصف، لكنها كاذبة بشأن فقدان تلك الكيلوجرامات!

وبالنسبة للرجل الذي أقلع عن الكحول، فهو لم يقلع فعليا، ولهذا سيبدأ به..

نظر تجاهه، وراقبه بإمعان باسما بلزوجة..

هكذا، وبلا تردد، تناول الرجل كأسا وشربه باعتيادية، ويبدو وأن رفيقه قد لاحظ ذلك، لكنه لم يجسر على النطق..

غادر (ودود) عقله بعدما أمره بتجرع أكبر كمية من ذلك السم لدرجة الثمالة، متجها في زيارة خاطفة لعقل الارستقراطية البدينة، وهناك ابتدأ المرح الحقيقي..

طبق المرأة كان مزدانا بالخضراوات، لكنها مدت يدا مكتنزة لتقبض على بعض أضلع «الريش» كذلك، ثم ألحقتها بعدد من شرائح «الستيك»، ومن ثم أفخاذ الدجاج، وصبت المرق فوق ذلك كله، ثم ملأت طبقا بأكمله من البطاطس المهروسة مع كمية من الصلصلة والمايونيز كافية لإتخام خرتيت!

كل ذلك ورفيقاتها يطالعنها بنظرات عدم التصديق!

الرجل ابتدأ يثمل فعلا، لقد شرب كثيرا جدا، ودفع بمرفقه كل من حاول نصحه بالكف، أما المرأة فقد جلست للبدء بعملية التهام ما جلبته من «البوفيه»، فلفتت أنظار الكل تقريبا لطريقتها المقززة

بـالأكل، حتـى أن (ودود) أنصـت - بطرب - لعددٍ مـن الأفكار التي وصفتها بالخنزيرة الجشعة!

والآن.. إلى الفضيحة الكبرى!

- «معذرة يا أماه.. فقد حظيتِ بوقتك، والآن حان وقتي!»..

كذا همس (ودود) لنفسه وهو يرمق ساخرا والدته من بعيد، والتي لم تشعر بشيء مم يدور حولها!

تـرى ماذا سـتقول الصحافة غدا عندما ينهال السـفير لكما وركلا على راعية الاحتفال؟!

أخيرا سيستمتع بوقته جم الاستمتاع!

■ ■ ■

- «العشاء وصل!».

قالها (بنكي) مقتحما الغرفة وحاملا عددا لا بأس به من الأكياس، فترك (لمعي) يد التحكم تنزلق أرضا، ونهض كديناصور «تي ريكس» صائحا بنهم:

- «أخيرا! هلم يا زعيم لتناول..».

تنبه للزيبق الساهم تماما على السرير، وكأنه في عالم آخر..

وناول (بنكي) الأكياس للمعي متسائلا:

- «منذ متى وهو على هذه الحال؟»..



- «ثلاث ساعات كاملة! تصور؟»..

- «يا للهول! ولماذا؟ ما الذي استجد؟»..

كانا يتحدثان عنه دون خشية من تنبهه لهما، فهما يعلمان أن شروده يحمله بعيدا عنهما وعن الغرفة بأسرها..

بالفعل.. كان (الزيبق) يفكر ويتخيل بالوقت ذاته، راسما صورا متعددة لشخصيات القضية التي طرأت، وشاعرا أنه يغفل شيئا هاما..

استعاد صورة (نجم) وهو يشرح قضية مقتل شقيقته (قمر)، ثم تعابير وجه (ودود) وهو يتلقى هزيمة نكراء في مباراة الشطرنج..

الألبوم يقلب صفحاته ذاتيا، ويمر على كل صورة بداخله..

ثم (رزان)، يسترجع حوراهما وتقاسيم وجهها، وأخيرا الصليب العجيب المعلق في جيدها!

يا له من يوم! بل يا لها من أيام تلك التي مر بها مؤخرا مع شلته!

ثم لم يدر كيف وثبت تلك المعلومة في ذهنه مع صورة منفردة لصليب (رزان)!

«ساتور أريبو» Sator Arepo هي صيغة سحرية مسيحية!

مربع كامل مؤلف من أربعة أحرف، ابتدعه المسيحيون الأوائل، فكان يتيح لهم نشر عقيدتهم برسم صلبان على الجدران دون التعرض للتعذيب، فإذا كتبوا كلمات المربع الخمس، واحدة أسفل الأخرى، جسدت أحرف الكلمة: Tenent صليبًا!

«ساتور أريبو».. «ساتور أريبو».. لديه خلفية مسبقة عن هذا الموضوع عبر مطالعاته، وهو متأكد بنسبة لا بأس بها من أن (رزان) كانت مرتدية لصليب من هذا النوع! لقد شاهد صورة للصليب المدون عليه الكلمة، وطالع ما ذكر عنه من قوة!

- «إنه يبتسم جذلا!»..

- «أعتقد أنه قد أنهى عملية التفكير المضنية.. يا زعيم.. هل تسمعنا؟!»..

نظر لهما متسائلا..

- «العشاء يا زعيم.. ألستَ جائعا؟»..

- «بالتأكيد جائع.. جائع جدا!»..

- «هذا أمر حسن، هلم للأ..»..

قوطعت تكملة جملة (لمعي) باقتحامة عنيفة فاجأتهم الثلاثة!

وأمام الباب المفتوح، وقف طالب من طلبة الكلية يعرفونه كجار معرفة سطحية للغاية!

وإذ التقط أنفاسه بتعسر، انتصبت هامته ليهتف بنبرة مذعورة:

- «أنا بحاجتكم يا شباب!»..



من عالم الخيال



الرواة الزرق الثلاثة

وسـط عاصفة الثلوج المحيطة في المنطقة، وفي بقعة شبه نائية لا يكاد يبلغها كائن حي..

وفي عرض المسـرح الثلجـي الأبيض الغامـض، يتخلله زمهرير يجمد الدماء في العروق.. بزغت المخلوقات الثلاثة زرقاء اللون!

هل سمعت بمصطلح Narrator ؟

هـو الراوي.. تجده فـيَ الأفلام أو المسـرحيات، لكنني لا أقصد راوي الأحداث الذي قد يشارك وقد لا يشارك ضمن إطار شخصيات الحكاية الرئيسية، لكننا نسمع صوته..

قصـدت النـوع الآخر من الرواة، أولئك الذيـن نجد الواحد منهم يظهـر ليسـرد بعـض ما اسـتعصى علـى المتلقـي فهمه، وقـد تمر به الشـخصية دون أن تلحظـه، لكنه يسـرد حكاية تلك الشـخصية بغير اكتـراث، كما لو كان الملاك الموكل بتسـجيل صفحة أعماله الخيرة والسيئة!



مشكلة الرواة الثلاثة أنهم مخلوقات من عوالم السرد الحكواتي الخرافي، قدموا من عوالم عفاريت ألف ليلة وليلة تقريبا، عتيقو الطراز، وللأسف لم يسمعوا بمصطلحات كالبناء الفني للرواية، والوحدة العضوية.. الخ من تلكم المصطلحات التي لا تهم القارئ في شيء!

ثلاثة مخلوقات قصيرة القامة، زرق كما ذكرت آنفا، يتبدون كجسد واحد لأنهم عبارة عن ثلاثة توائم ملتصقة..

شنيع.. أليس كذلك؟

صُلع، آذانهم مدببة كالحمير، عيونهم بيضاء تماما كالأشباح، يتحدثون معا وبذات الوقت، لكن الصوت الخارج هو صوت مخيف ومهيب لشخص واحد، الصوت عميق ويتردد كالصدى، كأن محدثك ينطق من جوف كهف!

وبعقيرة واحدة.. ابتدءوا السرد قائلين:

الوصفة الطبية

لم تجد (شهد) غير الشاي بالأعشاب كي تطبب به مرض والدتها الراقدة منذ أيام في الفراش..

كانت المرأة المسنة تسعل كثيرا، ودمعت عينا ابنتها وهي ترمق عذابها بيدين مكتوفتين، عاجزة عن فعل شيء لها، ما من مال يعينها



على استقدام طبيب ماهر يفحصها، وإن صنع ذلك مجانا فمن أين لها بثمن الدواء الذي سيصفه؟

هكذا، لم تجد سوى الماء البارد تخفف به من وطء الحرارة على جبينها وبخرقة قماش ممزق، ومن ثم الشاي بالأعشاب الذي تمنت أن يكون مفيدا..

وفي ليلة، بينما كانت تجالس والدتها الغافية، تصاعد طرق خافت على باب دارهما، فجفلت (شهد) ونهضت متسائلة عمن يكون الزائر، فلا أحد يزورهما أو يشعر بعذابهما من الجيران..

- «من؟»..

- «رشفة ماء، هذا كل ما أصبو له.. أرجوكم!»..

فتحت (شهد) الباب ببطء وحذر، فأبصرت كهلا مدبب الأنف بصورة ملحوظة كما لو كان منقارا، وقد ارتدى أسمالا بالية وقبعة مضحكة، كان كثير المتاع، يبدو عليه إرهاق المسافر..

مسح العرق عن جبينه قائلا بإنهاك:

- «ليلة ذات جو رطيب!»..

- «فعلا!»..

- «هل لي بجرعة ماء؟»..

- «انتظر قليلا..»..

وهرعـت للمطبخ كي تحضر لـه طلبه، فلما عـادت وجدته واقفا عند سرير والدتها!

اكفهر وجهها متسائلة باغتياظ:

- «أنت! من تحسب نفسك؟!»..

لكنه همس بهدوء:

- «سلامتها!»..

وأشـار إلى والدتها الغارقة بسبات عميق بفعل الحمى، فصمتت (شـهد) مناولـة إيـاه كـوب الماء، كانـت غاضبـة لكنها لـم تقو على المشاجرة لإنهاكها هي الأخرى..

شرب الكهل الماء دفعة واحدة، ثم مسح بقاياه عن لحيته وشفتيه متمتما بانتعاش:

- «حمدا لله! شكرا لكِ يا أختاه..»..

امتعضـت (شـهد) لمـا قالـه.. «أختـاه"؟!، بمظهـره وإرهاقـه وتجاعيده كان يصلح ليكون جدها!

فدمدمت مجيبة ببرودة:

- «لا شكر على واجب، والآن ارحل..»..

- «ليس قبل رد الجميل!»..

وأقـرن القـول بصنـدوق مزخـرف اسـتخرجه مـن متاعـه، فتـح الصندوق وإذ بقارورة مملوءة بسائل أرجواني شفاف مستقرة داخله!

أخرج القارورة بحذر، فقالت:

- «لا نملك مالا يا هذا فارحل بسلام..»..

- «لستُ ببائع متجول لو أن هذا ما خمنته! قد فحصتُ والدتكِ بسرعة، فوجدتها مصابة بمرض خطير، ولكن لا تقلقي، فعلاجها داخل هذه القارورة بإذن الله!»..

- «وماذا يوجد داخل القارورة؟»..

- «مجرد أعشاب طبية، طحنتها بعناية وأضفت لها مكونات سرية وخاصة.. أحسب أن ملعقة واحدة ستكفيها، ولكن لا أكثر ولا أقل.. اتفقنا؟»..

ثم ودعها وخرج مسرعا، فرمقت (شهد) الباب المفتوح كما لو كانت تحاول تخمين ما إذا كان الذي وقع قبل قليل حلم أم علم!

لكن الزجاجة التي بيدها أكدت أنه واقع حصل فعلا، أما السؤال الأهم هو ما سيحدث إن أعطت والدتها دواء الكهل الغريب..

كانت حالة المرأة المسنة في تدهور، هكذا لم تجد (شهد) حلا سوى أن تلقمها ملعقة من دواء الكهل مع الصلاة والتضرع إلى الله بأن يشفيها..

بعدها، راقبتها لسويعات قبل أن تستسلم هي الأخرى لسبات عميق..

وفي الصباح الباكر، أفاقت (شهد) على صوت جلبة آتية من المطبخ.. نظرت إلى السرير فوجدته خاليا!

انتابها ذهول شديد، ونهضت كي تتسلل ببطء وحذر للمطبخ، فوقع بصرها على والدتها واقفة تعد طعام الإفطار وهي تغني بسعادة!

ليس هذا فقط.. فعندما همست (شهد):

- «صباح الخير!»..

استدارت المرأة بوجه بشوش، لكنه وجه غير وجه والدتها، لقد اختفت كل التجاعيد! وبدا وكأن والدتها صارت صغيرة بالسن، حتى أنها بدت أصغر من ابنتها نفسها!

قالت (شهد) لنفسها أنها تحلم حتما، لكن والدتها أيقظتها من الحلم بأن هتفت ببشاشة:

- «صباح الخير يا حبيبتي!»..

- «أماه؟!»..

- «أشعر بالسعادة والنشاط! وكأنني بنت مراهقة!»..

رمقتها (شهد) بنظرات الريبة والاستغراب.. أهذا حقيقي؟ أمر لا يصدق..

وعلى مائدة الإفطار التهمت والدة (شهد) الطعام بشهية مفتوحة، ولاحظت (شهد) أن أسنان والدتها قد عادت متراصة وبيضاء نضيدة، عقب ما كانت أقرب للبقايا في فمها!

فكرت (شهد) كثيرا بالأمر، لقد صارت والدتها أصغر وأجمل! لربما أجمل منها! بل وأصغر منها كذلك!

ولما نامت حلمت حلما مضحكا لكنه أثار توجساتها..

حلمت أن عريسا وسيما تقدم لخطبة والدتها! وقد وافقت الأخيرة بسعادة منقطعة النظير، في حين وقفت (شهد) في الظل ترمق كل ما يحدث بغير تصديق وبحسد عارم!

أفاقت فجأة، وهرعت للمطبخ حيث قارورة الدواء العجيب، وبغل فتحتها قائلة:

– «هذا لن يكون أبدا! أنا أحق منها بالزواج والسعادة! إنها مجرد عجوز شمطاء، وأنا – عما قريب – سأصير فاتنة الفاتنات!»..

وأسرعت بتجرع الزجاجة كاملة مكملة، فلم تبق منها قطرة واحدة..

وفي الصباح استيقظت الأم بانتعاش، ونهضت من سريرها باحثة عن ابنتها فلم تجدها..

– «لربما خرجت للتسوق..»..

كذا قالت لنفسها، وابتدأت بهمة أعمال المنزل دون تنبهها لكومة الرماد المبهمة على بلاط المطبخ إلا عندما أتت لكنسها، صحيح أنها رفعت شال ابنتها لتجد تلك الكومة العجيبة، لكنها اكتفت بهز كتفيها وهي تكنس الكومة وتلقيها في القمامة!

ثم خرجت للتسوق بذات الحيوية والنشاط!



الخوارق

عندما قام (الزيبق) باستجواب الطالب المدعو (بلال)، ادعى الأخير بداية أنها مجرد إشاعة أطلقت كنوع من الدعابة..

ولكن بمزيد من المثابرة والتقصي اتضح للزيبق أن الأمر لم يكن كذلك، وبأن الطالب لم يكن صادقا، إذ كتم ما لديه وإن لم يكن بارعا في ذلك!

دواء «أوتريفين»، هو دواء بخاخ لفتحتي الأنف بالاستنشاق، محدد الجرعة وينصح به لنزلات البرد، يحوي «الزايلوميتازولين» و"الهايدروكلورايد» بنسبة 0.1 ٪

يدسه في فتحة الأنف اليمنى ويستنشق بعمق، وهو يضغط جانبي الطرف المدبب كي يبخ الدواء إلى جوف المنخر، ثم ينتقل للفتحة اليسرى صانعا المثل..

وعندئذ.. يتحول (بلال) إلى متلصص أخطر من قراصنة الحواسيب، إذ يستمتع بولوج أحلام الأشخاص الذين فكر فيهم طيلة اليوم، وهو لا يفكر سوى بالفتيات!

بالطبع باتت القصة مرعبة بالنسبة لهن، وبخاصة عندما أخبرت الصديقة صديقتها والزميلة زميلتها وبلغ الخبر أكبر عدد ممكن منهن.. ما المضاعف المشترك الأصغر في أحلامهن عندما يتشاطرنها سوية؟ (بلال)! الأحمق (بلال)! أنا رأيته في حلمي، وأنا كذلك! وأنا! وأنا!!

وهكذا، وصلت الشكوى الطريفة لشلة راس الغول: «رجاءً امنعوا ذلك المنحرف من التلصص على خصوصياتنا!»..

وأمام أنظار (الزيبق)، دمدم باستهتار بعدما وجد بألا فائدة من الإنكار:

- «عثرت عليها ملأى وجاهزة للاستعمال..»..

- «ماذا عن الاشمئزاز؟»..

- «عن أي اشمئزاز تتحدث؟»..

- «عن الاشمئزاز لفكرة أن غيرك قد دس هذا الشيء في أنفه بغية استعماله!»..

ضحك ملء أشداقه وهو يجيب:

- «لا ضير! لن يصيبني الزكام وأنا أستخدم دواءً لمعالجته! ولو لم أفعل لفقدت تلك الهبة العجيبة التي..»..

قاطعه (الزيبق) هارشا ذقنه المشذبة:

- «إذن.. فأنـت تلـج أحـلام أي شـخص؟ بالتركيـز عليـه لـدى استخدام جرعة من هذا البخاخ؟»..

انحنى الفتى هذه المرة ليهمس منتشيا وببصر متألق:

- «أي حلم لأي شـخص! وكأنه واقعـي 100 ٪، بإمكانك حتى شـم جميع الروائح! هناك استطعت شم عطر أجمل فتاة وهي جالسة فـي محاضـرة الدكتور (عقيـل)، كما اسـتطعت كذلك شـم رائحتها عليه.. هي ليسـت مجرد أضغـاث أحلام، وإنما هي طريقة لاطلاعي على أسرار الجميع في العالم الواقعي، أنت تفهم ما أعنيه!»..

قالها غامزا بجفنه الأيسر بمكر..

قال (الزيبق) ببرودة:

- «آخر ما يشـغلني حاليا هو رائحة.. أقصد علاقة دكتور بإحدى طالباته! أريد معرفة كيفية عثورك على عبوة الدواء التي بحوزتك..»..

■ ■ ■

ثلاثة أشهر مضت منذ بدء التحقيقات الجديدة والمثيرة..

لا زالـت جريمة (قمـر) غامضة، كذلك جريمة الحارس (بشـير) وإن لم تولِها شلة «رأس الغول» اهتماما كسابقتها..

لـم يظهـر (نجـم) شـقيق الضحيـة مؤخـرا، وقـد قابلـه (الزيبق) قبيل شـهر لتبادل بعـض المعلومات، لم يكن آخرها اشـتباهه الكلي بـ(ودود)!

ولكن، وعقب زيارة ذلك الطالب الجار قبل ثلاثة أشهر بدا وكأن مسار حياة الشلة وخططها قد انقلب رأسا على عقب..

حادثهم الفتى عن شيء خارق، خارق للغاية!

لكـن العجيب حقا أنهم كانوا مسـتعدين للإصغاء وبجل الانتباه، فلم يسخروا منه أو يرموه خارجا، بل ولوا قضيته جل اهتمامهم رغم غرابتها!

الغرفـة رقـم (12) تحولت إلـى خلية نحل، حجـرة للتحقيقات، وشـلة «رأس الغول» انقلبت لرجال مباحـث تخصصهم في القضايا الغرائبية!

بصبـر وأناة، راحـوا يمحصون مـا بجعبتهم مـن أوراق وأدلة كي تتضح لهم تدريجيا معالم الطريق الشـائك خافت الإنارة، سلسلة من الغرائب بدأت تظهر وتتضح، وقد أعد (لمعي) بخصوص كل ظاهرة تم الكشـف عنها ملفا خاصا، ولحسن الحظ أنه تناسى – ولو لبعض الوقـت– لهوه على «البلاي ستيشـن»، إذ كان يسـتمتع بتجميع تلك البيانات والمعلومات حول كل ظاهرة جديدة تبزغ في الكلية..

لـم تبد السـجلات والملفـات المعلوماتية خارقة المتعة بالنسـبة للزيـبق بالمثل، كان يبحث بعقله في الصميم وهو يطالع اللوح الذي قام بتعليقـه، يخترق بمقلتيه عقول الشـخصيات محاولا الولوج إلى أفكارهم الخاصة..

اللـوح عبارة عن مخطط مذيل بالخطـوط الحمراء المتجهة لكل شـخص امتلك أداة أو غـرض، وكل الروايات متفقـة على اقتنائها - بالأحرى العثور عليها- عقب هبوب تلك العاصفة العاتية!

ثمـة تاريـخ لم يحن ميعاده بعد على رأس تلـك القائمة بالأدوات والأشخاص، تاريخ كتب بقلم تخطيط عريض: 12/ 12/ 2012

و(الزيبـق) كان يرمـق ذلك التاريـخ باهتمام أكبر مـن أية معلومة أخـرى.. ثم لا يلبث أن يحاول التركيز علـى قضية الأدوات العجيبة مجددا، نافضا عن ذهنه ذلك التاريخ الذي دنا ميعاده!

كل شـيء ابتدأ عقب العاصفـة، الجرائـم، الأدوات العجيبة التي امتلكهـا عدد من الطلبة والطالبات، وبـدأت تعلن عن وجودها رغم احتياطات بعضهم السرية كي لا يكشفوا..

كان يقـول للا أحد وهو يراقب اللوح الذي بدأت خطوطه الحُمر بالازدياد:

- «لا خيار سوى التركيز على سائر الذين يمتلكون الأدوات التي سقطت من السماء، لحسن حظنا أن بعضهم وافق على التعاون معنا، لكن الآخرين لن يفعلوا بطبيعة الحال..».

كلمـا توغل (الزيبق) بالسـؤال فتحت أمامه أبـواب جديدة، وبرز متهمـون جدد.. وقد بلغ عدد ما توصـل إليه لغاية الآن - ممن عثروا



على أدوات غرائبية- أربعة طلاب وثلاث طالبات، وبذلك يكون المجموع سبعة..

وكان لحادثة اختفاء الطالبة (شهد) عظيم الأثر في دفع سير تحقيقاتهم قدما للأمام، وبآفاق متسعة أكثر من ذي قبل، فالطالبة المُجدة كانت - حسب روايات زملائها- قلقة على صحة والدتها، إحدى زميلاتها استوقفت (الزيبق) طالبة منه برجاء حار أن يحقق بالأمر..

لم يُكذب الفتى الصعلوك خبرا، كانت أخبار من ذاك النوع تشعره - كنوع من الحاسة السادسة- بمدى قربه من أداة سحرية جديدة!

وعندما زار بيت (شهد) انقلب شكه يقينا، فالمرأة التي فتحت له الباب - والدة (شهد)- كانت شابة جدا، عكس ما وُصِفت به كامرأة مسنة ومريضة..

وباستخدام حجر (غيث) الذي يعمل كالبوصلة، تمكن (الزيبق) من العثور على تلك القنينة.. لم يعثر على أي أثر للطالبة المفقودة، لكنه خمن أن ما أصابها متعلق بمحتوى تلك القنينة!

اضطر للتوقف ربع ساعة - بنفاد صبر - كي ينصت لتضرعات والدتها - الفاتنة-، ثم وعدها أنه سيطلعها ما إن تظهر ابنتها في الجامعة..

شكرته بعمق، ثم احتضنته بقوة لدرجة اشتمام شذى العطر الفواح الذي تضعه وبقوة، قبل أن تطبع قبلة لزجة ملطخة بحمرة الشفاه على خده!

(بنكي) كانت مهمته مراقبة أخطرهم.. بالسيارة العتيقة نصف نقل كان دائمـا يطارد سـيارة (ودود) الرياضية حتى حـدود فيلته، وبذلك ينتهي التعقب بدرب مسـدود، فالجدران العالية والكلاب البوليسـية لـن ترحب بزائر من طينته حتمـا، فيضطر للانتظار حتى يقرر (ودود) الخروج مجددا!

اسـم كل طالب وطالبة، وكنه الغرض أو الأداة التي بحوزته، وما مقـدرة تلـك الأداة بالضبط.. هل هي أقرب للتسـلية الطريفة كما في قضيـة البخاخ الأنفي؟ أو إبـرة الخياطة التي تعمل من تلقاء ذاتها؟ أم خطرة كما في مسـألة مطرقة الجدران الضخمة التي بإمكانها تحطيم أي شيء مهما بلغت صلابته وبأوهن ضربة، أو تلك القنينة التي يعلم الله ما صنع محتواها بشهد؟!

ماذا لدينا؟

ثمة أغراض عثروا عليها بشـق الأنفس، بعضها اكتشـفوا أسرارها - البخـاخ، إبـرة الخياطـة، مطرقة الجـدران-، والبعـض الآخر لم يجسـروا على تجربتها لاكتشـاف مـا بإمكانها فعله، كقنينة (شـهد)، وقداحة فضية وجدها أحد المعيدين في الكلية!



ناهيك عن الأدوات الحيادية كحجر (غيث) الذي يعمل كبوصلة لإيجاد باقي الأدوات العجيبة!

في قضية الفتى جارهم - ذاك الذي اقتحم عليهم الغرفة قبل ثلاثة أشهر طالبا عونهم- كانت المسألة أقرب للطرافة..

لم يكن خلوقا، لديه آثام متعلقة ببعض الممنوعات المخبئة واستقطاب فتاة لتزوره في شقته كل ليلة خميس، يزعم بسذاجة أنها قريبته، يناقض نفسه بحماقة كونه لا يفهم كيف علم المدعو (طلال) بكل ما يدور في شقته!

الشلة تعلم من يكون (طلال)، هو جارهم بدوره، وهو طالب طيب وخلوق، متشدد بعض الشيء، لكن ليس لدرجة التعصب المنفرة..

وفي الليلة التي سبقت زيارة الفتى - جارهم غير الخلوق- للشلة، زاره (طلال) ليقول له بصرامة:

- «اتق الله فيما تصنعه من موبقات!».

أخبره الفتى أنه لا يملك أدنى فكرة عما يقصده، فشرح له (طلال) بشيء من الإيجاز تفاصيل أرعبته، ثم تركه واقفا مشدوها لا يصدق ما يسمعه..

هـرع بعد أن أضناه التفكير للزيبـق، فأخبره - بجزع - أن (طلال) «مخاو» للعفاريت حتما، فهو يعلم أشـياء لا يعلمها إلا الله.. فكيف حصل ذلك؟!

كان الموضوع سخيفا آنذاك، وحاول (الزيبق) التنصل من الأمر، لكن لهفة الفتى وذعره دفعتاه لفتح تحقيق مبسط لم يلبث أن تضخم..

هكـذا.. التقط النظارات الطبية شـديدة السـماكة من على طاولته كي يجرب مجددا..

ما إن وضعها على عينيه حتى أبصر في شقة جاره - الذي قصدهم لأجـل هذه المسـألة - والتي تقع فـي أقصى الطرف الشـمالي فتاة ما وهي تدندن لحنا سخيفا أسفل مياه «الدش» و..

سـارع بخلـع النظـارات بوجنتيـن محمرتيـن.. إذن فالأحمق لم يتعظ رغم ما حدث له، إنه يستحق فعلا أن يظل مصابا بالبارانويا!

(طـلال) امتلك روحـا رياضية حقة عندما تحـدث معه (الزيبق)، فقد أقر له بكل شيء، وهو ما أثار استغراب (الزيبق) بشدة..

- «عندمـا وضعـتُ تلـك النظـارات العجيبـة علـى عينـي رأيتُ أهـوالا، فلم أسـتخدمها إلا مرات قليلة جدا بدافـع الفضول، وأدعو الله عزوجل أن يغفر لي..».

تفحص (الزيبق) النظارات متسائلا بحيرة حقيقة:

- «وتتنازل عن مقدرة مذهلة كهذه لي؟ لماذا؟!».



ضحك (طلال) بصفاء مجيبا وهو يعدل من وضعية نظاراته الطبية الخاصة به فوق أنفه:

- «أولا حظك حسن، فقد كنتُ أفكر جديا بالخلاص منها للأبد كي لا تتسبب بأذية أحد، كان هذا عندما طرقتَ بابي، لاحظ أنني لم أراوغ بشأن موضوع جارنا المشترك، أردته أن يكف عن ارتكاب الآثام بإخافته، لكنني كرهت أيضًا أن يحسبني ساحرا لا سمح الله..

وثانيا أنني أثق بك يا زيبق، أنت فتى صالح وجار طيب، أعلم بما تقدمه لأولئك الطلبة حين يقصدونك طلبا للعون، استراح قلبي لك مذ رأيتك أول مرة في المسجد تؤدي فريضة الفجر، لذا أثق أن هذه النظارات المشئومة ستكون في أيدٍ أمينة تحسن استغلالها بأكثر مم صنعتُ أنا!».

شكره (الزيبق) بحرارة، وإن ظل لليوم مستغربا.. نظارات تمنحك القدرة على مطالعة ما خلف الجدران ليست بالأداة التي يسهل التخلي عنها ولشخص غريب تماما!

ترى أيوجد حقا أشخاص سليمو النية بصدق في هذا العالم الكئيب؟ والذي يسهل تخمين أحداثه المضجرة؟؟

لكن لا.. لن يعتمد على مشاعر البشر ومعتقداتهم وما يظنونه بشأن العالم أو أنفسهم..



هكـذا، وقبـل أن يرحـل.. أخرج من طيـات ثيابه تميمـة مزخرفة بنفسـجية اللـون، مـا إن أبصرها (طلال) حتى تسـاءل ببراءة يُحسـد عليها:

- «وما هذه؟!».

مررها (الزيبق) ببطء أمام ناظري الفتى مباشرة، ثم تركه يسقط في سبات عميق، إذ نهض خارجا من المكان على عجل!

أمير الصعاليك

سألته وهما يتنزهان في حديقة الكلية:

- «ما حكايتك بالضبط؟»..

- «حكايتي؟»..

وأشـاح (الزيبق) بوجهه بعيدا عنها، فلمح البستاني يسقي الزرع، وبنفس الوقت يحدجه بنظرات سعيدة لأجله بحق.. ثم يترنم بأبيات (يوسف عبد العزيز) الشعرية الرائعة «حمام زاجل»:

حائر فيك..

في شغب الولد الفوضوي..

وفي سفر النسر للقمم العالية..

كيف بدلت سترتك البالية؟

تاركا في الشهرزاد علبة التبغ.. والقهوة الساخنة؟

كيف أسلمت قلبك للذئب، والشِعر للموجة الخائنة؟

إنني حائر..

حائر في الصديق..

حائر في الرفيق..

حائر في الذي كان يبكي..

خراب الفضاء..

وذبول الحريق..

حائر في طعين الرصيف..

وبرج الحمام..

أين تمضي؟

لقد أولموا دمنا للسلام..

أين تمضي؟

إلى فندق في أقاصي المياه..

وما أنت بالسائح الأجنبي..

أيها الولد الفوضوي..

أنت نصفك طين ونصفك مجزرة وسهام..

أنت من نسل قبرة في شقوق المخيم..

سوف أعود إلى «الجلزون» وأسأله:

عن فتى كان يجمع ماء الوطن..

في ثنايا النشيد..

عن شبيه الدوالي، وقوس وحديد..

عن أمير الصعاليك..

عن نجمة ساهرة..

في ظلام المقاهي..

وعن ثعلب حائم في الشوارع..

يبحث عن خصر سيدة..

ويرى أن أيامه..

دفتر طافح بالجنون..

أيها الولد الفوضوي..

من تكون؟!

مُهرَ هذي الشعاب..

أم طيورًا بعيدة؟

شاعرًا أم بقايا قصيدة؟؟

ويبدو وأن ما سمعته (رزان) قد نال استحسانها وبشدة، إذ همست بافتتان متحسسة شعرها المربوط على هيئة ذيل:

- «هذا البستاني مثقف! إنه يتلو أبياتا عن (شهرزاد)!»..

تمتم (الزيبق) بشيء من عبوس:

- «إنه يقصد مقهى (الشهرزاد) العريق في العاصمة الأردنية عَمان!»..

- «وما الجلزون؟»..

- «مخيم فلسطيني بالقرب من مدينة رام الله المحتلة.. أتت تسميته من كلمة يونانية مكونة من مقطعين، Jalaz وتعني الينابيع الوافرة وZone أي منطقة، وبذلك يصير اسمها منطقة الينابيع الوافرة!»..

- «آها.. أنتَ واسع الاطلاع!»..

- «وأنتِ.. رائعة الجمال!!»..

توقفت مطلقة شهقة بسيطة، فاغرة ثغرها على شكل نصف انفراجة محببة ذات سحر آسر، تلك الوضعية العذبة التي يُجدنها حين يكن شبه مستنكرات شبه جذلات!

لم يصدق أنه قد نطق بذلك، وشعر بما يشعر به من ارتكب إثما عظيما، فسارع للقول بعصبية:

- «إذن؟»..

أبعدت بحركة آسرة خصلة شعر ضئيلة عن جبينها دون النظر له، ثم رفعت رأسها لترمق السماء متسائلة ببسمة عذبة:

- «هل.. هل يمكن للسماء أن تمطر أشياء بخلاف الأمطار؟»..

- «أشياء؟»..

وتوقف، فتوقفت بدورها..

حدجها بناظريه كأنما ينبش ما بأعماقها من أسرار..ثم تمتم بتؤدة:

- «يمكن للسماء أن تمطر الأسماك كمِثال في أعقاب إعصار هائل الحجم هائج الاندفاع، إذ قد تبلغ قوة وسرعة إعصار ما يمكنه من شفط الأسماك من البحار وقذفها إلى السماء! ثم لا تلبث تلكم الأسماك أن تتساقط أرضا مع الأمطار!»..

- «أحقيقي ما تقوله؟»..

- «حدث ذلك بالفعل، في بلدة «أبين» الاسكتلندية، لدى هطول أمطار سنة 1817م، وكذلك لدى هطول الأمطار في عدد من مدن انجلترا سنة 1900م..»..

- «أنت مثقف كذلك البستاني!»..

- «أمر طبيعي، فهو..»..

كان يوجه نظره تجاه البستاني وهو يتكلم باسما بتهكم من حديثها.. عندما فوجئت (رزان) به ينخرس فجأة، ثم يتركها مندفعا صوب البستاني!

نظرت بدورها متسائلة، قبل أن تلحق به هي الأخرى مذعورة!

■ ■ ■

- «كيف حالك يا حاج؟».

كالعادة، تبدت بسمته عريضة أكثر من ذي قبل، فتمددت التجاعيد المزينة لوجهه وهو يجيب بوهن:

- «الحمدلله على كل حال!».

وكالعادة، تبدت بسمة (الزيبق) واهنة، لكن دون أن يرد..

تابع بناظريه المترقبين الطبيب الذي أتى به ليتم فحوصاته..

ولما فرغ، ربت على ساعد البستاني قائلا بروتينية:

- «ألف سلامة عليك يا حاج!».

- «الله يسلمك يا..»..

ولم يكمل، بل أطلق عوضا عن ذلك أنة ضعيفة محاولا التقلب..

النوبة الكلوية.. تنقض بغير ميعاد! وترحل دون وداع، لكن آلامها لا توصف إذا ما بزغت..

بزغ قلق (الزيبق) علانية هـذه المرة، وتبع الطبيب للخارج، حتى إذ ابتعدا عن مسمع البستاني العجوز تساءل متلهفا:

- «إذن يا دكتور؟»..

■ ■ ■



الرواة الزرق الثلاثة 2

وسـط عاصفة الثلوج المحيطة في المنطقة، وفي بقعة شبه نائية لا يكاد يبلغها كائن حي..

وفي عرض المسـرح الثلجـي الأبيض الغامـض، يتخلله زمهرير يجمد الدماء في العروق.. بزغت المخلوقات الثلاثة زرقاء اللون!

يتبدون كجسد واحد لأنهم عبارة عن ثلاثة توائم ملتصقة.. صلع، آذانهم مدببة كالحمير، عيونهم بيضاء تماما كالأشـباح، يتحدثون معا وبـذات الوقـت، لكـن الصوت الخـارج هو صوت مخيـف ومهيب لشـخص واحد، الصوت عميق ويتردد كالصدى، كأن محدثك ينطق من جوف كهف!

وبعقيرة واحدة.. ابتدءوا السرد قائلين:

امتطاء الرياح

كان مرض والد (الزيبق) خطيرا..

لاحظ ذلك لدى مطالعته التجهم على ملامح الطبيب، الذي دوَّن وصفة طبية أخرى في ورقة ناولها للصبي المتحفز قائلا:

- «هـذا الـدواء، إنه مهم لأستعادته عافيته، عليـك بإحضاره في الحال قبل تدهور صحته..».

- «أهو موجود في الصيدليات؟».

زاد تجهم الطبيب، وصمت مطولا قبل نطقه الصريح:

- «لا، تجده في صيدلية العاصمة، إنه دواء جيد، والأدوية الجيدة لا تجدها إلا في صيدليات العاصمة..»..

- «وكم يبلغ ثمنه؟»..

- «ثمنه مرتفع لسوء الحظ..»..

وابتسـم مشـجعا قبل خروجه حاملا حقيبته وأجرة الفحص التي دفعها الصبي واجما.. كان يفكر في الدواء فحسب..

خف عقب رحيل الطبيب إلى غرفته، فاحتمل الحصالة وهشمها، وجـد مبلغا لا بأس به، فوضعه في جيبه وسـار علـى أطراف أصابعه محاذرا ألا يوقظ والده النائم..

في الخارج، وجد الغيوم متكاثفة والجو ينذر بهطول المطر، لكنه لفَّ الكوفية حول عنقه قائلا لنفسه بتصميم:

- «سأجلب الدواء بأية وسيلة..»..

ثم سار بخطوات سريعة باحثا عن مركبة تقله إلى العاصمة..

■ ■ ■

سار (الزيبق) مسافة كفيلة بإجهاده، لم يتوقف ولم يلتقط أنفاسه، ظلَّ يسير بعزم باحثا في عتمة الليل عن مركبة، أية مركبة..

يجب إحضار الدواء! لو أنه المريض لهرع والده بقدمين حافيتين باحثا عن الدواء، ولو كان مخبئا في قلب الغابة والوحوش الكاسرة تحرسه..

سار وسار حتى تناهى لمسامعه صوت عربة يجرها حصان، فتوقف..

التفت منتظرا، وأخيرا دنا صاحب العربة، كان رجلا بدينا يلهب ظهر حصانه بالسوط، توقف جاذبا اللجام، فخفتت سرعة العربة حتى توقفت بالقرب من (الزيبق)..

تساءل الرجل بشك:

- «ماذا تصنع في جنح الظلام يا صبي؟».

أجاب (الزيبق) بعصبية:

- «لستُ صبيا! وأبحث عمن يقلني للعاصمة..».

- «لستُ متوجها للعاصمة، ولكن سأقلك حتى نقترب من دربها..».

هكذا، ركب (الزيبق) بجوار الرجل، من ثم اندفعت بهما العربة مصدرة ضجيجا بعجلاتها القديمة..

استغرقت الرحلة مدة وجيزة قبيل توقف العربة أمام مفترق الطرق، فأشار سائقها إلى الجهة اليمنى قائلا:

- «هذا طريقي، وطريقك في الجهة الأخرى.. حظا موفقا!»..

شكره (الزيبق) بشدة، وسار في الطريق الأيسر مفترقا عن الرجل الذي شق طريقه باتجاه الدرب الأيمن..

اشتد البرد، فضم (الزيبق) بذراعيه لبعضهما مرتجفا..

زاد من سرعته قائلا لنفسه:

- «أرجو أن أجد من يقلني في هذا الدرب الموحش!».

■ ■ ■

كان (الزيبق) قد قرر استخدام القداحة الفضية التي وجدها في جيبه كي يبث بعض الدفء في راحتيه، فما إن قدح الشرارة الأولى حتى خيل له سماع أصوات حوافر حصان تقترب منه بسرعة مخيفة!

ثم ظهر بغتة حارس ليلي على صهوة رهوان أبيض جميل، وتوقف الحارس بالقرب منه بأن شد اللجام قليلا، ثم تساءل:

- «ماذا تصنع لوحدك هنا أيها الصبي وفي هذا الوقت المتأخر من الليل؟».

- «لستُ صبيا! والدي مريض، وأنا مسافر للعاصمة كي أجلب الدواء الذي وصفه الطبيب له..»..



- «إذن اصعد كي أوصلك!»..

ابتهج (الزيبق)، وتناول يد الحارس الممدودة له، فما إن استقر على ظهر الحصان حتى لكزه صاحبه في جنبيه، فأطلق صهيلا قويا ثم أطلق العنان لحوافره، فقدحت حدواته في الأرض شررا من سرعة انطلاقته المذهلة..

ركض الحصان مسافة لا بأس بها حتى بلغ مفترق طرق جديدة، وعندئذ شدَّ صاحبه اللجام ليهدئه حتى أوقفه تماما..

التفت الحارس إلى (الزيبق) قائلا له:

- «هنا أنزلك، فلن يتسنى لي الابتعاد أكثر عن موقع عملي، فاذهب على بركة الله..»..

شكر (الزيبق) الحارس كثيرا، ثم أخذ يعدو كدأبه في درب العاصمة الطويل..

■ ■ ■

كان على (الزيبق) دخول الغابة في الدرب المتشابك كثيف الشجر..

قرر مجددا استخدام القداحة الفضية التي وجدها في جيبه كي يتبين سبيله في العتمة، فما إن قدحها حتى تناهى لمسمعه صوت عواء، فارتجف بردا وخوفا، ورغم ذلك واصل السير وإن خفتت سرعته بعض الشيء..

فجأة، تسمر عندما وقع بصره على عينين متقدتين في العتمة، فصاح:

- «من هناك؟».

وثب من بين الشـجر ذئب أشـهب عملاق، كشـر عن أنياب حادة قائلا بقساوة:

- «ماذا تفعل هنا يا صبي؟ أتود أن تصير طعاما لي؟».

تمالك (الزيبق) نفسه، وبخوف همس:

- «كنتُ في طريقي للعاصمة كي اجلب الدواء لوالدي المريض!».

ضحك الذئب ضحكة مخيفة ثم قال:

- «للأسـف كانت رحلتك سـدى يـا صبي! والآن اسـتعد لتصير طعاما شهيا لي!».

هتف (الزيبق) ملوحا بكلتا يديه:

- «انتظر أرجوك! دعني أعقد صفقة معك! أنا على استعداد لإطعامك كل ما تجود به مائدتنا المتواضعة، كل يوم أعطيك نصيبي مهما كان مقدار الطعام ضئيلا، ولكن شريطة أن تساعدني على بلوغ العاصمة..»..

تفكر الذئب هنيهة، فوجد أن الصفقة معقولة، لن يكون عليه البحث كل يوم عن طعام إذن!

وهكذا صاح بحماسة:

- «اصعد على ظهري يا صبي!»..

- «أكون شاكرا جزيل الشكر لو كففت عن مناداتي بالصبي!»..

■ ■ ■

أطلق الذئب لقوائمه العنان وقد تشبث (الزيبق) بفرائه الفضي الغزير..

كان سريعا، وشعر (الزيبق) بالسعادة لقرب بلوغه من مبتغاه بعد كل هذا العناء..

وفجأة توقف الذئب، وبدا خائفا وهو يهمس للزيبق:

- «يجب أن نفترق الآن!».

- «لماذا؟!».

- «هذه منطقة الصيادين، يستحسن خروجي منها قبل ظفرهم بي وصنعهم من فرائي معطفا!».

هبط (الزيبق) من على الذئب متسائلا بخيبة أمل:

- «ماذا عن اتفاقنا؟»..

هتف الذئب قبل أن يرحل:

- «سأكتفي بوجبة واحدة.. وداعا!»..

وتوارى عن أنظار (الزيبق) بين الأشجار المتكاثفة..

■ ■ ■

أخيرا خرج (الزيبق) من الغابة..

سار وحيدا ومنهكا وجائعا حتى بلغ أسوار العاصمة المرتفعة..

بحث عـن البوابة فوجدها موصدة، فاستشـعر ألما وحسـرة وهو يدقها بيأس، لقد تأخر كثيرا كما يبدو..

جلـس أرضا وهو ينتحـب، عندما فتح البـاب ليظهر حارس على عتبته رمق (الزيبق) بدهشة..

سأله الحارس عما يبكيه، فسرد عليه الحكاية كاملة..

هنا قال الحارس:

- «لحسـن حظك أنني مغادر بعد انتهاء نوبة حراستي، فأنا مسافر لظرف طارئ، سأسـمح لـك بالدخول، ولكن سـيكون عليك إيجاد وسـيلة لمغـادرة أسـوار العاصمـة، فسـأغلق البوابة عقـب إدخالك مباشرة..».

وافـق (الزيبق) بلهفة، فسـمح لـه الحارس بالدخـول قبل إيصاده البوابة وراءه..

■ ■ ■

ابتاع (الزيبق) الدواء من صيدلية مناوبة، ثم قفل عائدا أدراجه..

كان يفكر في معضلة البوابة الموصدة، إذ كيف سـيخرج الآن بعد نيله مراده؟



مـن بعيد أبصر الأسـوار الشـاهقة والبوابة الموصـدة، فأدرك بأن مشكلته عويصة هذه المرة أكثر من ذي قبل..

جلـس واهنـا كاسـف البال، ومـن جيبه أخـرج القداحـة ليرمقها بحسرة، قبل أن يقدحها مجددا كأنما يتسلى!

وهنا داعبت الرياح خصلة من شعره وشحمة أذنه هامسة:

- «اصعد على متني!».

تلفت حوله صائحا بدهشة:

- «من هناك؟».

من جديد أتاه الصوت الهادئ كالهمس:

- «اصعد على متني ولا تلق بالا للأسـوار المرتفعة، لقد أجهدت نفسك كثيرا هذه الليلة..».

ثـم فوجـئ (الزيبق) بجسـده يرتفـع كما لـو كان ريشـة في مهب الريـح، فضحك مندهشـا والرياح تحمله فتجاوز به أسـوار العاصمة الشاهقة..

ليس هذا فحسب..

لقـد رفعته أكثر، واحتملته متجـاوزة كل الغابات والطرقات حتى أوصلته قرب داره مباشرة!

ضحك (الزيبق) بسعادة شـاكرا الله والرياح على حسن صنيعها، ثم هرع إلى والده بالدواء!



اللعبة

في طريقه للقاء (بنكي) لمعرفة ما توصل إليه - خصوصا وأنه لا يجيب على مكالماته-، تفكر (الزيبق) مجددا في ملابسات قضية (قمر)، واجدا نفسه في حال يحاول من خلالها استرجاع أصغر التفاصيل بروية أكبر..

كانت المعلومات موجودة هنالك، في ركن مبهم من عقله، لكنه شعر بكم الأتربة اللعينة التي تعوقه عن رؤية نقطة التنوير، تلك النقطة التي قد تكشف له بضربة واحدة كل شيء..

وجد نفسه يحاول التوفيق ما بين قضية (قمر) والقضايا الأخرى المتعلقة بالأدوات والأغراض العجيبة التي وقعت بأيدي الطلبة - يعلم الله من غيرهم يمتلك مثلها وماذا يمكن أن يصنع بها-، شاعرا بتوقيت زمني ينحدر بسوء للأسفل، ولدى انتهاء ذلك التوقيت الزمني الأشبه بالعد التنازلي لقنبلة موقوتة سينتهي هو كذلك!

كان يعلم أنه لا يبالغ في طريقة تفكيره بتاتا، وبأن الوقت يكاد ينفد منه..

سمع همسات!

تبـا لكـم من غربـان ناعقة وبومات ناعبة! شـعر أنه لـو رفع بصره ليشاهد الطلبة والطالبات يتهامسون جميعا فسيفقد عقله..

هل كانوا يتهامسون بشأن (قمر)؟ ماذا عن شقيقها البائس؟

هل تهامسوا حول جريمة مقتل الحارس (بشير)؟ أو حين اختفت (شهد) بتلك الصورة الغامضة؟

حتما فعلوا.. يا له من تساؤل سخيف!

هـل يسـتلذون بالتهامس؟ نظرة خاطفة منه ليجـد ذاك الطالب قد توقف مباغتة عن محادثة زميله وعن النظر إليه.. معا!

يتحدثـان عني؟ ربما! نعيـق الغربان لن يتوقـف.. نعيب البوم لن يسكن.. هذه الكلية بمثابة «تابلويد»، نشرة فضائح المشاهير!

نظـرة أخرى ليجد تلك الطالبة تتظاهر مع زميلتها أنهما لا ترمقانه بتخابث، وهي تريها شيئا ما على هاتفها الجوال!

هـل التقطـت لي صـورة وأنا بذيـل مثلا؟ لِـمَ كل هـذا الاكتراث الزائف؟!

هل اعتادت (قمر) تلكم الأجواء الموبوءة بالنسـبة إليه؟ هو يعلم أن (ودود) يسعد بتلك الأجواء ويتصرف خلالها كنجم حفلات!

لم يتمكن من صد أفكاره وخواطره المتعلقة برزان، إذ بات يشعر بقلق ينتابه كلما تسكع في أروقة الكلية دون إيجادها..



فمـن يدري؟ لربمـا كانت تحمـل غرضا هي الأخـرى! ولكن ما يخشـاه بحق أن.. أن يكون شـيئا خطرا ما لم تحسـن استخدامه، إلى جانب حوادث القتل التي تقع مؤخرا، فلا يوجد ما يمنع من أن تكون الضحية القادمة!

وحيـن لمحها تدنـو من بعيد حاملـة كتبها لم يملـك إلا أن يتنهد براحة!

كانـت مرتديـة «الجينـز» اليوم، وقد تركت شـعرها علـى حريته، فتوقف مراقبا اقترابها منه، وفتح فمه ليقول عبارة مقتضبة ما كديدنه، عندمـا مـرت إلـى جـواره.. تجاوزتـه.. رحلت تاركـة إياه متسـمرا كالأحمق!

كان وجههـا حياديا للغاية، وارتجف شـيء بداخله لمرأى ذلك.. كان تجاهلا قاسيا، وكأنها لم تقابله في حياتها، ولم يحدث أن جلسا ليتحدثا معا!

■ ■ ■

- «لقد أغضبتها حتما!».

وشـبك (لمعي) أصابعه أمام كرشه الضخم عقب عبارته الباسمة تلك، فعبست ملامح (الزيبق) قائلا:

- «لم أفعل..».

- «هلم!».

- «صدقني.. ثمة شيء ما خطأ!»..

- «لربما..»..

- «ماذا؟»..

تنهد (لمعي)، ثم قرر الاتكال على الله وقول ما يود قوله منذ زمن:

- «لربما الحياة ليست كما تحسبها يا صديقي، سهلة التنبؤ وبالغة السخافة والسطحية والسماجة والابتذال كما تردد دائما، مشاعر الناس وتباينها، ردات فعلهم التي تحسبها متوقعة.. أحيانا قد تتفاجأ!»..

- «لستُ في حكاية حب سخيفة معها! أبحث فقط عن..»..

- «عن الحقائق؟ عن الحلول؟ هلم! هذه ليست حياتنا الحقيقية وأنت تعلم ذلك، ثمة تجارب أخرى أكثر تشويقا ومتعة وأهمية من.. من..»..

- «من حل جريمة قتل؟ من إيجاد تلك الأدوات اللعينة؟»..

كذا رد (الزيبق) ساخرا، فتأمله (لمعي) بصمت قبل أن يرد مهموما:

- «من إضاعة الوقت المتبقي على مشاكل الآخرين!»..

كان الصمت من نصيب (الزيبق) هذه المرة..

شعر بتفهم كامل لفحوى حديث صديقه، لكن..



- «أنت دونا عن الجميع تعلم أننا لن..»..

- «لن ننال حصتنا من الحياة؟ لِمَ لا؟»..

- «أنت من يسـأل؟ أنسـيت؟! أنا وأنت في ذات المركب اللعينة، وهي قاب قوسين أو أدنى من الغرق..»..

- «إذن.. يتوجب علينا أن نتقن السـباحة، ولو لاحظت فوزني لا يساعدني كثيرا في مسألة السباحة هذه!»..

تبسـم (الزيبق) بسـمة سـرابية، فقهقه (لمعي) لذلك الانجاز، ثم عجل يقول بجدية:

- «سـنعمل علـى ألا نغـرق مـع المركـب، عموما.. هـل قابلت (بنكي)؟»..

- «لا..»..

- «إلى أين ذهب بحق الله؟»..

نفخ (الزيبق) الهواء بعصبية مجيبا:

- «أرسـلته لمراقبـة المدعـو (ودود)، وقـد حاولـت الاتصال به مرارا، لكن الأحمق لا يجيب على هاتفه النقال!»..

اسـتخرج (لمعـي) هاتفه النقال ضاغطا بسـرعة لا تصـدق أرقام هاتف (بنكي)، وألصق السماعة على أذنه لينصت:

«يا ستي يا ختيارة، يا زينة كل الحارة..

حبيبي يالي بحبه.. ناطرني بالسيارة!»..

- «لا يرد، ليس من المعتاد بألا يرد.. أمر غريب..».

- بل مريب!»..

وتبادلا نظرات مفعمة بالقلق..

جعبة الحيل

- «كيف حال والدك الآن يا زيبق؟»..

التفت نحوها ليرمقها بنظرة طويلة صامتة..

كانت ترتدي تنورة بيضاء جديرة بفتاة أحلام، وتعقص شعرها الجميل..

بدا وجهها بشوشا لطيفا، لكنه شعر بخديعة من نوع ما بالموضوع!

- «بخير..»..

كـذا أجابهـا ببرودة مسترجعا موقفها السـابق معه يـوم مرت إلى جواره متجاهلة حضوره.. في حين تبسـمت هي في شيء من ارتباك لطريقـة حديثه، لكنها لم تنزعـج كل الانزعاج، إذ أرجحت ذلك إلى كونه قلقا على صحة البستاني العجوز فحسب..

- «فلنتحدث.. هل أنتِ مشغولة؟»..

- «الآن؟ هممم.. حسنا إذن، أحتاج للقهوة في كل الأحوال..»..

- «إذن هلمي بنا..»..

قصدا كافيتيريا الجامعة بصمت ثقيل الوطء، وتجاهلا معا نظرات الطلبة والطالبات التي لن تكف يوما عن مراقبتهما كما يبدو..



طلب لها القهوة، في حين استخرج عبوة «ماونتن ديو» من الثلاجة، ثم انتقيا ركنا قصيا نوعا، قريبا من الحديقة..

- «هل تعتقدين أن رواة كالأخوين جريم وهانز كريستيان أندرسون ولويس كارول كانوا مؤرخين؟»..

- «أستميحك عذرا؟!»..

وطالعته (رزان) بصمت مستغرب قبل أن تنفجر ضاحكة!

لكنه أردف بسحنة مهمومة:

- «أنا أتحدث بجدية.. لقد قدموا أعمالا خالدة بحق! لم تؤثر أعمال ديستويفسكي أو تولستوي أو تشيخوف على الشعوب بمختلف الجنسيات والأعمار كما صنعت أعمالهم هم رغم أنها موجهة أساسا للصغار، لقد أمضى الأخوان جريم ثلاثين عاماً في مدينة كاسل الألمانية، كتبوا خلالها أشهر أعمالهم المعروضة حاليا في متحف هناك يحمل اسمهما، ثم تأتِ المدينة للاحتفال بمرور ثلاثين عاماً على افتتاح «طريق الأساطير»، الممتد من مدينة هاناو إلى مدينة بريمن كواحد من أقدم الطرق السياحية وأحبها إلى الألمان، لدرجة تأسيسه بمشاركة 70 مدينة ودائرة مختلفة!».

كفكفت دموع الضحك وهي تعقب باسمة:

- «إنك واسع الاطلاع بالفعل، كل تلك المعلومات جديدة علي تماما!»..

واصل السرد متجاهلا ما قالته:

- «لكـن مدينة كاسـل لا تكتفي بذلك فحسـب، بـل تحتفل أيضًا بذكرى (دوروثي فيلمان)، راوية قصص الأخوان جريم وملهمتهما.. كل ذلك ساهم بانتشار مذهل لقصص يصعب إيجاد طفل لا يحفظها كما لو كانت محفورة فـي وجدانه.. الأميرة النائمة، الأميرة والأقزام السبعة، سندريلا، ذات الرداء الأحمر.. الخ!»..

- «لابد وأنك تمزح!»..

- «ثم لدينا الدانماركي الأشهر (هانز كريستيان أندرسن).. حورية البحـر الصغيرة، البطة الصغيرة القبيحة، عندليب الإمبراطور، جندي الصفيح، ثياب الإمبراطور الجديدة، الظل، القداحة العجيبة.. أعماله ترجمـت لجميع اللغات تقريبا، وهنالك جائزة «أندرسـون» الرفيعة، التي تمنح في مجال أدب الطفل كل عامين في احتفال رسـمي، تقوم فيـه ملكـة الدانمـارك (مارجريت) شـخصيا بمنح الجوائـز للفائزين على غرار جائزة نوبل!»..

- «ربـاه! كـم كنت أعشـق قصصه وأنـا طفلة.. خصوصـا حكاية القداحة العجيبة!»..

أوقف (الزيبق) حركة النكاشة المهتاجة في فمه بإصبعين مردفا بشرود:

- «لِمَ لا تكون تلك القداحة حقيقية؟»..

- «ماذا تعني؟ إنها مجرد..»..

- «حكايـة خرافيـة؟ ولكن لِمَ لا تكون ثمة قداحـة بإمكانها صنع شـيء قريب مم سـرده (أندرسـن)؟ ماذا عن القنينة التي كتب عليها:

«اشربيني» في رواية (لويس كارول) فائقة الشهرة؟ فما إن تشرب (أليس) منها حتى تنكمش ليتسنى لها العبور خلال الباب الصغير، أو تلك الكعكة التي كتب على صندوقها: «التهميني»! والتي ما إن تأكلها (أليس) حتى تكبر لدرجة أن رأسها يبلغ السقف!

أو المروحة التي يؤدي استخدامها لانكماش حجم (أليس) مجددا!»..

قالت (رزان) بدهشة حقيقية نابعة من الأعماق:

– «يا له من حديث! ومنك؟ لم أتوقع ذلك بتاتا!»..

– «ولماذا لم تتوقعيه مني بالذات؟»..

– «لأنك..»..

ولم تكمل، فجأة شعرت أنها مرتبكة، وبأن تكملة جملتها مفعمة بالإحراج، فالتقطت قدح القهوة لترشف منه مشيحة بوجهها في شيء من العصبية!

شعر (الزيبق) بأن جلسته مع (رزان) في كافيتيريا الكلية قد استحالت فتورا، فقرر إنهاءها بطلقة طائشة علها تصيب:

– «لم أتمكن من إعطاء (قمر) هديتي..»..

بدت سريعة التعاطف كعادتها حين هتفت:

– «أكانت حقا تحبك؟»..

– «أعتقد.. لماذا تسألين؟»..

– «لا أعلم، الجميع تقريبا يعلم بعلاقتها مع (ودود)!»..

وهو أول العالمين، لكنه بحاجة للحفر أكثر وأعمق..

قال:

- «كانت تستعد لتركه ولا أعلم السبب..»..

- «غريب حقا، لم يكن هذا حديثها مؤخرا، كلامك غريب..»..

- «وما الغريب فيه؟»..

ترددت، لكنها نطقت خلال ترددها وببصر شاخص:

- «كانا متحابين، أعني (قمر) و(ودود)، وقد أسرت لي ذات مرة أنه سيتقدم لخطبتها!»..

تناسى (الزيبق) دوره على الفور متسائلا بشيء من لهفة:

- «كانت موافقة طبعا!»..

- «كادت تطير سعادة.. لكن.. هل هذا يسعدك؟!»..

أجابها بنفاد صبر:

- «بل يشعلني غضبا! لكن ماذا عنها هي؟ ماذا كانت ردة فعلها بالضبط؟»..

تراجعت بكرسيها للوراء محدقة به، ثم همست بشيء من استياء:

- «لقد قضت البائسة نحبها، ففيم يفيدك ما..»..

- «هذا شأني أنا، المهم أن تجيبي!!»..

قالها بغلظة تنبه لها متأخرا جدا، في حين شدهت وهي ترمقه، ثم سارعت بوضع حقيبتها على كتفها ناهضة بسرعة وهي تدمدم:

- «لا يروقني حديثك بتاتا!»..

قال مكابرا وهو ينهض بدوره:

- «لحظة! ما المزعج فيه؟»..

- «أنت تلج خصوصيات لا يجب أن..»..

- «عن أية خصوصيات تتحدثين؟ الفتاة ميتة كما قلتي! ولا ضير أن..»..

خيل له أن غضبا قد اشتعل بغتة في مقلتيها الجميلتين، وسمع صوتها يضج غضبا حقيقيا كذلك لما هتفت:

- «ما الذي تهرف به؟! أتعلم؟ أشك حقا أن (قمر) قد مالت لأحمق مثلك، ولا أعلم كيفية حصولك على صورتها، لكنني أشك الآن أنها أعطتك إياها!»..

حاول تهدئتها بقوله واجما:

- «أنتِ لا تفهمين، أنا..»..

- «لا أفهم؟!»..

- «أقصد أنك لم تستوعبي ما أردتُ..»..

- «والآن صرتُ عديمة الاستيعاب!»..

في سره بدأ يشتم عقول الإناث المفعمة بالترهات! شعر أنه غارق حتى النخاع بمأزق محرج للغاية، لذا، قام بالتصرف الوحيد الذي أوجده له عقله كي يوقفها، فأمسك ذراعها هامسا ولأول مرة في حياته بارتباك غير مصطنع:

- «أنصتي أرجوكِ! إنني أعتذر لو..»..

جاوبته بصفعة رنانة تردد صداها في أرجاء قاعة الكافيتريا، وجذبت انتباه الجميع بلا منازع!

ثم انسحبت على عجل تاركة إياه مبهوتا!

عاود الجلوس ببطء على مقعده شاعرا بالخواء، ثم بالاستهتار، وبقدمه جذب كرسيها كي يريح قدمه اليمنى فوقه، في حين تزايدت سرعة النكاشة الخشبية في فمه..

هنا، لمح في ركن قصي ما لم يتنبه له أحد الموجودين..

تسمرت ملامحه تماما وهو يراقب ذلك الفتى الذي بزغ فجأة من العدم كما العفاريت! وقد ارتدى معطفا أخضر اللون، ويبدو وأن الفتى قد حاول - قدر الإمكان- ألا يلمحه أحد، فقد أخذ يتلفت حوله بتوتر حتى تأكد بأنه في مأمن وبمنأى عن الأبصار، فاتجه لطلب شيء من موظف الكافيتيريا!

وفي تلك اللحظة، استخرج (الزيبق) بسحنة خاوية الحجر الشبيه ببلور الصخر من جيبه، فوجده يضيء بلون وردي باهت..

وعندئذ تبسم بجذل مراقبا الفتى بإصرار وأسنانه تصر فوق خشب النكاشة صرا!

■ ■ ■



الرواة الزرق الثلاثة 3

وسـط عاصفة الثلوج المحيطة في المنطقة، وفي بقعة شبه نائية لا يكاد يبلغها كائن حي..

وفي عرض المسـرح الثلجـي الأبيض الغامـض، يتخلله زمهرير يجمد الدماء في العروق.. بزغت المخلوقات الثلاثة زرقاء اللون!

يتبدون كجسد واحد لأنهم عبارة عن ثلاثة توائم ملتصقة.. صلع، آذانهم مدببة كالحمير، عيونهم بيضاء تماما كالأشـباح، يتحدثون معا وبـذات الوقـت، لكـن الصوت الخـارج هو صوت مخيـف ومهيب لشـخص واحد، الصوت عميق ويتردد كالصدى، كأن محدثك ينطق من جوف كهف!

وبعقيرة واحدة.. ابتدءوا السرد قائلين:



المعطف الأخضر

رغب (الزيبق) بالزواج من فتاة أحلامه ابنة تاجر أقمشـة مرموق، فـزاره وبحوزتـه أجـود قطعـة قمـاش ابتاعهـا، كانت بلون العشـب الأخضر ومعروفة بندرتها..

لكن التاجر لم يقبل بمصاهرته، وصعر له خده قائلا بغطرسة:

- «لا أعطيـك ابنتي حتى تصنع لها من قماشـك هذا ثوبا لم تجد يد إنسان بمثله من قبل أبدا!».

تملك (الزيبق) التعجب، وبرفق وأدب تساءل:

- «ماذا تعني يا سيدي؟».

- «أعنـي مـا قلته، أريد ثوبا يثير دهشـتي قبل استحسـاني، عندها أعطيك كريمتي!».

ونهض معلنا انتهاء الزيارة بحجة أن لديه موعدا آخر أهم..

■ ■ ■

شعر (الزيبق) بالحزن والأسى، فمن الواضح أن الهدف من ذلك المطلب هـو التعجيز، لكنه لم ييأس لأن محبته لفتاته كانت خالصة، ولأجل ذلك قرر المباشرة في صنع ذلك الرداء..



وبعد عدة أيام، انتهى (الزيبق) من صنع معطف أخضر جميل مزخرف الأكمام من قطعة قماشه، وبقي عليه الآن البحث عما بإمكانه جعل التاجر المزعج يشده ويهلل استحسانا لمعطفه..

فكر (الزيبق) لليال عدة، حتى ألهمته مخيلته بوضع أزرار من حجارة كريمة للمعطف الأخضر.. ربما لم تكن الفكرة مبتكرة، لكن رهان (الزيبق) كان على نوعية تلك الحجارة، فستكون كل واحدة منها مختلفة عن الأخرى، كما أنها ستكون من نوع نادر نفيس..

كانت والدة (الزيبق) - رحمها الله- قد تركت لولدها ياقوتة حمراء من نوع نادر للغاية، فقرر جعل تلك الياقوتة أول زر في معطفه الأخضر الجميل..

أما والده - أطال الله بقاءه- فقد منحه هدية ثمينة ورثها عن جده، وقد كانت ماسة بيضاء تشع حتى في عتمة الليل، فوضعها (الزيبق) كزر ثان لمعطفه وهو يشعر بغبطة شديدة..

بقيت مشكلة عالقة، ألا وهي الزر الثالث والأخير، والحجارة الكريمة والنادرة قد نفدت من عنده، والسبيل إلى إيجاد قطعة نفيسة جديدة غير هين..

هكذا قرر (الزيبق) شدَّ رحاله والسفر عبر البحار لإيجاد قطعته المنشودة، وقرر أخذ معطفه الأخضر معه في تلك الرحلة الشاقة..

■ ■ ■

وبعد أن أمضى (الزيبق) شهورا تنقل خلالها بين البلدان باحثا عن القطعة الحجرية النفيسـة، شـعر بالتعب واليأس أخيرا، فركب سفينة متجهـة إلـى أرض الوطن مقـررا الرجوع إلـى التاجر والـد محبوبته ومعه المعطف كما هو، من دون الزر الثالث..

لكـن تجري الرياح بما لا تشـتهي السـفن، حقيقـة لا مجازا! فقد هبـت عاصفـة عاتية أطاحت بالسـفينة محولـة إياها لحطـام، ووجد (الزيبـق) نفسـه في صـراع يائس مع الموت، وسـط الأمـواج العاتية والرياح العاصفة التي لا ترحم..

■ ■ ■

وشاءت رحمة المولى عز وجل أن يفيق (الزيبق) ليجد نفسه على قيد الحياة في جزيرة مجهولة، ولم يفقد معطفه لحسن حظه لأنه كان يرتديـه عندما هبـت العاصفة المنكوبـة، فحمد الله كثيـرا على نعمة البقاء، ثم نهض ليستكشف تلك الجزيرة الغامضة..

سـار حتى أعياه التعب.. فقد كان يشـعر بالجوع الشـديد، كما أن العطـش أحرق جوفه وأضناه، وكاد أن يفقـد الأمل تماما هذه المرة، لولا أن لمح من بعيد كوخا حقيرا بني من الطين وجذوع الشجر..

أسـرع إلـى ذلك الكـوخ متلهفـا، وعندما نظـر من خـلال النافذة البدائيـة المفتوحـة بعصا مرتكـزة وجده خاليا، لكنـه تمكن من رؤية

فاكهة طازجة وعدة أوعية مملوءة بالماء، فاشتدت سعادته وهو يخف للداخل متلهفا..

وبعد أن أكل وشرب حتى شبع وارتوى تأمل الكوخ من حوله مليا، فوجده بدائي الصنع تماما، ويحوي أغراضا كان من الواضح أن صاحب الكوخ قد وجدها على شاطئ البحر، وهي التي تصل عقب غرق السفن..

سمع بغتة صوت غناء قادم من بعيد، فأسرع يختبئ داخل صندوق كبير وجده بين تلك الأغراض، لكنه مع الأسف كان قد نسي معطفه الأخضر على الأرض، فقد قام بخلعه عقب دخوله الكوخ..

أبصر من فجوة بالصندوق رجلا متين البنية يدلف الكوخ، كان عاري الجذع، ويستر باقي بدنه بمئزر من جلد حيوان، ويطوق عنقه بتمائم من عاج وحجر وخشب منحوت، ويحمل عصا من البيلسان..

كانت لحيته تغطي أكثر أجزاء جسمه من طولها، وقد بدا بما لا يدع مجالا للشك أنه صاحب هذا الكوخ.. ووقف الرجل يتشمم الهواء لثوان قبل أن يقع بصره على المعطف الأخضر..

اقترب منه وقد علت الدهشة ملامح وجهه، وبحذر تناوله من على الأرض بعصاه كما لو كان حية سامة، ومن ثم ارتسمت البهجة في سحنته وهو يتناول المعطف ويتحسسه، بعدها قام بارتدائه، وطفق يسير به في أرجاء الكوخ مختالا مزهوا!

كتم (الزيبق) ضحكاته بصعوبة وهو يراقب من مخبئه ذلك العرض المسلي، لكن ذهوله بزغ مفاجأة عندما سمع الرجل يرفع عصاه متمتما بعبارات غير مفهومة، ومن ثم اختفى من الكوخ كما لو كان مجرد طيف!

■ ■ ■

كاد (الزيبق) يفقد عقله عندما اكتشف بأن صاحب الكوخ ساحر، ولربما كان جنيا على صورة إنسان!

ومن شدة رعبه لم يتمكن من التحرك للخروج من الصندوق، وبقي على حاله ممدا في مكانه حتى انتصف الليل..

كان قد غفا قليلا، عندما أيقظه صوت ما، فنظر من خلال الفجوة ليجد أن الساحر قد عاد، وقد بدا سعيدا للغاية، فقام بخلع المعطف ورميه أرضا، ثم خرج من الكوخ وهو يرفع عقيرته بالغناء!

عند تلك اللحظة فقط، سارع (الزيبق) بالخروج من الصندوق، فتناول معطفه من على الأرض، ثم غادر الكوخ من الجهة المقابلة..

سار مسافة طويلة جدا قبل شعوره بالوهن والبرد، فارتدى المعطف بغية اتقاء لسعات البرد المنهكة..

وفي الثانية التالية، وجد (الزيبق) نفسه وسط مجموعة من الغجر الملتفين حول نار أوقدوها، وكانوا يعزفون على آلاتهم الوترية



الموسيقية بمرح، وفتيات سمر فاتنات يرقصن حول النار المتراقصة بدورها!

■ ■ ■

كانـت دهشـة (الزيبـق) عارمة، لكن دهشـة جمـوع الغجر كانت أشـد، وأطلقـت الفتيات صرخات الرعب الشـديدة، في حين سـقط غليون أحد العجائز من فمه لما هتف ساخطا:

- «هذا ساحر يا رجال! رفيق مخلص للشيطان!».

لم يفهم (الزيبق) العربي لغة أولئك الغجر، فتساءل برهبة:

- «أين أنا بحق الله؟!»..

- «ويتحدث بلغة عجيبة!»..

ورفعـت امـرأة مسـنة قبضتهـا المعروقـة، صائحـة بفم خـال من الأسنان:

- «أحرقوا الساحر!»..

- «أحرقوا الساحر!! أحرقوا الساحر!!».

وهكـذا وجد التعس نفسـه مجردا مـن ثيابه كلها تقريبا، وقد شـدَّ وثاقـه إلـى وتد خشـبي عملاق، وبحماسـة، شـرع الغجـر يجمعون الحطب اللازم لحرقه، فصاح مرتعبا:

- «ما الذي تريدون فعله يا كفرة؟!»..



لم يلتفتوا إليه بتاتا، وفي النهاية، كانوا قد أنهوا جمع حطب يكفي لإحراق منزل بأكمله..

اقترب العجوز صاحب الغليون وهو يتلوا صلاة ما، وخلفه وقف رجـل عمـلاق مخيف السـحنة يحمـل في يده مشـعلا منتظـرا تنفيذ الحكم..

اقتربت حسـناء منـه وهي تحمل بين يديها دلو مـاء.. قربت الدلو من شفتيه، لكنه رفض الشرب..

ثم قربت من فمه كسرة خبز جافة، فرفض كذلك أن يأكل..

تبادلوا جميعا النظرات والكلمات بلغتهم المبهمة، قبل أن يسـتل الرجال أسلحتهم البيضاء ويقوموا بحل وثاق (الزيبق)!

ظن أنهـم قد عفوا عنه، لكن كبيرهم صاحـب الغليون اقترب منه والصرامة بادية عليه، فأشـار إلى الماء، ثم إلـى الخبز، وبعدها حرك يده بعلامة التساؤل..

أخيـرا فهم (الزيبـق) مقصده، فقد كان الغجري يسـأله عن مطلبه الأخير، وقد سمع (الزيبق) من معظم الرحالة أن ثمة أناس في بعض المجتمعـات لا يجـرؤون علـى إعـدام مجرم قبـل أن يعرفـوا مطلبه الأخير، فأشار إلى معطفه وهو يمثل حركة ارتداءه..

فهم الغجر مطلبه أخيرا، فناوله أحدهم المعطف كي يرتديه.. فما إن فعل (الزيبق) حتى وجد نفسه في آخر مكان توقع أن يكون فيه..



لقـد انتقـل إلى مجلـس التاجـر والد محبوبتـه في مقطنـه! وكان الأخيـر عاكفا على شـرب الشـاي عندما بـزغ له (الزيـبق) من العدم كالعفاريت!

بخ الرجل الشاي من فيه قبل أن يصرخ:

- «من أين ظهرت؟! بسم الله الرحمن الرحيم!!»..

ذهل (الزيبق) لتلك المفاجـأة الرائعة، فكاد ينتحب وهو يردد بلا توقف:

- «الحمد لله! الحمد لله!»..

- «كيـف وصلـت إلى مجلسـي بتلك البسـاطة؟ أأنت سـاحر أم ماذا؟!»..

رمقه (الزيبق) بنظرة طويلة، ثم خلع المعطف الأخضر برفق قائلا وهو يسلمه إياه:

- «هاهو ذا مهر ابنتك يا سيدي..»..

- «أتعني بأن هذا المعطف..؟!»..

- «أجل، إنه معطف مسحور..»..

تحسسـه التاجر بلهفـة وتعجب وجشـع، فغمغـم (الزيبق) بمكر فاردا بذراعيه مشجعا:

- «أتود تجربته يا حماي العزيز؟!»..

مأساة

كان سطح سكن طلبة الكلية خاليا من أي كائن بشري..

ثم.. في لحظة لا تتأكد من وجودها.. كطرفة عين.. بزغ (الزيبق) من العدم!

لهث متأملا المكان حوله، كأنما يتعرفه للمرة الأولى، ثم بدأ يهدأ متحسسا المعطف الأخضر الذي ارتداه، قبيل نزعه ببطء ووضعه بحذر على ساعده..

تأكد من وجود النكاشة في فمه متقدما من الحاجز الإسمنتي، ونظر بشرود للأفق شبه الملبد بالسحب..

لقد حصل على غرض قيم حقا، وهو يعلم يقينا أنه سيساعده بشدة في بحثه المستميت عن باقي تلكم الأغراض الشيطانية!

■ ■ ■

على غير العادة، وجد باب الغرفة رقم (12) مفتوحا على مصراعيه!



خارجا، كانت سيارة شرطة متوقفة لم يأبه لتواجدها بتاتا، ولكن، وعندما أبصر باب غرفتهم مفتوحا بهذا الشكل، استشعر هاجسا مخيفا يكاد يعتصر ثناياه اعتصارا..

صار سيره أبطأ، وتناهى لمسمعه أصوات جديدة بخلاف صوت (لمعي) أو حتى (بنكي)..

ازدرد ريقه بعسر وهو يدلف محاولا ألا ينظر..

- «حضرتك (الزيبق)؟».

رفع رأسه بتثاقل شديد ليواجه رجل شرطة حليق الذقن يرمقه بريبة، ثم وبنظرة سريعة لاحظ تواجد آخر بشارب كث، وقد وقف يحادث (لمعي) المتهاوي على الكرسي وقد تحجرت الدموع في مقلتيه..

وعندئذ، أدرك أن الأسوأ قد وقع بالفعل!

«جرافيتي»

كان استجواب الشرطة أقرب للمهزلة..

في مركزهم جالسوه بمودة ظاهرة أولا، ثم أمطروه بعشرات الأسئلة السخيفة، ولم يفت أحدهم الاستهزاء من اسمه العجيب!

أجاب على أسئلتهم بكل برودة، ورمق الشرطي الذي سخر من اسمه قائلا بنبرة رتيبة للغاية:

– «ثم عرجت على والدي للاطمئنان عليه –«تبا لك»!– قبل أن أرجع للسكن، لقد أخبرتكم أنني اتصلت به على محموله ولم..»..

هنا قاطعه الشرطي الهازئ بريبة:

– «لحظة.. هل قلتَ شيئا؟»..

– «ماذا؟»..

– «هل تسخر منا أيها الصعلوك؟ أنت شتمتني!!»..

تأمله (الزيبق) بأبله نظرة ممكنة، ثم دمدم:

– «ولماذا أشتمك؟ هل أخطأتَ بحقي؟ وهل أعرفك لأمازحك مثلا؟»..

- «لا أعلم ما تحاول فعله هنا أيها القرد ال..»..

قاطعه (الزيبق) وقد بدأ يصطنع فقدان أعصابه ببطء:

- «ولا أنا! لدي صديق مقتول وأنت تحاول التظرف كما يبدو!»..

وطأطأ رأسه هامسا:

- «يا حقير!»..

- «سمعتك! يا لك من..»..

- «أنت مجنون حتما! أخرجوني من هنا!!»..

الرجل الآخر الجالس وراء المكتب حاول أن يبدو محترفا، فشبك أصابعه أمام وجهه، وراقب بتمعن كل خلجة من خلجات (الزيبق)..

وفي النهاية قال بنبرة شديدة الاحترافية:

- «نحن نحاول القيام بعملنا يا (زيبق)..»..

- «وأنا لم أحاول إنكار ذلك - "أيها الوغد" - أو السخرية منكم مثلا!»..

هب واقفا هو الآخر ليصرخ:

- «أتعلم ما بإمكاننا صنعه بك الآن وحالا؟!»..

- «لماذا تهددونني وكأنني ارتكبت جرما؟ (ينكي) كان صديقي! لقد كان صديقي المفضل!! ما الذي تحاولون فعله بي؟!»..

كان يصرخ الآن كالمعتوه، فتلوى وجه الشرطي الأول اشمئزازا قبل أن يفتح الباب ويطلب من الحارس إخراجه..

- «لحظة.. دعه يوقع إفادته، ثم فليرحل إلى سعير جهنم!»..

دنا (الزيبق) والتقط القلم، ولكن وقبل أن يوقع أمسكه الشرطي الثاني من رقبته برفق كي يهمس له:

- «سنعاود الاتصال بك يا (زيبق)، ها؟ حاول ألا تثير قلقنا بشأنك، وألا تثير شكوكنا نحوك كذلك.. ها؟ اتفقنا؟ ها؟»..

وأفلته باسما بوحشية كأنما حقق للتو أعظم انتصاراته، فانفلت (الزيبق) ليوقع الإفادة، ومن ثم خرج مع الحارس كما لو كان يلوذ بالفرار..

نظر الشرطي للأوراق تمهيدا لختمها، قبل أن ينادي زميله بقوله:

- «انظر لهذا التوقيع..»..

- «ما باله؟»..

ركز الشرطي بناظريه في التوقيع، كان يحملق بطريقة مضحكة وهو يهمس من بين أسنانه:

- «لا أعلم.. يخيل إلي أنه يقول: «حثالة»! لكنني غير واثق.. ما رأيك أنت؟»..

خطف زميله الأوراق متمعنا في التوقيع المُذيل، حتى أنه ألصقها بأنفه محاولا التقاط العبارة بالضبط كما وصفها زميله، لكنه فشل في ذلك كما يبدو، إذ همهم بعصبية زائدة:

- «لستُ متأكدا.. يلوح لي أنه مجرد توقيع سخيف.. لا أعتقد أن الصعلوك متهور لهذه الدرجة، وإلا لالتهمناه حيا.. ما رأيك؟»..

- «همممم.. وأنا أعتقد ذلك أيضًا!»..

■ ■ ■

- «إذن.. قتل (بنكي) في تمام الساعة ال.. ال..».

رفع (الزيبق) رأسه شاعرا باغتياظ لا حدود له، وصرخ بأعلى صوته في صديقه الآخر المتبقي:

- «هل أصابك العته؟ يجب مراجعة القضية بكل دقة ودون إغفال أية تفاصيل!».

بدا مظهر (لمعي) مثيرا للشفقة والسخرية معا وهو يردد مغالبا بعسر دموعه المنهمرة بغزارة:

- «لكنه (بنكي) يا زعيم! صديقنا القديم! كيف قتل؟ من قتله؟ ولماذا؟ كيف حصل هذا؟! أكاد لا أصدق أنه قد..».

قاطعه باغتياظ أشد:

- «كف عن ترديد الترهات! تريد أن أخبرك من الذي قتله؟ (ودود) الوغد طبعا! لماذا؟ لأنه كشف مراقبة (بنكي) له، وأراد بعث رسالة إلينا بأنه لا يهاب أحدا.. هل ارتحت؟ والآن ساعدني كي نوقع به وإلا.. وإلا ذهبت بنفسي كي أحز رقبته اللعينة!!».

لم تفلح تلك الكلمات في تهدئة (لمعي)، وفي النهاية انفجر باكيا كالأطفال!

- «سأخرج أيها الأحمق الذي لا يصلح لشيء!»..

فما إن فتح الباب حتى ارتطم بصره بها!

طالعها بحدقتين متبرمتين، في حين همست هي بارتباك:

- «سمعتُ بالأخبار المؤلمة..»..

- «وبعد؟»..

- «تعازي الحارة!»..

- «وبعد؟»..

- «أرجوك ألا..»..

دفعها بخشونة زائدة جانبا، وانطلق في سبيله قائلا بغضب:

- «إليكِ عني.. إليكم عني.. جميعكم!!»..

كان يتحـرك بسـرعة وعصبيـة وهو يلهـث، فمـا إن أصبح خارج البناية بأكملها حتى توقف لالتقاط أنفاسه محاولا الهدوء..

ثـم لم يلبث أن ترقـرق الدمع في مقلتيه، متذكرا صبيا قويا وظريفا، يتقاسـم مع صديقـه الأرعـن الطائش قطعة مـن الحلوى سـرقاها من البقالة، وهما يتضاحكان للتغلب على ذعرهما من مطاردة البائع لهما!

كان (بنكـي) أخا أكبر لطالما اعتنى بـه، كلاهما يتيمان، لكنه كان يتيم الأم وصاحبه الضخم يتيم الأب، وقد شـك (الزيبق) في مرة بأن

والـده علـى علاقة بوالـدة صاحبه! إلا أنـه لم يُلمح بذلـك ولو لمرة رحمة بأعصاب (بنكي) وشفقة عليه..

ثـم ظهـرت الحقيقة التـي أراحته بشـدة، فوالـده كان يمـد والدة (بنكي) بما تيسـر له من مال عونا لظروفها السـيئة لا أكثر.. ما حدث جعل (الزيبق) يضع والده في مرتبة عليا للغاية، كأنه قديس الإخلاص للزوجة المتوفاة أو شيء من ذاك القبيل!

كانـا – هـو و(بنكـي)– جاريـن في هـذه الأنحـاء النتنـة، التصقا ببعضهمـا بمـودة غيـر مألوفة، ففي عالمهمـا لا توجد غير القسـاوة، لكنهما اسـتخلصا المودة وإن أتت بمشـقة، وبالطبع ثالثهما (لمعي) الذي انحدر من أسرة فقيرة هو الآخر..

كانت بداية التعارف لما أنقذه (بنكي) من مطاردة رجال الشرطة، فقـد كانـت للزيبـق هوايـة طريفـة بعـض الشـيء، إذ كان يهـوى فن «الجرافيتي»!

طبعـا لم يفهم (بنكي) المصطلح الغربي، وهرش رأسـه كعملاق طيب، فاسـتفاض (الزيبق) بالشـرح له – وبكل حماسـة– بأن البشـر فـي العصور البدائية قاموا بتلك الأنواع من الرسـومات على جدران الكهوف باستخدام عظام الحيوانات، واستمروا حتى في الحضارات الفرعونية والإغريقية والرومانية..

ارتبط الجرافيتي في بداياته بموسيقى «الهيب هوب» في نيويورك، وقد بدأ انتشـاره منذ عام 1979م في روما، ومن حينها تعرف العالم

على هذا النوع غير المألوف من الفنون، فلاقى شعبية هائلة، وانتشر استخدامه في مجالات متعددة بإمكانها إدرار المال كالإعلانات..

- «يستخدم فنان «الجرافيتي» عادة بخاخ Paint Marker في رسوماته، وأقلام «البوية» للتواقيع وكتابة الأسماء، وهي مصنوعة خصيصا للجرافيتي بمقاسات مختلفة..».

- «بوية؟!»..

كذا قال (بنكي) وهو يقهقه، لقد فهم المصطلح على نحو خاطئ للغاية! لكن (الزيبق) أردف باسما:

- «ثمة كذلك أغطية خاصة للتحكم بشكل بقعة البخاخ ومساحات الرش..»..

- «إنه يبدو لي مجرد شخبطات لعينة على الجدران يا رجل، لا تستحق أن تحبس وتغرم لأجلها!»..

- «بل هي نوع من الفنون، لكن العقل العربي بحاجة لقرن - على الأقل - كي يستوعب ذلك!»..

- «قرن! هههه.. قرن!»..

- «أجل قرن.. ههههه!»..

ولم يتمالك (الزيبق) نفسه حين وجد نفسه وحيدا يكرر تلك العبارة الأخيرة مقهقها بشرود، كأنما استعاد في تلك اللحظة تلكم الذكريات العزيزة.. فأجهش تاليا - وبحرارة- في بكاء يمزق نياط القلوب!

مملكة الأوهام

الأشباح

داخل السيارة المكشوفة ذات الزرقة السماوية والمنطلقة بسرعة معتدلة، جلس (الزيبق) على المقعد بجوار السائق قابضا على غطاء رأسه كي لا يرفرف بفعل الرياح المتلاعبة عبر النافذة المفتوحة بجواره..

وبين الفينة والفينة، كان السائق يمد ذراعه مداعبا اندفاع الهواء الجنوني بجذل، صائحا بغبطة:

- «لابد وأن نحتفل الليلة!»..

فرمقه (الزيبق) بنظرة طويلة ذات طابع حزين ومرير، متبسما بمشقة..

لطالما كان (بنكي) شخصا صغير الرأس، وهو أمر لا يمت للمجاز بصلة، كانت رأسه أصغر من باقي أعضاء جسده الضخم..

استطاع أن يعد كذلك بعض الطعنات الجنونية المنتشرة في كل من عنقه وصدره ومعدته، لم يستطع رؤية تلك التي على ظهره كونه أراحه على المقعد.. تقرير الشرطة ذكر أن عددها كان تسع طعنات!

وتأمـل أنامـل يـده القابضة علـى عجلة القيـادة بإحـكام، وبتؤدة همهم:

- «أين على وجه التحديد؟»..

- «ثق بي!»..

كان حلم (بنكي) الدائم - على أرض الواقع - قيادة سيارة مماثلة، فقد كان يعشـق السيارات، صوت محركاتها عبارة عن سلم موسيقي يسـتطيع وبكل يسر تحديد مفاتيحه، وخبرته الميكانيكية تجعله يميز العطب في أية سيارة دائرة على الفور..

- «يا لها من سـيارة رائعة! لم يُصنع منها سـوى سبع سيارات في العالم كله!».

ثم لكم كتف (الزيبق) بمرح صائحا:

- «لِمَ العبوس يـا زعيم؟ ابتهـج.. نحن في طريقنـا إلى مكان لا يصدق!».

كنتَ يا (بنكي) العزيز محبا للمرح..

عموما.. ها قد بلغا غايتهما أخيرا، إذ توقفت السيارة النادرة..

■ ■ ■

لـم يكـف (الزيبق) عـن مطالعة مظاهـر البذخ حولـه داخل ذلك الفنـدق المكتـظ زبائن مـن طبقة تعلـو طبقتـه لدرجة وطئهـا بأحقر حذاء..

الأرضية بأكملها من لونين، الأبيض والأسود كما لو كانت لمعبد ماسوني، فقد صممت لتظهر على هيئة رقعة شطرنج! والجدران بأكملها لا تحوي سوى رسم واحد غريب يبدو كمخالب حيوان مفترس ما!

الكؤوس تتقارع بصخب صوب البار، وثمة من يقصد «البوفيه» المحتشد مأكولات بحرية وحلويات من صنوف فاخرة كي يعبئ طبقه..

على المسرح المواجه لزبائن الفندق انتهت فقرة أمتعت الذكور من الحضور قبل الإناث، حيث عزفت فرقة لحنا شرقيا رقصت على إثره فتاة ذات فتنة برشاقة مبهرة وأنوثة محفزة..

ثم أعلن مقدم الحفل عن تواجد أعجوبة من أعاجيب الزمان..

- «رحبوا بحرارة معي بالمذهل (جمشت)!».

وتواثب على الخشبة كهل طويل الشعر داكن البشرة ارتدى بدلة فاقعة الاخضرار، رشيق الحركات بحق، لكنه جهنمي الحواجب، وأخذ يوزع القبلات هنا وهناك بكلتا راحتيه..

ثم بدأ - وبلا سابق إنذار - بإنشاد أغنية:

«يا ستي يا ختيارة، يا زينة كل الحارة..

حبيبي يالي بحبه.. ناطرني بالسيارة!»..

بعقيرة شـنيعة كالحمير، وهو يدور حول نفسـه راقصا رقصة أشبه بالفلامنجو، مطرقعا بأصابع يد فوق رأسه والأخرى ملتصقة بصدره، فانطلقت أصوات الضحكات بلا حساب!

صمت بعدها بادئا الاسترسـال عن سـبب قدوم الجميع إلى هنا، تكلم بمرح وسـخرية عن كمية المال التي تصرف ببذخ بدل اكتنازها بحكمة، وعن نوعية الرجال والنسـاء التي يصرفونها، ثم حيا الجميع علـى صنائعهـم كأنما نسـي مـا تفوه بـه قبيل برهـة، بل تمـادى أكثر حيـن طلب منهم بما يشـابه الانصياع لأوامره بأن يشـبعوا عوضا من أن يتعففـوا، وأن ينتقمـوا عوضا مـن أن يحنوا، وأن يسـتمتعوا فكريا وعاطفيا حتى يصيبهم الشبع!

- «عيشـوا كما تريـدون! اعملـوا والهوا وارتاحوا كما تشـاءون! كلوا واشربوا وارتدوا ما ترغبون!

بل وموتوا وقتما تضجرون!».

لـم يكن «مونولوجسـت» بارعا، لكن حديثـه أضحك الكل دافعا إياهـم لوصلة مـن التصفيق الحـاد، عدا (الزيبق) الـذي همس بفتور لبنكي المنفجر ضحكا:

- «هـذا الجمشـت يقـول كلامـا غريبـا.. إنـه ثقيل الظـل لحدٍ لا يطاق!».

- «بل هو رائع! رباه! لم أضحك هكذا منذ زمن!».

كاد يقول لصاحبه بأنه لا يكاد يراه إلا ضاحكا، لكن لسانه انلجم حين ظهرت على خشبة المسرح مساعدة عارية الساقين، تدفع بيسر صندوقا مبتذلا على عجلات، كان من صناديق الحواة التي ينشرونها وفتاة داخله، حيث اصطبغ بلون كحلي، ورصعت جوانبه بنجوم مصفرة متلألئة..

إذن، ما الرجل السخيف إلا حاو في نهاية المطاف، والأسوأ أن حيله تبدو - من الظاهر - مبتذلة كنكاته!

لكن الكل مرح سعيد، والأهم أن صاحبه (بنكي) لا يكف عن التصفيق والضحك، فليكف إذن عن تعكير الجو وليكتفِ بالمراقبة في صمت..

فرد (جمشت) ذراعيه ليغدو كالمصلوب، مطالعا الحضور بجفنيه الكريهين، ودمدم بصوت كالهدير منبشا ببصره بينهم:

- «قد يحسب البعض السحر أضحوكة، لكنه جاد يا سادة، وواقع يفرض نفسه لولا مكابرة الحمقى!».

فتعالى صوت الضحك من جديد، لكنه تجاهلهم مردفا بثقة:

- «لستُ مسئولا عما يصيب متطوعي من بينكم، فقد يرحل إلى عالم يدفعه للتمني بأن ينشر بألف منشار، وتبعثر أشلاؤه ألف قطعة، قبل أن يزوره ويرى مخلوقاته الجهنمية الهائمة بخطى الأشباح!».

كان كلاما عجيبا، وللمرة الأولى بدأ (الزيبق) ينصت بجدية..

ورغم ما قاله ارتفعت الأصوات والأيادي مطالبة بنصيبها من التطوع، الكل رغب فجأة بزيارة ذلك العالم المثير الذي تحدث عنه ذلك الأفاق!

وهنا تبدى سخط شديد في ملامح (جمشت)، فأطلق صرخة مزلزلة هادرًا:

- «اقتل ما رغبت في ذلك! وامنع البقرة من إدرار الحليب، واجعل الآخرين غير قادرين على الإنجاب، واقتل الأجنة في بطون أمهاتهم، واشرب دم الصغار، أو اصنع منه حساءً، واشوي في الأفران لحومهم، واصنع من عظامهم أدوات للتعذيب!»..

وهدأ صوته لما أضاف برقة ماكرة:

- « ارتبط مع من تحب متتشياً حسب رغبتك، وعاضد الشيطان ولا تتقيد في رغباتك بأحكام البشر والقوانين.. إذا كنت قد صنعت ذلك كله فأنت بمأمن إذن داخل صندوقي السحري!»..

انلجمت ألسنة الجميع كأن على رؤوسهم الطير، وخيم الصمت عجيبا ثقيلا وقد شاع تردد في الأبصار، حتى أن الأيادي المتحمسة لتوها قد هبطت جميعها عدا..

نظروا كلهم، ونظر (الزيبق) مستنكرا إلى يد صاحبه المرتفعة بإصرار، وطالع في حدقتيه التحدي.. أراد أن يهمس له بشيء، لكنه



تراجع شـاعرا بالسـخف إزاء كل ما يحدث، كما أن غمـزة أريبة من جفن صاحبه الأيسر دفعته للصمت تماما..

- «لدينا متطوع شجاع يا سادة.. حيوووووووه!».

تبدى التصفيق خجولا مترددا إثر كلمات الساحر العجيبة، ونهض (بنكـي) محييا الحضور بيـده، وهو يندفع برعونـة صوب الدرجات المؤدية لسطح خشبة المسرح، فتواثب كالسعدان الرشيق حتى صار على متنه، وتقدم بخطى ثابتة وتعبير الاستهانة يملأ تقاسيمه..

كفت مسـاعدة السـاحر عن التصفيق مُعدلة من وضع الصندوق، وفتحـت بابـه مشـيرة بأطراف أناملهـا أنه فـارغ تماما، ثـم فتحته من الخلف كذلك وأدارته مرة ليتيقن الحضور أكثر..

بتعبير اسـتعراضي بارد أوثق السـاحر بذراعيه أمام صدره، وبنبرة شديدة هتف سائلا (بنكي) وبصره معلق بالحضور:

- «هل أنت مستعد يا سيدي لخوض رحلة العمر؟»..

- «طبعا!»..

- «حتى وإن كانت إلى بعد قد لا ترغب برؤيته؟»..

- «حتى ولو إلى سعير جهنم.. خلصنا!»..

فتضاحك الجمهور بعصبية، لكن (الزيبق) لم يشاركهم الضحك، بل همس باعتراض واهن للغاية:

- «لا.. لا ترحل!»..

تبسم الساحر في دهاء قائلا:

- «وهو كذلك..»..

وابتـدأ العرض السـحري لمـا تصاعدت موسـيقى صاخبة أقرب للـروك آنـد رول، غنى السـاحر علـى إثرهـا بعقيرته الجشـة وباللغة الانجليزية - أم أنه مجرد تسجيل لصوته القبيح؟-:

From the beginning of time, through centuries..

I was among his hidden treasures..

My life flows from the depth of the spheres..

Which give order and form to the soul..

Divine forces build it and nourish it..

Then it is preserved in the chambers of the King..

The soul descended the ladder of Heaven..

From the prime vale pool of Siloam to the garden of the King..

وبعون من المسـاعدة الجميلة ولج (بنكـي) الصندوق العجيب، فأقفله السـاحر مـن الجهتين، وأداره بضع مرات وهـو لا يزال يغني، في حين أخذت المساعدة تتلوى كأفعى مغرية الجذع!



فما إن توقفت الموسيقى بغتة، حتى ردد الساحر الكلمات التالية بهدير تردد صداه كهزيم الرعد:

- «هيخالوت!

سيتسيرا!

سيفروت!

سيفروت!

سيفروت!».

ضجت القاعة بتصفيق جنوني عندما فتحت المساعدة الصندوق ليتضح لهم أنه فارغ تماما!

هكـذا، اختفى (بنكي) بقدرة قادر، فالصندوق كان على عجلات ترفعـه، أي أنه غير ملتصق بـالأرض، فلو كان كذلك لخمن (الزيبق) بـأن كوة ما قد انفتحت ليتزلق صاحبه داخلها مستقرا أسـفل خشـبة المسرح..

انحنى الساحر (جمشت) نصف انحناءة وهو يقبل أنامل مساعدته الحسناء التي انحنت بدورها في رشاقة، ثم أسدل الستار عليهما!



اللـغـز

شعر (الزيبق) بقلق يلتهم ثناياه بلا هوادة..

ووجد نفسه يفكر.. أليس من المفترض أن يظهر صاحبه مجددا عقب اختفائه الغامض؟

أليس من المفترض أن يعيده الساحر أمام الحاضرين على خشبة المسرح؟

الحضور غير مكترث طبعا، ولربما ظنوا أن صاحبه مجرد معاون للساحر، لكنه يعلم أن ذلك غير صحيح..

ربما كان الآن واقفا يناقش الساحر في عرضه، أو أنه نسي نفسه مبتدئا مغازلة نهمة مع مساعدته الجميلة!

ونهض مقررا البحث عنه، تخيله واقفا مع تلك الحسناء يتجاذب معها أطراف الحديث، وما إن يراه حتى يغمز له – كالعادة- بجفنه الأيسر رافعا إبهامه لفوق!

سلك منعطفا يؤدي إلى كواليس المسرح بالخلف، وتجاهل نظرات الراقصات والموسيقيين لوهلة، قبل أن يتوقف متسائلا بصوت مرتفع عن مكان حجرة الساحر (جمشت)..

أرشدوه باحترام وقد خمنوا ذات التخمين، معجب! مجرد معجب يود الحصول على أوتوغراف، ولربما صورة تذكارية كذلك مع الساحر..

أما عنه، فقد أحس بقلبه يضطرم بين ثناياه لسبب مجهول، حسبه التوتر لتواجده في مكان لم يألفه، لكنه أدرك أن قلقه على صاحبه قد اشتعل دونما هوادة، وزاد ذلك الشعور لما توقف أمام باب حجرة الساحر، فطرقه بكل ما يعتمر داخله من عصبية..

- «لقد رحل!».

تلفت مصعوقا، فأبصر مقدم الحفل واقفا وبيده سيجارة، حدَّجه بنظرة ساخطة وهو يهتف به:

- «رحل؟ رحل إلى أين؟».

- «إلى مقطنه طبعا، فقد فرغ من فقرته!».

- «وأين صاحبي الذي أخفاه؟!»..

- «الله أعلم! لربما رحل كذلك!»..

تسلقت الدماء ملامح (الزيبق) وهو يصرخ مغتاظا:

- «إلى أين وقد كان ساهرا معي؟ أيرحل المرء هكذا بلا حضور أو دستور؟!»..

- «يا سيدي أنت أدرى بصاحبك..»..

- «بكل تأكيد، لذا أقول بأن ساحرك اللعين قد خطفه!»..

تبسم الرجل قائلا باستهزاء وهو يقدم رأسه للأمام مستوضحا:

- «هل أنت جاد؟!»..

- «كل الجدية، لذا تفضل باستدعاء الشرطة!»..

تناول الرجل نفســا عميقا من سيجارته، ونفث ببرودة الدخان من منخري أنفه الأفطس وقد التمعت في عينيه نظرة غريبة..

كان ذلك عندما سمع (الزيبق) صوتا مألوفا بلغه من الخلف:

- «صاحبك رحل دونما رجعة يا زيبق، وأنت تعلم ذلك جيدا!»..

تسمر (الزيبق)، ثم وببطء التفت لمواجهة محادثه مدمدما ببرودة:

- «أتراك من قتله؟ يا (ودود)؟!»..

■ ■ ■

- «ماذا تصنع هنا؟»..

تجاهل (ودود) السؤال مطرقعا بإصبعيه..

وصلـت لطاولتهما التي جلسـا خلفها نادلة بـزي فاضح كأرنبات لاس فيغـاس مـن أذنين طويلتيـن وذنب كروي، حاملـة صينية فضية عليها كأسـين من شـراب بلون بنفسـجي غامق، فالتقطهما (ودود)، وناول (الزيبق) أحدهما قائلا بمكر وهو يغمز له بجفنه الأيسر:

- «لنشرب الآن نخبا خاصا!»..

شمَّ (الزيبق) الرائحة المدوخة المتصاعدة من كأسه قبل أن يتساءل في شك:

- «ما هذا؟».

رمى (ودود) برأسه للوراء مطلقا أعتى ضحكة، ثم وضع يده على كتف غريمه قائلا:

- «شراب عجيب لم يسمع به كثيرون من قبل.. أسمعت بالهوفوديليس من قبل؟ لا أحسبك فعلت! إنه نبات عجيب، يقال أنه ينبت تحت تأثير كوكب زحل!

قيل كذلك أنه إذا ما عُلق في أي منزل بالقرب من بابه قام بطرد الأرواح الشريرة التي تحاول ولوجه! لذا يستخدمه المسيحيون بأكثر مما يستخدمون صلبانهم!»..

- «حكاية طريفة..»..

كاد (ودود) يسترسل أكثر في حديثه عن الشراب العجيب، لولا تلويحه بيد ملولة قائلا وهو يرفع كأسه نحو شفتيه:

- «المهم أننا هنا الآن.. أنا وأنت.. فهلم بنا نحتفل!»..

- «لم تجبني.. ماذا تصنع هنا؟»..

- «سؤالك سخيف.. فأنا مالك هذا المكان!»..

- «في أحلامك!»..

- «بالضبط!»..

وكرع ما بالكأس في جرعة واحدة، في حين تذوق (الزيبق) شيئا من شرابه، فاستطعم مرارة لاذعة بعض الشيء على طرف لسانه، ومن ثم صار طعمه لذيذا إلى حدٍ لا يصدق، مذاقه يمزج ما بين الفريز والعنب وحتى النعناع، مع إن بداية استطعامه له ذكره بعبق الريحان!

كان (ودود) يثرثر بلا توقف، لكن كلماته بدت بعيدة عن أذنيه.. كأنما يسمعها من على بعد شاسع آخذ بالامتداد بلا توقف!

استفاق من غفوته القصيرة، فوجد نفسه فوق سطح مياه بحيرة وثيرة دون أن يغرق! فيما بعد أدرك أنه سرير! سرير من نوع غير عادي..

تلفت بوهن حوله، ثم اعتدل واقفا، ودار حول نفسه ضاحكا كطفل!

كانت زخارف المكان دقيقة، كأنما تنبه لدقة وجمال صنعها الآن فقط، وقد نحتت على أجزاء من عاج وأجزاء من فضة، وأبراجه بأكملها تتلألأ كعشرات الدرر النقية، بل كملايين الدرر النقية..

عبر كالمأخوذ وخطا فوق الدرج الزجاجي الشفاف.. وجد مساحة مذهلة، حوالي النصف لملعب القدم، وقد غاصت قدماه في سجادة وثيرة بإمكانها تغطية بيت بأكمله، فمنحته شعورا غامرا بالراحة لا يوصف، حتى إنه فكر في الاستلقاء على وبرها ليلامس جسمه بأكمله!

في الوسط نافورة ضخمة نحتت بأكملها من الزجاج، تترقرق منها المياه مصورة أقواسا غاية في الإتقان..



خلف النافورة درجات عريضة شفافة تصله للطابق الأول فحسب، وعندما وضع قدمه على الدرجة الأولى أبصر بغتة نورا منبعثا من طابق البرج الأول، يسير بتؤدة وراء العواميد الذهبية، فكلما ظهر غشي بنوره المبهر بصره قبل حجبه من قبل العامود التالي، وهكذا دواليك..

كان النور قد خفت أخيرا، فتجلى عن كائن أرقى وأسمى من البشر قاطبة، ذا جسد بانت ثناياه المغرية أسفل ثوب ملتصق بالجلد كأنه قطعة منه، ومن وراء الثوب قطعة طويلة امتدت كفستان العروس حتى آخر الممر، تعابثه رياح غير مرئية في لوحة فنية متقنة!

- «(رزان)؟!».

تهاوى أرضا وقد تعلق بصره الجاحظ بوجهها، فابتسمت له بسمة كشفت عن أسنان متلألئة كالماس، فخفق قلبه بعنف حتى كاد ينبثق من بين أضلعه، وبعسر نهض وارتقى الدرجات المؤدية نحوها..

كانت في تلك اللحظة عبارة عن تجسيد حقيقي لتلك اللوحة التي شاهد صورتها في ألبوم (قمر).. «مدام (ريكامييه)»!

كانت تسير بقدمين حافيتين لا تكادا تمسان الأرض، وعندما بلغ الطابق الأول أخيرا وجدها قد ابتعدت حتى بلغت إحدى بوابات الغرف الكثيرة والمفتوحة على مصراعيها..

ولجت هنالك، فسارع للحاق بها دون أن يتردد ولو للحظة!



الدهليز

جثة ممدة على البساط المتآكل في ردهة الشقة..

وحركـة محمومـة لا تكاد تهدأ من حولها، سـببها رجال الشـرطة الذين يفتشـون كل شـبر من الشـقة الخاوية على عروشـها - إلا من البساط والجثة-..

ثنى المحقق الأشـقر مدبب الذقن واحدة مـن ركبتيه مريحا إياها على طرف البسـاط، متأملا الصريع الراقد، وملتقطا بيد غطاها بقفاز مطاطي واحدة من تلكم الحقن المبعثرة حوله..

وبسحنة عابسة دمدم:

- «أكاد لا أذكر عدد المرات التي عثرنا فيها على صرعى من جراء هذه القاذورات!»..

ردَّ زميله الواقف قريبا منه وهو يدخن سيجارته:

- «البنايـة كلهـا ليهـودي.. (راؤول بكيثـوت).. مُطلـق فـي الأربعين..»..

- «أولاد ال.. كما لو كانوا يمتلكون الدماء في العروق كذلك!»..

- «حاذر يا (جيف)! لسانك يتقاطر عنصرية هذه الأيام!»..

- «تبا لذلك!»..

واعتدل أخيرا ملقيا بنظرة غير مبالية نحو ساعد الجثة الذي امتلأ بوضوح بعدد من ثقوب ابر الحقن، ثم تساءل ممتعضا:

- «أين الوغد اليهودي؟ سأستجوبه بنفسي..»..

جاء مالك البناية بملامح باردة أثارت استياء (جيفري)، هذا رجل قاس غير آبه لوجود جثة في إحدى شققه..

سأله مجاهرًا بنفوره منه:

- «أنـت أجـرت الشـقة للمدعو (جيـروم هوزيه أندريـا).. أليس كذلك؟»..

- «لا! وهأنتذا ترى كيف أنها خالية من الأثاث..»..

- «هذا ليس دليلا.. قفل الشـقة فتح بواسـطة مفتاح، دون اللجوء لكسره!»..

- «كنـتُ قد أضعت مفاتيحـي قبلا، لابد وأن الفتـى المدمن عثر عليها، فاسـتولى على مفتاح هذه الشـقة غير المؤجرة، وبات فيها مع أدوات اللهو خاصته.. إنه مجرد نفاية أرجو إزالتها سريعا من هنا!»..

سدد (جيفري) بأقسى نظراته للرجل هامسا:

- «تأكـد بأننا سـنفعل، لكن قل لـي: كيف لم تقـم بتغيير الأقفال لدى فقدانك مفاتيحك؟ أوليس التصرف الأمثل لموقف مثل..»..

قاطعه الرجل بنفاد صبر:

- «تقاعسـت وأقـر بذلك، ثم إننـي وجدتها في مـدة قصيرة، فلم أفترض وقوع سوء لاحقا!»..

كان (جيفـري) يشـم وبكل وضـوح رائحة كذب الرجـل، رائحة فواحة ذات عطونة! إن له ضلعا بكل ما وقع وبكل تأكيد!

لـم يتنبه - لا هـو ولا أحد الحاضرين - للفتى الذي يشـبه مطرب «هيب هوب» بملابسـه ونكاشـته، وقد تمهل أمام مدخل باب الشقة ليرمـق مـا يحدث من جنـون، قبل المضي في سـبيله بعدما خرج من الشقة المجاورة..

كان حائرا، مظهره مثير للريبة، ولحسن حظه أن الشرطة لم تلمحه لأنها حتما ستستوقفه للاستجواب..

خرج من البناية بأسرها متأملا ما يدور حوله، كما لو كان قادما من عالم آخر.. وبنبرة مشدوهة همس كأنما يحادث نفسه:

- «أين أنا بحق الله؟!»..

■ ■ ■

إلا أن الجـو العـام جعل اسـم «أمريكا» يتردد بقـوة في عقله، جو أشـعره أنـه منقول نقـلا من أحـد أفلامهم المشـحونة عنفـا وجرائم دموية..

أبصر من بعيد فتاة هزيلة شقراء على قدر فائق من الحسن، كانت تنظر لفوق حيث نوافذ البناية التي خرج منها تواً، ولم يكن بحاجة للذكاء كي يخمن أنها مدمنة، كما لو كانت بطلة فيلم سوداوي، عيناها غارقتان في الكحل وهي ترتجف من شدة البرد رغم السترة الجلدية التي ارتدتها..

دنا منها بحذر، في حين تمتمت هي بكلمات لم يتمكن من سماعها، ثم ابتعدت بخطوات سريعة، فوجد نفسه يعجل للحاق بها لسبب يجهله هو نفسه..

ظل وراءها مدة زمنية ليست بالهينة، قبل أن يبلغا أحد البارات التي يلجها زبائن ممن يثقبون آذانهم وأنوفهم وشفاههم وحتى ألسنتهم، وتمتلئ جلودهم بالأوشام المنفرة، وقد حمل البار لافتة «نيون» زاهية الأضواء على شكل مخالب لحيوان مفترس، واسما عملاقا حروفه بالانجليزية:

Alpha & Omega

استطاع إدراك الفتاة ليجدها مستندة لأحد الجدران الخارجية، وهي تدع أحدهم يحقن بطنها التي كشفت عنها بجرعة من المخدر اللعين.. سال لعابها إثر الحقنة فلم تشعر به طبعا، وعقب برهة وجيزة أخرجت من حقيبتها الجلدية منديلا مسحت به فمها وجفنيها، ثم دخلت البار بخطى متعثرة..

النادلة

حان موعد العمل.. وعملها كان تلبية طلبات الزبائن من مشاريب كحولية..

كثيرا ما تعرضت لتحرشات فجة من قِبلِهم، لكنها غير مستعدة للطرد، فهي في أمس الحاجة لتأمين نقود جرعات السم الذي تحقن جسدها به كل ليلة..

كان الشاب الوقح الذي يغمز لها مرارا موجودا الليلة أيضًا، حيث جلس مع رفاقه من الدراجين ذوي السترات الجلدية السوداء دون زحزحة بصره عنها..

- «إنه دؤوب على القدوم إلى هنا!»..

تنبهت لزميلتها في العمل (كلارا) التي كانت أكثر جرأة في التعامل مع الزبائن، كانت تكرهها لكنها تتظاهر بصداقتها طمعا في رفقة داخل نطاق هذا العمل المقيت..

همست دون النظر لأحد متظاهرة بالانشغال:

- «كم أكره أمثاله ممن لا هم له سوى بتحويل الفتاة إلى دمية يلهو بها مع أقرانه!»..

- «سألني عنكِ!»..

- «حقا؟ وعما سأل بالضبط؟»..

- «عما إذا ما كنتِ مستعدة لقبول دعوته على شراب!»..

- «قطعا لا!»..

- «لا أظنه سيكون سعيدا بهذه الإجابة!»..

- «فليذهب للجحيم!»..

- «ولا بهذه أيضًا!»..

وتركتها لحمل مزيد من الكؤوس للزبائن..

شعرت بالإرهاق، وتمنت الرحيل إلى شقتها كي تستسلم للنوم، واشتدت رغبتها لدى لمحها ذلك الشاب المزعج وهو لا يزال يراقبها ببسمة بغيضة، محتسيا بين الفينة والفينة شيئا من الجعة التي وضعتها (كلارا) له..

لم تصدق متى انتهى وقت العمل وأغلق البار أبوابه قرابة الفجر، ووجدت نفسها تسير متجهة إلى مقطنها في شارع مقفر من أي كائن حي.. سيكون من المتعسر عليها إيجاد سيارة أجرة في هذه الساعة، فهمست لنفسها محاولة المشي متوازنة:

- «لا بأس، أرجو أن يكون هذا أسوأ ما في..»..

لكن الأسوأ ظهر بصوت دراجة نارية أولا، ونظرت ليسارها لتجده يخفف من سرعته ليسير بمحاذاتها باسما بسمته الكريهة، فاصطنعت ضحكة وهي تقول واضعة كفها على صدرها:

- «أخفتني!»..

- «هلمي كي أوصلكِ!»..

يا لك من لزج مقيت!

- «لا بأس، أفضل السير وحدي..»..

دنا منها أكثر وقد اتسعت بسمته، فابتعدت عنه قائلة ببسمة عصبية:

- «أنصت.. سأكون شاكرة لو تركتني في حال سبيلي..»..

- «أتعلمين؟ النظر إليكِ وحده متعة!

ما قولكِ بأن تأتي معي؟ سأعرفك على الرفاق، وستكون سهرة..».

- «شكرا للعرض، أفضل الذهاب والنوم فحسب!»..

كذا قاطعته بعصبية وبلا ابتسامة هذه المرة، وعندما وجدته يحاول الاقتراب أكثر صرخت في وجهه مباشرة:

- «ارحل وابحث لك عن غانية يا هذا!»..

أطلق ضحكة قائلا:

- «لا أقدر.. استلطافكِ فيه متعة أكبر أيتها الساخنة الوقحة!»..

ثم مد أنامله محاولا تحسس وجنتها، فما كان منها إلا أن صفعته بكل ما أوتيت من قوة على وجهه!

انشده للحظة، ثم ترك دراجته مركونة لينقض عليها بصفعة هائجة وقد استبد به غضب عارم، ثم جذبها من ثيابها حتى كاد يمزقها..

سالت الدماء من أنفها، وبيأس حاولت مقاومته وبصرها يجول بتضرع بحثا عمن يساعدها، لكن ضحكة الذئب المفعمة بالغضب والتلذذ جعلتها تفقد الأمل - ووعيها- تدريجيا..

- «هل أنتِ بخير؟»..

فجأة، توقف العبث!

فتحت بصرها ببطء، فوجدت (الزيبق) عند رأسها يمد يده لها! فالتقطتها كالتائهة.. عاونها على النهوض برفق، ثم كرر سؤاله مناولا إياها حقيبتها التي أوقعتها:

- «هل أنتِ بخير؟»..

الذئب الشبق كان ملقى على الأرض فاقدا النطق، بوهن تحسس رأسه محاولا النهوض، فشعرت بنشوة شامتة وهي تراقبه باحتقار، أرادت أن تشتمه وتبصق عليه وتركله كذلك، لكنها عدلت عن رغبتها الملحة مكتفية بما قام به هذا الغريب الشهم!

- «القذر لطخني بالأوحال!»..

ثم رمقت منقذها هامسة برجاء:

- «هل لك أن توصلني كي..؟»..

- «وهو كذلك..»..

تبسـمت ممتنـة، وحاولـت شـكره، لكنه تحـرك قبـل أن يمنحها الفرصة، فقررت تأجيل شكرها له ريثما يوصلها إلى بر الأمان..

ابتعدا عن تلك البقعة أخيرا، وسارا جنبا لجنب وهي تحاول تبين ملامحه التي يخفيها بغطاء الرأس..

بفضول نهشها بضراوة سألته:

- «هل أنت مكسيكي؟ وجهك يوحي بأصول مكسيكية رغم أن نطقك ليس مثلهم!»..

- «عربي..»..

وتبسم حين نظرت له كما لو كانت تنظر لشبح، فقال فاترا:

- «لا تقلقي، لستُ أحمل أية قنابل في جيبي حاليا!»..

- «ليست تلك المشكلة وإنما..»..

- «وإنما ماذا؟»..

لم تدر بم ترد، فأناب عنها بنبرة ضائقة:

- «ليس ثمة ما يقال بهذا الصدد، ولن ينفع قول شيء الآن..»..

وابتعد عنها بخطوات متلاحقة، فلحقت به قائلة بتهدج:

- «لا ترحل أرجوك!»..

توقف قائلا دون النظر لها:

- «ماذا عن العبوة الناسفة التي أربطها في وسطي؟ أأنزعها أم..»..

سارعت بتأبط ذراعه مجيبة ببسمة:

- «لا عليك، فأنا واثقة من أنك نسيتها في منزلك!»..

■ ■ ■

قالت ساهمة وهما يعاودان السير معا في الزقاق الضيق للخروج منه إلى حيث الشارع الرئيسي..

- «قلما تجد شوارع المدينة بلا أوباش الليل الذين يزيدون من تعقيد الحياة..»..

ظل على صمته، فراقبته هنيهة قبيل سؤاله:

- «ما اسمك؟»..

- «أفضل ألا أخبركِ به وإلا قضينا مدة طويلة في محاولات نطقه وسبر أغوار أحرفه العجيبة!»..

- «ألهذه الدرجة يصعب نطقه؟»..

- «بل هو سهل، لكنكم - يا معشر الأمريكان - تستصعبون نطق كل شيء غير انجليزي وكأنه لغز..»..

- «عموما أنا (سارة).. (سارة غادون)!»..

- «تشرفنا يا (سارة غادون).. هل مسكنكِ بعيد؟»..

- «لا، نكاد نصل.. إنها شقة صديقة لي.»..

- «صديقة أم صديق؟»..

بدت وكأنها تبحث عن إجابة، قبل أن تشير لإحدى البنايات قائلة في خلاص:

- «وصلنا!»..

نظر إلى حيث أشارت، ثم حاول التخلي عن ذراعها، لكنها تشبثت به أكثر وهي تقتاده بصمت!

لم يُظهر اعتراضا، فولجا البناية ليصعدا سلالمها معا، وسط عبوات وزجاجات المشروبات الكحولية في كل زاوية وشبر، وكتابات شديدة البذاءة بعبوات الرش على الجدران، مع رسومات غالبيتها يماثل مخالب الحيوانات المفترسة!

- «مكان مناسب للسكنى بالفعل!»..

- «ما باليد حيلة..»..

بلغا الشقة الواقعة في الطابق الثالث، وأمام بابها دعته للدخول..

قال وهو يرمق رقم الشقة الذي وجده - ويا للغرابة - الرقم (12):

- «ماذا عن صديقتكِ؟»..

- «تزور أقاربها في تورنتو!»..

أظهر لامبالاة وهو يلحق بها للداخل، وسمع الفتاة (سارة) التي سارعت بالمغيب داخل إحدى الغرف:

- «ثمة بيرة في الثلاجة..»..

- «قطعا لا!»..

وقبل أن يتفقد أرجاء المكان تناهى لمسمعه صوت جرس الباب، فنظر إليه متسائلا بعقيرة مرتفعة كي تسمعه:

- «أتتوقعين أحدًا؟»..

ظهرت (سـارة) حافية على باب الغرفة التـي ولجتها مجيبة بتوتر واضح:

- «لا!»..

توجه للباب، ونظر من العين السحرية ليجدها محجوبة!

- «هل (هوسيه) موجود؟»..

نظر لها مجددا، فأرجحت برأسها بلا معنى، مم دعاه للرد ملصقا أذنه بالباب:

- «أخطأتَ في الشقة يا صاح!»..

صمت الصوت أخيرا، ثم..

ثـم فوجئا معا بضربـة قوية تهوي على الباب فـي محاولة لخلعه، فوثبت الفتاة عاليا مطلقة صيحة ذعر!

- «أهو سطو؟!»..

ضربـة أخـرى دفعتهـا للصراخ برعـب، فجذبهـا من يدهـا وهي تهتف:

- «ماذا سنفعل؟!»..

- «فلنهرب من النافذة، لمحت سلما للطوارئ!»..

وهنا انخلع الباب ليبرز ثلاثة رجال غلاظ، وقبل ولوجهم أفسحوا الطريق لرابعهم، شاب أفطس الأنف أنيق الهندام، دخل وبيده مسدس شهره صوبهما آمرا بغلظة:

- «مكانكما!»..

تسمرا لمرأى المسدس، في حين ارتفع صوته وهو يشير بفوهة سلاحه للفتاة:

- «أنتِ صديقة (هوزيه).. متى يرجع اللعين؟!»..

- «لا أعلم!»..

- «حين يرجع سنقتله! ليكن ذلك معلوما لكِ ولهذا ال.. الصعلوك! وإذا سمعتُ صوتكِ يرتفع ستلحقين به.. وأنت! إذا حاولت أن تكون بطلا فسنرمي بك من النافذة.. والآن.. هل كونتما رأيا عما ستفعلانه؟»..

- «حتما!»..

تبسم راضيا، وغزل سلاحه على طريقة رعاة البقر مردفا:

- «جيد! والآن.. من تكون أنت؟»..

وعاود تصويب سلاحه إلى وجه (الزيبق)، ثم أرجحه مدمدما:

- «لا تقولا لي.. تخونين (هوزيه) الأحمق حتما! يا للروعة! أكاد لا أطيق صبرا كي أشاهد وجهه حين يكتشف الأمر!»..

وقهقه ضاحكا، فشاطره رجاله الضحك بسماجة، قبل أن يهرش وجنته بفوهة سلاحه قائلا لسارة بلهجة مهددة:

- «هل توجد بيرة يا فتاة؟ اجلبي لنا بعضها وحذار من الألاعيب، فنحن لا نمزح مع من يمارسها معنا!»..

- «كما تشاء!»..

وهرعت للمطبخ، في حين ظل (الزيبق) واقفا يتأمل وجوه أفراد تلك العصابة، قبل أن يقول مخاطبا قائدها بهدوء:

- «يبدو وأن (هوزيه) من هواة اللهو بالنار!»..

تبسم الشاب وهو يرد باستهزاء:

- «أنت لا تملك أدنى فكرة عما تهرف به، أليس كذلك أيها الباكستاني؟»..

- «لستُ باكستانيا بل عربي!»..

- «لا فارق.. ترى كم قنبلة تحمل في جيوبك؟»..

- «وكأنك مواطن شريف لا يهددني بسلاح!»..

- «لا تتماد يا إرهابي وإلا دفنتك في.. في مغارة (علي بابا)!»..

وقهقه عاليا، فشاركه - كالعادة- رجاله القهقهة!

دنا (الزيبق) من الشاب بسحنة متجهمة، فتوقف الأخير عن القهقهة مصوبا سلاحه وسط تحفز رجاله، حتى ألصقه بذقنه قائلا له بتهديد متهكم:

- «ماذا؟ ماذا ستفعل أيها البطل؟»..



مسرح هزلي

فوجـئ ببصقـة تصيب عينـه! فجن جنونـه وهو يرغي حتى سـال لعابه كالكلب المسـعور، وقـام بفرد قبضته في وجـه (الزيبق) كيفما اتفق صارخا:

- «تريد الموت؟! لك ذلك!! لك ذلك!!».

ورغم ذلك لم يطلق النار، فصاح به أحد أعوانه:

- «أطلق النار عليه.. فجر رأسه اللعين!».

- «لا أقدر!».

قالهـا وعرق غزيـر يتصبب على جبينـه، بدا وكأن يده قد شـلت، وبصعوبة كرر من بين أسنانه بتعسر:

- «لا.. أقدر!»..

تراجعوا للخلف مندهشـين وقد شـعروا بخوف يعتريهم كذلك، في حين همس قائدهم بأسنان مصطكة:

- «ما أنت يا رجل؟!»..



قالها متراجعا مع رجاله والفزع متبدٍ عليهم جميعا..

ثـم صوب فوهة سـلاحه إلى حيـث يقف أعوانه الثلاثـة! فرمقوه بنظرات شديدة البلاهة قبل أن.. تنطلق رصاصاته في وجوههم!!

تسـاقطوا قبل ردة فعل واحدة كأحجار الدومينو! الشـاب قائدهم أفرغ رصاصاته فيهم وهو ينتحب ويقهقه بآن واحد كمخبول حقيقي!

وعندما فرغ منهم وجه سلاحه إلى صدغه متلفظا بانتشاء:

وقد سمعت صوتا وسط الوحوش الأربعة..

ثم نظرت فأبصرت جوادا شاحبا..

واسمه المدون عليه كان: «الموت»!

ثم «الجحيم» تلته!

ثـم أطلق النار، فهـوى جثة كرجالـه الذين حصدهـم، و(الزيبق) يتأملهم بخواء!

■ ■ ■

كانـت النادلة (سـارة) تحجـب بصرها بكلتا يديهـا وهي لا تكف عن الصراخ..

فمـا إن صمـت كل شـيء حتى صنعت لنفسـها فتحة عبـر أصابع كفها الأيمن كي تلق بنظرة خاطفة..

ثم لم تلبث أن خفضت كافة أصابعها ذاهلة..

لقد اختفوا.. تلاشوا كأن لم يكونوا حاضرين! لم يكن أحدٌ واقفا يطالعها بهدوء سوى ضيفها الغريب!

و(الزيبق) لم يكن يطالع نادلة أمريكية شقراء تدعى (سارة غادون)!

مدَّ يده لتلك الفتاة صهباء الشعر، رائعة الحسن، رشيقة القوام، ذات بشرة جامعة ما بين اللطف والطراوة، وقد همس برفق:

- «أأنتِ بخير يا (رزان)؟».

لم تفهم مقصده بداية..

كادت تهتف باسمها الذي تعرفه مجددا.. لكنها تذكرت بغتة، فرمقت أناملها والمكان حولها بذعر وحشي، قبيل صراخها المرتاع:

- «أين أنا؟!».

- «أنتِ بمأمن الآن.. كان مجرد كابوس.. كابوس طفولي سخيف!».

تردد ضحك مألوف في الأرجاء، فاصفر وجه (رزان) وهي تتراجع مدمدمة:

- «بحق الله!!»..

تلمس (الزيبق) طرف نكاشته بضيق هامسا:

- «كما ذكرت.. كل هذا مجرد كابوس طفولي متأثر بأفلام الجريمة والعنف الغربية.. أقحمنا داخله ذاك المعتوه (ودود)!»..

تردد بغتة صوت (ودود) صائحا باستهزاء:

- «إذن لِمَ لا تحاول إيقافي على سبيل المتعة أيها الصعلوك؟!»..

تنفس (الزيبق) قائلا بملل:

- «لا وقت لدي لعبث الصبية هذا!»..

ثم نظر لها نظرة عابرة، قبل أن يتساءل بلهجة لامبالية:

- «ساتور أريبو»!

- «هل قلتَ شيئا؟»..

- «صليبكِ.. سأخمن أنك قد عثرتِ عليه بمكان ما.. عقب العاصفة؟»..

كادت تنطق بإجابة ما، لولا أن شهر أصابعه في وجهها لإيقافها قائلا بتصميم:

- «دعيني أؤكد لكِ أنني لن أستطيع مساعدتكِ بشيء ما لم تذكري لي الحقيقة كاملة.. اتفقنا؟»..

هنا ترددت.. وطالعت الجدران التي حولها برهبة حقيقية..

ثم ترقرق الدمع في عينيها وهي تهمس:

- «أنا لستُ (رزان).. فرزان هي شقيقتي الصغرى التي شاركتني في مخططنا المشترك والعجيب!»..



برنامج التبادل

(تالا) كانت طالبة في السنة الأولى من المرحلة الثانوية، عندما تعرفت إلى (هاني)، فنشأت بينهما حكاية عشق مألوفة، من تلكم الحكايات الملأى بالطموحات والأحلام في بدايتها..

مرت سنوات كثرت خلالها لقاءاتهما، وازداد حبهما لبعض وتعلقهما ببعض، وأنهت (تالا) دراستها الثانوية أخيرا.. كان ذلك شرط والدها كي يزوجها لأي شخص يتقدم لها..

عقب تخرجها تقدم (هاني) لخطبتها، لكن والديها وإخوتها رفضوه بحجة أن حديثه غير لائق ولا يبشر بخير، كما أنهم عرفوا الكثير عن طبيعة أخلاقه لما سألوا عنه..

طلب والد (تالا) من ابنته صرف النظر عن هذا الشاب المستهتر، صحيح أنه مرتاح ماديا لكن والدها رأى أنه سيكون من الصعب وجود تفاهم بين ابنته والشاب، خصوصا بسبب الفارق في المستوى التعليمي بينهما، فالشاب لم ينه دراسته الثانوية حتى..

لكن (تالا) رفضت سماع النصح، ولم ترضخ لرغبة أهلها، وظلت مرارا تحاول إقناع والدها لكي يقبل، وكلما ازداد تصميمهم على الرفض القاطع، ازداد تشبثها بفتاها، حتى انتهى الأمر بزواجهما خفية عن أعين الجميع!

وعندما عرف أهلها لام الأب نفسه كونه اعتاد جعل أولاده على سجيتهم، يُعبرون عما يعتمر بدواخلهم ومناقشتهم بهدوء على طريقة التربية الحديثة..

إذن فقد حدث ما حدث، فقرر الوالدان تقبل الوضع الجديد بأسى كي لا تضيع ابنتهم منهم كليا..

لكن الحكاية لم تنته عند ذلك الحد، فتالا التي اعتقدت أن حظها في الحياة قد تبسم لها اعتقدت أنها كانت مصيبة باختيارها، فزوجها اللطيف يدللها ويراعي مشاعرها دوما، إنه فارس أحلام حقيقي ورومانسي رغم إصرار الأب التعس على رأيه بأن ذلك الشاب غير مريح وأخلاقه غير سوية!

مضى عام ونيف، ورزق الزوجان السعيدان بطفلة جميلة شديدة الشبه بوالدتها، وبخاصة جدها والد (تالا) الطيب.. ثم لم يمهله القدر كي ينعم برؤية حفيدته الجميلة تكبر، فكان قضاء الله وقدره عقب أسبوع من ولادة أول أطفال (تالا)..

عندئذ بدأ (هاني) يكشر عن أنيابه.. فابتدأ يحاسب زوجته على رأي والدها فيه، ألفاظ لا تصدق وجثة الرجل لم تبرد في قبرها بعد!

وازداد الزوج الذي كان لطيفا وحنونا قسوة وغلاظة، فبدأت الفتا
ترى فيه ما رآه والدها سابقا، ولكن عقب ماذا؟ وفي وجود مولود
منه؟

ثم تفاقمت المشكلة، صارت أكثر إثارة للغثيان بسبب رجوع الزوج كل ليلة وهو ثمل، رائحة الكحول تفوح منه بكل صراحة، وحزامه جاهز للنيل من الزوجة، يخلعه كي يهوي به على بدنها كيفما اتفق!

وبالطبع لم تكن الزوجة البائسة قادرة على الشكاية لأحد سوى خالقها، وخصوصا أمام عائلتها، لكنهم لاحظوا وبيقين تام مدى سوء المعاملة التي ظفرت بها، خصوصا شقيقتها (رزان) التي كانت تزورها دائما..

حاولت (رزان) - التي تصغرها بعام واحد- التودد لها أكثر لمعرفة أسباب الكدمات المتواجدة دائما في سحنتها وعلى كتفها ويديها، قائلة لها بمودة:

- «الخطوة الأولى دائما لحل أي مشكلة، في أن تخبري شخصا آخر عنها!»..

طبعا كانت (تالا) تكذب مرارا قائلة:

- «من قال إن ثمة مشكلة؟ لقد سقطت.. شقيقتكِ مجرد خرقاء!»..

وتبتسم بإنهاك، فيزداد حزن (رزان) كونها عالمة بأن ذلك غير صحيح، لقد ضربها زوجها بضراوة، لكنها لا تعترف بذلك خوفا من بطشه، وكذلك من تأنيب عائلتها على غلطتها الفادحة بزواجها رغم معارضتهم قرارها..

كانت (تالا) تذبل وتذوي.. تضرعت للرب أن يغفر لها ويسامحها، وانتحبت لما تذكرت والدها الراحل..

■ ■ ■

العاصفة الجنونية الهوجاء..

الملاذ! الملاذ!!

الرعد يسدد برماحه الحارقة ليصيب ببراعة عددًا من أعمدة الإنارة والأشجار، والمطر المنهمر بغزارة فيكاد يغرق البيوت والمدارس والمستشفيات..

(تالا) تلوذ بسقف وجدار لبناية تابعة لسكن الجامعة الخاص بالفتيات، كانت مُصرة على المغادرة رغم توسلات شقيقتها (رزان)، فزوجها لن يرحمها لو وصلت متأخرة، وهو ما سيحدث مع الأسف، فهي لن تجسر على الدنو خطوة أخرى في هذا الجو العاصف الجنوني..

فكرت يائسة بالرجوع والمبيت لدى (رزان)، لكن نظرة مفعمة بالرجاء والتضرع تبدت في عينيها، راصدة السماء علها ترأف بحالها وتهدئ قليلا من مزاجها المتعكر..

ثم وكأنها عصا الساحر..

المطر خفت بالفعل! لم تنقشع الغيوم، لكن غضب السماء هدأ بشكل ملحوظ، فاستعادت (تالا) أنفاسها شيئا فشيئا..

ثم تنفست الصعداء أخيرا عندما احتضر المطر، ومشت تاركة تلكم القطرات تداعب جبهتها ووجنتيها، حتى إنها فتحت ثغرها لتذوق بعض من تلكم القطرات..

كان هذا عندما أبصرت شيئا متلألئا يهوي من السماء، كأنها نجمة!

سارت مفتونة وقد أدركت - بصدر وثاب- أنها قريبة من موقع السقوط الذي اقترب، ركضت محاولة اللحاق بتلك النجمة المزعومة، وقد ضجت أحاسيسها بإثارة لا حدود لها!

وعندما بلغت الموقع وهي تلهث من فرط الركض، توقف تنفسها دفعة واحدة..

اقتربت بريبة، ثم بيقين، ثم بانبهار لا مثيل له!



جلاد «أورشليم» المنفذ لحكم الإعدام على قمة تل «الجلجلة»، حيث عانى المسيح في عقيدتهم عذاب الصلب، كل من يمر بمشهد الصلب كان يقول:

«أيها الصليب الحقيقي المعبود..

الذي ولد من جسد المسيح..

بمقتضى فضيلتك وقوتك..

احمِ جسدي من الأذى..».

ذلك بالضبط ما رددته (تالا) معاودة اللهاث لانفعالها الشديد، ملتقطة بأنامل راجفة هدية السماء التي تتلألأ، شاعرة بابتهاج لا حدود له رغم أن سقوط هذا الصليب قد يكون له مائة تفسير على الأقل!



لهو الشيطان

قالـت (تالا) – أو (رزان)– مُسـندة ظهرها للجـدار دون أن تنظر للزيبق:

– «بإمكانك استنتاج الباقي كما أظن!»..

– «إذن، فقـدرة الصليب متمثلة في جعلـكِ تظهرين أمام الجميع كرزان والعكس صحيح!»..

– «هـو ما ذكـرت.. يكفي أن نلمـس – أنا وهـي – الصليب حتى تصيـر هي أنا وأنا هـي! لطالما كانت (رزان) الأقوى، وهي تسـتمتع بأداء دوري أيما استمتاع لتعذيب زوجي، فهو يهلع منها بشدة!»..

– «ولكن، ألا تخافين عليها من..»..

– «لـن يسـتطيع مَسَّـها بأي حـال من الأحـوال، فزوجـي رعديد جبان، لقد كفَّ عن تجرع المشروبات الكحولية بفضلها.. إنني أدين لـرزان بالكثير، فقد أعادت التوازن للبيت بفضل شـخصيتها القوية.. لكنها غير مُجدة دراسيا، لـذا تراني أصنع لها معروفـا لزيادة معدلها

التراكمي، فقد تمنيتُ العودة لمقاعد الدراسة، وهأنذا أحقق أمنيتي!»..

كانت تتكلم بطريقة ناعسة قليلا، ولاحظ (الزيبق) خروج الهواء من ثغرها على هيئة بخار كما لو كانا في ثلاجة!

لم يتنبه لشدة البرودة في المكان بسبب اهتمامه بسماع قصتها، ووجد نفسه يهمس بقشعريرة شديدة ملاحظا خروج البخار من فيه هو الآخر:

- «الوغد!»..

- «أتعني زوجي؟»..

- «بل أعني الوغد الآخر.. (ودود)! إنه يحاول قتلنا بتجميدنا!»..

- «وهل.. بإمكانه.. فعل ذلك؟!»..

- «يبدو وأن بإمكانه فعل كل ما يحلو له هنا، لكني لن أمكنه حتما!»..

- «أشعر.. ببرد.. لا يوصف!»..

- «تجاهليه!»..

جلسا جنبا إلى جنب، ولولا الحياء لتعانقا من شدة البرد والخوف!

لكن الخوف كان متضادا بينهما، هي كانت خائفة من كل شيء فحسب، وهو - ببساطة - كان خائفا عليها!

سألته وهي تتشبث بسترته التي دثرها بها لاتقاء البرد القارص:

- «لماذا نبقى في هذا المكان؟ إنه غير آمن؟»..

- «كل الأماكن سواء!»..

شعرت أن حديثه يحوي من الصواب الشيء الكثير..

أما عنه فكان يفكر، في أعماقه تعاظم هدف حمايتها، حياتهما معا على المحك، والفتى المخبول لا يبدو وأنه سيتوقف!

- «هل سيقتلنا؟ أتراه صنع ذلك بقمر البائسة؟»..

- «لا تقولي ذلك.. قد صمدنا حتى الآن برغم كل شيء!»..

دمعت عيناها وهي تهمس:

- «ماذا سيحل بنا؟ أقصد بجسدينا على أرض الواقع؟»..

- «حاولي ألا تفكري بهذه النقطة..»..

- «كيف؟ أتخيل أنني لن أصحو بتاتا! سأصير جثة هامدة حتما.. رباه!! سوف تعلق شقيقتي في جسدي للأبد!»..

ارتجف فؤاده لضعفها وهواجسها، لكنه لم يظهر ذلك وهو يهمس ببرودة:

- «لن يمسكِ كائن بسوء وأنا على قيد الحياة!»..

- «أريد أن نخرج من هذا الجنون.. معا!»..

- «لنأمل أن يكون ذلك عما قريب..»..

■ ■ ■

- «أتعلم؟».

نظر لها بصمت، فأردفت:

- «كنتُ أعتقد أنني وجدتُ راحتي أخيرا بفضل الصليب السحري، لكن شعوري الآن أقرب للاستبشاع من كل شيء في نفسي!

لابد وأن ما يحدث لنا هو عقابي على ما ارتكبته!».

- «لربما كان لديكِ بعض المبررات لكي..».

- «لم أعد واثقة من شيء.. سوى من أن نهايتنا باتت وشيكة!».

لكنه كان يعلم شيئا جوهريا، ليس بإمكان (ودود) السيطرة عليه أو بالأحرى على عقله، والسبب بسيط، لأن..

رفع وجهه بغتة، وبحدة نظر حوله..

تناول كرسيا وسارع بتهشيم زجاج النوافذ، لم تهدأ حدة البرد إزاء ذلك للأسف، لكنه واصل عملية التخريب..

مزق الستائر، حطم الكراسي، بل إنه خف تجاه المطبخ صارخا:

- «تريدها لعبة أيها القذر؟ لك ذلك!»..

وسارع بانتزاع الأنبوبة باسطوانة الغاز، فتصاعد ضجيج فحيحها بعنف!

وجد علبة أعواد الثقاب، فخطفها متراجعا للوراء..

ثم أشعل عودًا وألقى به - بتهور - نحو مصدر صوت الفحيح العنيف!

كان الانفجار عنيفا ومروعا..

لدرجة أن (ودود) انتفض فوق فراشه كمريض الصرع..

أفاق، ونظر حوله متحسسا جبينه، فشعر بصداع يكاد يمزق أوعيته الدموية تمزيقا، لكنه تبسم رغم ذلك هامسا من بين أسنانه:

- «وداعا يا (زيبق)! لم تكن خصما مملا برغم كل شيء..»..

اعتصر خصلة من شعره وقد كاد ينفجر ضاحكا، لكن الآلام الهائلة في رأسه دفعته للتأوه مجددا..

نهض مقررا الاستحمام، فما إن أضاء مصباح الغرفة المعتمة حتى.. دكته اللكمة الماحقة في ذقنه، فأعادته للفراش مزودا بألم مضاعف جعله يصرخ:

- «بحق الجحيم!!»..

وحين فتح بصره لم يصدق ما رآه..

كان خصمه الذي من المفترض أن يكون ضائعا في انفجار عقلي واقفا قبالته، وقد ارتدى معطفا أخضر اللون!

- «مفاجأة.. أليس كذلك؟»..

اتسع بصره بذعر، ولوح بأصابعه في وجه (الزيبق) صارخا:

- «كيف وصلت إلى هنا؟!»..

- «لنقل أنك لست الوحيد الذي يمتلك غرضا عجيبا للهو.. أيها الوغد!»..

ثم دنا منه، مشيرا بشيء كان يحمله ويتألق بضوء وردي.. كان حجرا من نوع ما!

- «آها! لا أعتقد أن ثيابك الداخلية هي الغرض المطلوب.. إنه الخاتم، أليس كذلك؟»..

وتبسم بدهاء حين لاحظ امتقاع وجه (ودود)، فانقض عليه صائحا بانتصار:

- «إنه الخاتم إذن أيها الماكر المتلاعب!»..

- «على جثتي!!»..

كال له (الزيبق) بضع لكمات ساهمت - بالإضافة للصداع الرهيب الذي يشعر به- بإخراسه..

وأخيرا، صار الخاتم اللعين في بنصر (الزيبق) الأيسر، فتأمله مليا قبل أن يشير به - صارما- في وجه (ودود)، كأنما يشهر في وجهه مسدسا!

ويعقيرة غاضبة حقا دمدم:

- «والآن.. أنا وأنت سنذهب في رحلة قصيرة.. معا!».

راقبه (ودود) بنظرة ملأى بالكره والأسى وهو يمسح الدم السائل على ذقنه، في حين استرسل (الزيبق) بنبرة كالهدير:

- «اتل صلاتك منذ الآن أيها الوغد، فإذا اتضح أنك قاتل (قمر) و(بشير).. إذا اتضح أنك قاتل صديقي (بنكي).. فلن يتسنى لك رؤية فجر يوم جديد.. أقسم على ذلك!».

القتـــل

المرآة

الجو بدا غائما، منذرا بهبوب عاصفة جديدة..

الوقت يعلن عن احتضار الشمس، إنها فترة المغيب الآسرة، والبقعة المحيطة بالكلية خالية من البشر، اللهم سوى من اثنين يتمشيان بخطى حثيثة..

وتساءل (نجم) وهو يسير بمحاذاة (الزيبق):

- «لِمَ طلبت لقائي؟»..

- «احتجتُ لسؤالك عن شيء..»..

- «ألا وهو؟»..

توقف (الزيبق) كي يراقب مبنى الكلية من بعيد، فأوقف (نجم) حركته بدوره، ونظر بتساؤل للفتى الصعلوك..

- «هل تعلم أين نحن الآن؟»..

نظر (نجم) حوله بدهشة قبيل إجابته باسما:

- «أي نوع من الأسئلة هذا؟»..

- «سايرني قليلا..»..

- «نحن خارج الكلية!»..

- «تحديـدا.. في البقعة التي انتظـرتَ فيها مطولا أثناء الليل ذلك الحارس البائس المدعو (بشير)!»..

- «بم تهرف؟!»..

- «أوليست الحقيقة؟»..

وسدد بنظرة قاسية تجاه (نجم) متسائلا بنبرة مهمومة:

- «أولستَ من قتله؟ كما صنعتَ مع شقيقتك (قمر) من قبل؟!»..

كانت النظرة في وجه (نجم) ذاهلة..

ثم استحالت غضبـا عارما لا يمكـن تصوره.. كان ثائـرا لحدٍ لا يصدق، فقد بدا وكأنه يبصق اللعاب بصقا حين صرخ:

- «هـل جننت أخيـرا أيها اللعين؟! أهذا ما توصلت إليه أخيرا مع شـلتك اللعينة؟! بعد كل تلك المدة من الأسـئلة والتحقيقات وأخذ محضر الشرطة وألبوم شقيقتي؟!»..

- «هل فرغت؟»..

- «يا لمضيعة الوقت! ألا تبا لغيث الغبي الذي..»..

- «لقد قلت: هل.. فرغت؟»..

قالهـا (الزيبق) بنبرة عالية ذات صرامة عاتية، فصمت (نجم) وإن غلف وجهه بقناع الغضب المشتعل..

هنا أصيب بالذهول والذعر معا..

لقد أصبحا – هو و(الزيبق)– بغتة في حجرته داخل بيته، كما لو كان قد انتقل إلى هناك آنيًا على طريقة أفلام الخيال العلمي الرخيصة!

نظر مشدوها للزيبق الذي نظر إلى مرآة ضخمة تحتل موقعا من الغرفة، وهو يهمس ببرودة:

– «هل اعتقدت أن مرآتك العجيبة التي عثرت عليها عقب تلك العاصفة هي الغرض الوحيد الذي سقط من السماء؟»..

– «ماذا يحدث بحق ال..؟!»..

رفع (الزيبق) يده، فالتمع في بنصره الأيسر خاتم (ودود)!

وبشيء من تهكم قال:

– «غرض طريف، حصلتُ عليه من صديق شقيقتك.. بواسطته صرتُ أتجول بحرية داخل عقله، فوجدتُ شيئا استغربته لأصدقك القول.. قد كان الوغد يحب شقيقتك بصدق! لم يحاول استغلالها رغم القوة التي حظي بها، كان حبا صادقا رغم صاحبه المتخم بالأكاذيب والأقنعة، لكنه – على الأقل – لم يكن قاتلها، وقد كان ذلك يكفيني..»..

ظل (نجم) صامتا، فأكمل (الزيبق):

– «تفكر أنني قررتُ زيارة عقلك على الفور؟ لا، ولجت عقب ذلك عقل كل من (غيث) و(سميط) شمام الغراء، وكنتُ حتما قادما

إليك، ولكن للبحث والاستقصاء كما صنعتُ معهما، فلم أتوقع ما وجدته لديك من فواجع!»..

وصمت متنهدا، ثم أردف مشيحا ببصره:

- «لأصدقك القول كدتُ أضل الطريق عدة مرات بسبب ما تحولتَ إليه بفضل تلك المرآة الملعونة!»..

ثم أضاف بشيء من أسى:

- «أيها الأحمق الأرعن.. ماذا صنعت بنفسك وبشقيقتك؟!»..

■ ■ ■

في عام 1977م اكتشف الأطباء في السجن الإصلاحي بولاية أوهايو أن سجينا اتهم بجريمة اغتصاب ويدعى (بيلي موليغان) مسكون بشخصيتين مختلفتين، وكل شخصية لها تصرفاتها وحتى لغتها الخاصة بها!

فعندما تستلم إحدى الشخصيتين زمام الأمور يصبح اسم السجين (عبد الله)! ويبدأ التحدث باللغة العربية، بل ويكتبها بإتقان حتى، وعندما تستلم الشخصية الأخرى يصبح اسم السجين (روجين)، فيبدأ التحدث باللغة الكرواتية والصربية !

ثمة ظاهرة عجيبة وغامضة للغاية، تتحدث عن القدرة على الكلام أو كتابة لغات غريبة لم يتعلمها المرء في حياته أو يعلم بوجودها أساساً، كأنما تحول ذلك الشخص - وببساطة- لآخر!



الغريب في الأمر هو وجود أشخاص تجسدت في ذاكرتهم لغات قديمة مندثرة منذ آلاف السنين، ولم تعد مألوفة لأحد سوى علماء الأنثروبولوجيا والخبراء في الحضارات القديمة!

من تلك التفسيرات: الاحتيال، الذاكرة الموروثة جينياً، التخاطر، إعادة تذكر لغة معينة كان الشخص يألفها في طفولته، ومن ثم انقطع عنها لفترة طويلة أو ما يطلق عليه مصطلح «الكريبتومنيزيا»..

سُجلت حالات كثيرة عن أناس يتحدثون بغتة بلغات لا يتقنونها أساساً، تتجسد أثناء تنويمهم مغناطيسيا، أو في حالات كالغيبوبة أو النوم، وأحياناً أخرى تتجسد في كلمات يتحدث بها الشخص ثم تتلاشى من ذاكرته!



الألم

كادت تصرخ ووجهها يشتعل حنقا ما إن ولج المنزل كالزاحف:

- «أين كنت؟!»..

رمقها بنظرة لا مبالية، ثم أجابها بسماجة:

- «لا تصرخي في وجهي هكذا كما لو كنتِ زوجتي النكدية! كنتُ أتناول العشاء!»..

- «في هذا الوقت المتأخر من الليل؟!»..

- «ليس هذا من شأنك!»..

- «لابد وأنك جننت!»..

وهنا، لمحت - مرتعدة الفرائص - تلك النظرة في عينيه، تبدت جلية، وإن لم تستطع تصديقها.. نظرة حقد أسود حقيقي!

همس بنبرة صوت ذات غلاظة منفرة ملقيا بكتبه أرضا:

- «وليذهب هذا الهراء كذلك للجحيم!»..

بحذر سألته:

- «أتتعاطى شيئا؟»..

- «ليس من حقكِ سؤالي، لكن عموما الإجابة هي لا!»..

- «ماذا أصابك؟»..

- «ما الذي تخرفينه؟»..

- «ماذا أصابك بحق الله؟ كيف انقلبت هكذا؟»..

ردَّ ببرودة:

- «صرتُ أرى الأمور على حقيقتها، هل يضايقكِ ذلك؟»..

- «بل تزداد شناعة يوما بعد يوم!»..

- «كفي عن العبث بحياتي..»..

- «أنا؟!»..

- «أجل! كل يوم أجدكِ بانتظاري، ثم تفتحين دفتر تحقيقاتكِ العقيمة معي كما لو كنتُ مجرد صبي! ألا يكفي أنكِ سبب خنوعي؟ بسببكِ صرتُ في أعين الجميع أقرب للخنوثة!!»..

صرخ بتلك الكلمات وبثورة أفزعتها، لكنها تماسكت كي ترد قائلة:

- «وهل ما تقوم به الآن رجولة؟ خروجك والعودة عقب منتصف الليل لسبب لا يعلمه إلا الله؟ إهمالك دراستك تماما؟ إشعارنا جميعا بالقلق طيلة الوقت عليك؟!»..

- «أنا حر فيما أصنعه ووقتما أشاء بصنعه..»..

- «منذ متى اتخذت تلك القرارات غير المنطقية؟»..

- «مذ صرتُ أشد عودًا وغير آبه لترهاتك!»..

لـم تصـدق (قمر) أنه شـقيقها.. هـذا الكائن السـاخط بشـيطانية أمامها!

إنهـا تتأمل ملامحـه فلا تجد أي أثـر لنجم اللطيـف والمثابر، بل وغدا يلوح بقبضته مهددًا وهو يصيح:

- «تركتُ الدراسة اللعينة كي أركز على تقوية نفسي! وعلى معرفة ما يدور حولي! إنه عالم بشع يا أختاه! ثمة من يتسكع فيه بسعادة وثمة من يتفرج بمذلة.. ذات ليلة طاردتُ شخصا بعد أن مر من أمامي وهو يبصق على طرف حذائي، أدركته وهشمت أنفه وأسنانه لأدرك ما إذا كنـتُ لا أزال حيا، كنتُ خائفا بـادئ الأمر، ولكن لاحقا أدركتُ أنها الإثارة فحسب!

لقـد أغرقته في دمائـه! شـعرتُ برجولتي تبزغ أخيرا! وبالشـعور الغبي الضعيف الذي أورثتني إياه أنتِ يتلاشى، ولن أسمح بعودته.. أبدا!»..

تساءلت بوجل:

- «أهذا كان شعورك الحقيقي تجاهي كل تلك السنين؟ أهذه هي فكرتك الحقيقية عن شقيقتك؟»..

- «لستُ مطالبا بالشرح لكِ يا أختاه!»..

- «سبق وأن فعلت!»..

ثم همست محاولة ألا تنهار:

- «(نجم) يا عزيزي! إن خيالك الجامح يخدعك!»..

أطلق ضحكة قائلا باستنكار:

- «بإمكاني كشف ذلك بنفسي، وهو - بالمناسبة- غير صحيح بتاتا!»..

- «إذن.. ماذا الآن؟»..

- «لا شيء! لا شيء بعد الآن! أنا كما أنا، أراد من أراد وكره من كره!»..

اشتعل غضبها دفعة واحدة، فعاودت الصراخ:

- «أنت لن تصنع كما يحلو لك أيها الطفل السخيف!»..

- «ومن سيمنعني؟ أنتِ؟»..

- «إن لزم الأمر!»..

اشتعل غضبه هو الآخر صارخا في وجهها مباشرة:

- «حاولي إذن ولسوف..»..

أخرسته صفعتها العنيفة على وجهه، مم دفعه للحملقة بوجهها بطريقة غريبة ومخيفة!

وظل يحملق بتلك الطريقة حتى انتفض بغتة كأنما أفاق من غيبوبة..

شعر بذهول عارم عندما اكتشف بأنه داخل غرفته!

كان كذلك طيلة الوقت! واقفا أمام المرآة التي وجدها عقب تلك العاصفة الهوجاء التي هبت، فأعجبه تصميمها الذي يوحي بأنها قطعة أثرية، وبخاصة إطارها المصنوع من معدن مزخرف بطريقة عجيبة!

دنا من واجهة المرآة العاكسة التي جلبها إلى غرفته، وحائرا تحسسها بأنامل شبه مرتعدة..

- «حاولي إذن ولسوف..»..

انتفض مجددا وسقط للوراء مطلقا شهقة..

هل كان يهلوس؟ أم أن صورته المنعكسة رمقته بنظرة ساخطة وهي تنطق بتلك العبارة من تلقاء نفسها؟!

■ ■ ■

لم تكن حفلة عيد ميلاد (جمانة) بذلك السوء..

كان ذهنها صافيا بشكل تقريبي وهي تغني معهم بطفولية: «سنة حلوة يا جميل»، وتلتقط عشرات الصور للصديقات المرحات اللواتي تموضعن بمواقف مرحة ومبتذلة، كرسم القرون على الرؤوس خفية واحولال الأعين وضم الشفاه..

لكـن الجميع بـدا منفرج الأسـارير، مم أخرج (قمـر) من حالتها النفسية السيئة ولو مؤقتا، لحين عودتها للمنزل طبعا!

ولدى نفخ (جمانة) لإطفاء الشـمع الموزع علـى التورتة، هتفت بها (قمر) ضاحكة مصوبة عدستها اتجاهها مباشرة:

- «Say Cheese»!

- «Cheeeeeese»!

وانفجـر الـكل بضحـك صاخـب، فضحكـت (قمـر) بدورهـا متفحصة الفيلم في الكاميرا عندما..

- «جوالكِ يرن يا (قمر)!»..

سارعت بالتقاطه متلهفة، فوجدت رسالة نصية مفادها كالآتي:

«أنتظركِ خارج منزل (جمانة) في تمام الساعة الحادية عشرة.. لا تتأخري فأنا مشتاق لكِ جدًا..!».

رقـص فؤادها طربـا وهي تطلـق تنهيدة شـديدة الحـرارة، عندما بوغتت بجمانة تلتصق بها لتهمس في أذنها بمرح ماكر:

- «هل اتصل حبيب القلب أخيرا؟».

همست بدورها وقد وارت بالكاد سعادتها:

- «أجل!».

ثم ضغطت أزرار جوالها بسرعة، فطالعت (جمانة) بفضول الرقم الذي تطبعه قبل أن تتساءل:

- «والدتكِ؟».

- «سأخبرها بأني قد أتأخر..».

- «لن توافق..»..

- «بل ستفعل ما دمتِ ستقومين بتوصيلي بسيارتك!»..

- «لا مشكلة لدي.. لكنها لن توافق!»..

وتركتها مع الجوال منسحبة بمرح صاخب، فرمقتها (قمر) بنظرة تبدت لائمة وهي تلصق الجوال بأذنها..

كانت تحبك وبحرص السيناريو الذي قررت تنفيذه بحذافيره.. تطمئن والدتها بداية، ثم تتسلل للقاء المرتقب، ومن ثم تعود مجددا للحفل دون أن يشعر أحد، (جمانة) لن تصنع شيئا لو لاحظت اختفاءها، إذ ستخمن إلى أين ذهبت!

- «ذاهبة إليه؟»..

تنبهت لرزان التي كانت تراقبها بنظرة صموت، فتبسمت مُحرجة..

مع (رزان) فقط تشعر كأن والدتها متواجدة! تلتمس الأعذار أمامها بحماسة، تحاول ألا تتمادى في المزاح، ثم تتبادل معها وبكل أريحية أدق أسرارها!

لذا، فقد أرجحت رأسها باسـمة بسعادة، فتمتمت (رزان) بتعابير عابسة:

- «لستُ مرتاحة له!»..

- «لودود؟ إنه فتى..»..

- «فتى ماذا يا (قمر)؟ قد يبدو جذابا ظاهريا، ولكن حتى الشيطان يستخدم جاذبية الأفاعيل السـوداء لإيقاعنا بها، والفتى له سوابق مع الفتيات كما سمعت!»..

- «ليس هذه المرة.. أعلم تماما ذلك يا (رزان) وأعيه.. صدقيني، لكن ما بيننا مختلف، لذا فأنا أرجوكِ أن تثقي بي فحسب.. اتفقنا؟»..

بالطبع لم تبدُ (رزان) مقتنعة، لكنها همست بنوع من الرجاء:

- «فقط كوني حذرة يا عزيزتي!»..

أظهـر وجه (قمر) تأثرا للهجتهـا، فقبلتها على خدها مجيبة بمرح طفيف:

- «بكل تأكيد.. مدام (ريكاميه)!»..

ولعـل صورة صديقتهـا القلقة هو أكثر ما علـق ببالها لأطول فترة ممكنـة، حتـى عندمـا خرجت من المنـزل، تبدت شـاردة نوعا كأنما تفكر فيما قالته لها..

لكنهـا سـرعان ما نسـيت - أو تناسـت- قلـق (رزان) مـا إن وقع بصرهـا على سـيارة (ودود)، إذ تهلل وجهها كطفلة لمحت عربة بيع الآيس كريم، كطفلة مبتهجة تحسب الحياة غابة من الأحلام الوردية!

أسـرعت بركوب السـيارة ملقية بنظرة ذات هيام على فتاها الذي بدا سـعيدا بدوره، لكنه كان متحمسـا أكثر عن اللازم، إذ حاول طبع قبلة على خدها، لكنها تراجعت بشيء من حياء هامسة:

- «لا!»..

لم يعتـرض، كانت تجذبه بـكل انفعالاتهـا وردات فعلها، انطلق فحسب متسائلا باهتمام ظاهري:

- «كيف كانت الحفلة؟»..

- «رائعة! لِمَ لم تحضرها برفقتي؟»..

- «لا أحبذ هذا النوع من الحفلات..»..

- «وما نوع الحفلات الذي تحبذه إذن؟»..

نظر لها نظرة ماكرة قليلا وهو يهمس:

- «أي حفلة.. شرط أن نكون وحدنا معا!»..

أسعدتها عبارته، لكنها تصنعت تبرما وهي تهمس بدورها:

- «إياك ثم إياك!»..

- «لا يوجد أي سبب لقلقك.. صدقيني!»..

عـاودت النظر إلى حدقتيه.. وببطء اسـتردت بسـمتها وإن تبدت مترددة قليلا..

ثم سألته:

- «إذن.. ما الذي تريد قوله لي هنا؟»..

الفاجعة

«عثر على شقيقتك في منطقة قريبة من الكلية، حيث سلسلة الحوانيت القديمة المُعدة سلفا للهدم من قبل البلدية، الفتاة لم تمانع اللقاء في مكان كذلك المكان، فلابد وأن معرفتها بالقاتل وطيدة بحق، وإلى الآن كل الدلائل تشير إلى أن القاتل ذكر وليس أنثى، الاتصال، مكان اللقاء.. صحيح؟»..

كان الصوت واضحا رغم تردده كصدى انبعث من جوف مغارة!

ونظر (نجم) حوله مذعورا باحثا عن مصدره، قبيل تذكره..

كان صوت (الزيبق) حين عرض ملابسات قضية مقتل (قمر) في مقر شلة «رأس الغول»، تأكد له ذلك عندما شاهد الرقم (12) يحلق في السماء الغائمة وكأنه طبق طائر بحجم مدينة بأسرها!

ارتعدت فرائصه لذلك المنظر المذهل والمروع، ثم انطلق يركض بلا هدى!

- «حسنٌ.. قتلت الفتاة بنصل حاد غرز في مؤخر عنقها، ثم..».

– «غاليـة التقرير عبارة عـن تخمينات، (قمر) لم تواجه قاتلها بل أخـذت غيلة، المنطقـة كانت مهجورة، ولـم يكلف قاتلها نفسـه عناء جرهـا إلى داخل أحد المحلات المهجورة، بل تركها في ذات البقعة التـي قتلها فيها، تقدير زمن وقوع الجريمة بين الحادية عشـرة والربع والواحدة بعد منتصف الليل.. والآن..».

من بعيد كان يراقب..

يكفـي أن يدخـل أحـد تلـك الحوانيـت المهجورة ليصيـر بذلك متخفيا بفضل الظلام..

استطاع رؤيتهما يتشاجران.. شقيقته كانت ثائرة بعنف!

لمحها وهي تخـرج صافقة الباب بكل ما أوتيت من قوة، وتمكن مـن رؤيـة (ودود) الوغد وهو ينطلق بالسـيارة مبتعدا وقد ارتسـمت على سحنته أعتى علامات الاغتياظ!

كانـت تسـير بـلا هدى فـي المنطقـة محاولة اسـتخراج شـيء ما مـن حقيبتها، فـي حين كان هـو يتحرك كنمـر يتربص بفريسـته تأهبا للانقضاض عليها..

تبسم في دهشة – وتهكم– حين لاحظ ما أخرجته.. سيجارة!

– «لم أعلم أنكِ مُدخنة يا شقيقتي الغالية!»..

كذا همس من بين أسنانه.. فتبدت تكشيرته الضارية!



التـف حتـى قابـل ظهرهـا، وانتظـر تصاعد سـحب الدخـان من سيجارتها..

ثـم دنـا بخطواتـه الماكرة المتسـحبة التي ازدادت سـرعتها شـيئا فشيئا، كل ذلك وبصره مثبت على مؤخر عنقها..

وقد اعتصرت قبضته النصل وبشدة!

- «من هناك؟!».

أثنـاء ركضـه وقـع بصره على شـخص يقف سـاهما علـى قارعة الطريق المقفر، كان واقفا وهائما بسحنته كشبح بائس.. لم يكن ينظر إليـه.. قد كان ذلك الحارس الذي أولـج نصله في مؤخر عنقه.. ماذا كان اسمه؟!

«الحارس (بشـير) لا يملك سـلاحا بالطبع، تلك ليسـت مشكلة بالنسـبة له، لديـه ذراع تحطم الصخر وتلـوي الحديد، وفي مباريات «المكاسرة» هو الرابح دائما!

فوجـئ بقدميـه تتزحلقـان، وذعـر لثـوان وهـو يحـاول التـوازن والسـيطرة على جسمه وسـاقيه! ولما نجح وجه بضوء كشافه أرضا، فأبصر سائلا داكنا له رائحة القهوة!

احتقـن وجهه.. ثمة من دلق القهوة علـى هيئة خط متواصل.. إن فكرة البعض عن المزاح أسوأ من السوء!

تتبع الخط شـاعرا باغتياظه يـزداد بازدياد طوله، لقـد فقد القهوة لهذه الليلة، لذا أقل ما سيصنعه عندما يجد الوغد الذي..».

كان هناك، مندسا يراقب الحارس البائس من الخلف..

ويبتسم ابتسامة حيوان ضار!

تقدم بخفة رافعا نصلا، ثم..

■ ■ ■

- «ولعت كتير.. خلصت الكب.. ريته!

لا انتة الزير.. ولاني نفر.. تيته!».

تعثر (نجم) أثناء ركضه..

وجد نفسـه ينظـر إلى قدميـن، فرفع ببطء مشـدوه بصـره صاعدا لفوق، ومن ثم كتم صرخة رعب كادت تشق عنان السماء..

- «يا بني! قصص الفتيات التي يحسبها البعض عجيبة - وبالذات الفتيات نفسهن - هي في الأساس مكررة!».

كان الشبح التالي مفغور الفاه، رأسه أصغر من باقي أعضاء جسده الضخـم، وقـد امتـلأت جثتـه بالطعنات، فـي كل من عنقـه وصدره ومعدته، وحتى في ظهره!

- «دائما مكررة!».



كان (بنكي) غافيا داخل سيارة نصف نقل، متوقفة على بعد مناسب لمراقبة بوابة فيلا (ودود)، الوقت متأخر، هاتفه النقال يصدر تلك الأغنية السخيفة بإصرار..

«يا ستي يا ختيارة، يا زينة كل الحارة..».

لم يظهر أن الفتى الوسيم المدلل سيخرج الليلة!

لكن (نجم) خرج لممارسة لعبته القاتلة..

كان هو الآخر يتربص بالفتى الذي أبصره يتشاجر مع شقيقته في تلك الليلة..

وعندما لمح سيارة (بنكي)، ورآه وهو يراقب الفيلا بدوره..

«حبيبي يالي بحبه.. ناطرني بالسيارة!»..

حسنٌ.. إن بعض التمرين لن يضره مع ذلك الضخم، سيكون ذلك مسليا للغاية!!

- «أيها اللعين!!».

انتفض لتلك الصرخة..

ونظر ليجد (الزيبق) واقفا وهو يتنفس كالثور الهائج الذي يزمع الانطلاق لإيلاج قرنيه في بدن «الماتادور»!

رمقه بنظرة تائهة.. حائرة..

ثم وبرتابة دمدم كالمنوم مغناطيسيا:

- «أنا..».

- «أنت قاتل!».

كان (الزيبق) واقفا فيما يبدو وكأنه نهاية الدرب المقفر الذي ركض فيه (نجم) بلا هدى، حيث انتصب جدار هائل الحجم..

ولاحظ أن (الزيبق) يحمل شيئا بيده، عبوة ما، اتضح أنها عبوة بخاخ للرسم حين التفت للجدار وابتدأ يبخ الألوان عليه راسما شيئا ما..

كان ينفذ عبارات على طريقة «الجرافيتي»! ولكن بطريقة أقرب للسحر، بنفس البخاخ كان يطلق التحديد للكلمات، ولون المساحة الداخلية الطامس لها، وتعديل ثخانتها وحجمها!

وبسرعة لا تصدق كان يصنع كل ذلك، في حين، يسمعه (نجم) وهو يقول باحتداد أثناء عمله المذهل:

- «أتعلم ما يكون هذا الجدار؟ إنه التجسيد الحقيقي لعقلك الباطن! تأكدتُ من ذلك حين قمتُ بما أقوم به الآن على جدارية عقل كل من (ودود) والأحمق (سميط)!

على جدار الثاني دونتُ عبارات تحثه على ترك السم الذي يستنشقه، وصدق أو لا تصدق.. قد نجح ذلك!

أما مع الأول.. لنقل أن عقابه كان أقسى كونه حاول قتلي، إذ جردته من كل مزاياه! قد أضحى أمير الجامعة الآن مجرد أحمق

لا يفقه حتى ماهية الشطرنج، وأعتقد أن ذلك كفيل بدرء أذاه عن الفتيات بالذات!»..

ورَجَّ عبوة البخاخ عدة مرات وهو يلتفت إلى (نجم) متابعا:

- «لا أعلم ما إذا كنتَ كرهت شقيقتك حقا أم أن المرآة اللعينة السبب، لا أعلم ولا آبه.. ما أعلمه بأنك قاتل! قتلتها وقتلت ذلك الحارس، بل وقتلت صديقي! لذا لن يكون بإمكاني مسامحتك، ولأجل ذلك دونت على جدار عقلك الباطن حكما عادلا بشأنك!»..

تهاوى (نجم) على ركبتيه وقد بدا أقرب للانتحاب الذاهل..

لم يتمكن من ذرف دمعة واحدة، ولم يتمكن من معرفة شعوره الحقيقي إزاء كل ما صنعه من أهوال.. فرفع رأسا مثقلة بالذنب، كي يطالع بحسرة واستسلام ما دونه (الزيبق) وبلون أحمر قان كصبغة الدم على الجدار، فقرأ التالي:

«أنا قاتل! قتلت شقيقتي (قمر)! والحارس (بشير).. والشاب المدعو (بنكي).. وقد جئتُ لتسليم نفسي!»..

وحين حدث الارتجاج، وبدا كأن كل شيء ينهار حرفيا في ذلك العالم الكابوسي المعتم.. نظر (نجم) إلى حيث يقف (الزيبق) مشدوها، فوجده يفلت عبوة البخاخ ليدق الجدار بقبضة قاسية، فارتج ذهنه وتشوش!

ثـم لم يصـدق حين التفت نحوه وهو يتضخـم بصورة لا تصدق، ليستحيل غولا عملاقا مشعرا بشع السحنة!

وعلـى تلك الصـورة الخرافية الخارجة من لوحـة (جويا) الأثيرة لديـه، قبض (الزيبق) على وسـط (نجـم) وهو يرفعـه عاليا، صارخا بعقيرة جشة مروعة وفاه مفغور كالمغارة المعتمة:

- «والآن.. عُد من حيث أتيت!!».

ثم ابتلعه بغير اكتراث لصرخاته المتوسلة!



الخازندار

المقـــبـــرة

ثمة أسباب عجيبة جعلت حوالي 50 مومياء ملكية تبقى سليمة!

ففي عهد الملك (سيامون) زمن الأسرة الحادية والعشرين، عمل الكهنـة على وضع مخطـط محكم نفذوه بدقة، فقد نفذوا إلى كل قبر ملكي عرفوه ليخرجوا سـرا كل مومياء ملكية، نقلوا 13 منها إلى قبر (أمنحوتـب الثاني) السـري، أمـا السـبعة والثلاثون الباقيـة فحُملت في موكب سـري إلى بئر عميقة في الشـمال الغربي من سـاحة الدير البحـري، يؤدي إليه ممر طويل ينتهي بحجرة دفن كانت تشـغلها من قبل ملكة نصف منسية تدعى (أنجعبي)..

الحجـرة كانـت عبارة عن مقصـورة طولها ثمانيـة أمتار وعرضها سـبعة أمتار، وقد تمكن الكهنة من صنع ذلك كله عقبما شـعروا أنهم لم يعودوا قادرين على كفالة حراسـة أجدادهم في مقابرهم، ذلك أن الحلي الذهبية والمقتنيات الأخرى الثمينة كانت قد اختفت منذ زمن بعيد، ولم يتبق سوى توابيت وجثث محنطة..

ظل هذا المخبأ مختفيا لمدة ثلاثة آلاف سنة، حتى عثر عليه ذات يوم من فبراير 1871م الريس (أحمد عبد الرسول)، الذي كان يعتمد في معيشته على بيع الأشياء الممنوعة التي يجدها نتيجة لحفريات غير مشروعة..

في ذلك اليوم أتى بشقيقه الأصغر (محمد)، وأنزله بواسطة حبل إلى دهليز عميق غامض كان والدهما الراحل (عبد الرسول) قد هداه إليه قبلا..

وحين صار (محمد) في الداخل بات مجبرا أن يقتحم جدارا حجريا، وقد قام بذلك ليجد نفسه أمام..

- «أخرجوني من هنا!!»..

كذا صرخ مرتاعًا، فاضطر شقيقه (أحمد) للنزول كي يهدئ من روعه، ليجد مومياوات ترتدي المجوهرات بما فيها رمز الصل أو الأفعى! علامة السلطة لدى ملوك مصر!

لقد وجد أحد قبور الفراعنة!

ولم يكن بوسع (أحمد عبد الرسول) البوح بالسر إلا لشخص واحد فقط، كان يشتري منه طوال أعوام مما يعثر عليه من أغراض ثمينة، وهو القنصل (مصطفى أغا).. لا، ليس مذيع برنامج «صدى الملاعب» في MBC، بل آخر خبير بقيمة الآثار.. لا اللاعبين!

طبعا، أثارت تلكم المقتنيات الثمينة إعجاب واستغراب الخبراء، لكنها لفتت في ذات الوقت انتباه مدير الآثار في الحكومة المصرية السيد (ماسبيرو)، إذ قدر أن أحدهم قد توصل إلى قبور الفراعنة من الأسرة ال21، وقد تأكد له ذلك حين عرف من تحرياته أن (مصطفى أغا) وراء تلك العملية.. طبعا لأن الأخير يتمتع بحصانة دبلوماسية فقد تم القبض على (أحمد عبد الرسول) وحده، وأنكر الريس كل شيء رغم ما تعرض له من تعذيب، فلم يكشف شيئا من أسراره، وقد وقعت بينه وبين شقيقه (محمد) مشاجرة هائلة، إذ قام الأخير لاحقا بكشف خبيئة المومياوات للسلطات..

هكذا، نقلت المومياوات الملكية للمتحف المصري، وفقد آل (عبد الرسول) كنزهم الذي لا يقدر بثمن!

■ ■ ■

المقبرة كانت تملؤها وتسد سراديبها الأتربة..

والعمال بإشراف (محمد عبد الرسول) كانوا يعملون على رفع الحجارة المتراكمة في السرداب الداخلي، ومن المعروف أن الفراعنة كانوا يحفرون في المقبرة أكثر من سرداب واحد للتضليل..

في هذا السرداب بالذات وعقب إزاحة الحجارة عن درجات السلم، ولج (محمد) بعدما لفت نظره المدخل الحجري الذي يعرف - بحكم خبرته في حفر القبور - أنه باب الدخول إلى حيث

الكنز المخبأ، فطلب من العمال أن يعيدوا الحجر إلى مكانه ويردموا فوقه، وصاح بهم آمرا:

- «أطفئوا السراج ما إن يحضر الخواجة، ولا تعملوا في السرداب الذي فيه السلم وعليه الحجر..».

وفعلا، حين حضر الخواجة (بلزوني) أطفأ العمال السراج، وبدءوا الضجة و«الهيلاهوب» فأثاروا زوابع من الغبار، ثم أحاطوا بتابوت المرمر الذي اكتشف في وسط القاعة، وقال الريس (محمد) للخواجة (بلزوني) أن هذا هو أقصى ما وصلوا إليه!

ولما لم يجد (بلزوني) غير التابوت المرمري المغلق بإحكام ويستحيل فتحه إلا بكسره، عمل على نقله إلى لندن عقب بيعه بمبلغ 2000 جنيه فقط، ثم سافر (بلزوني) بعد ذلك ولم يعد..

طبعا كان اهتمام الجميع منصبا على كنز الملك الفرعوني (سيتي) المخبأ، فلم يدرك أحدهم أن الكنز الحقيقي كان يقبع هناك.. داخل تابوت المرمر المُباع بألفي جنيه فقط لا غير!

دهاليز الظلام

طالـع (الزيبق) ما وزعـه من أدوات خوارقيـة بعناية على الفراش داخل الغرفة رقم (12)..

(لمعـي) غيـر موجـود لحسـن الحـظ، فقـد ذهـب لزيـارة والده المريـض كي يطمئـن على حاله، وقد وعده باللحـاق به لاحقا، وهو ما لا يبدو - في الوقت الراهن- بأنه سيفعله!

ماذا جمع لغاية الآن؟

1 - الخاتم: يمنح صاحبه قوة مطالعة وزرع الأفكار..

2 - المـرآة: تصيـب المـرء بحالـة اسـتحواذ أقـرب للتقمـص أو الفصام، إذ تتلبسه شخصية أخرى ذات طبيعة مناقضة تماما!

3 - الصليب: تبديل الشخصيات..

4 - الحجـر: يعمل كبوصلة ترشـد لاماكن الأغـراض والأدوات العجيبة..

5 - التميمة البنفسجية: إفقاد الشخص ذاكرته بشأن الأغراض..



6 - القداحة الفضية: تقوم باستدعاء ثلاثة عناصر أو مخلوقات، ولكل واحد وظيفة معينة..

7 - بخاخ الأنف: ولوج الأحلام والكوابيس..

8 - النظارات: قوة الإبصار عبر الجدران..

9 - زجاجة الدواء: لم يعلم ما الغرض من استخدامها لغاية الآن، ولن يجازف بتجربتها على نفسه أو على غيره!

10 - المعطف الأخضر الذي ينقل إلى البقعة التي يفكر بها المرء، فإذا لم يفعل نقلته بصورة عشوائية غير منتقاة..

11 - إبرة الخياطة: تخيط من تلقاء ذاتها دون الحاجة لخيط..

12 - المطرقة: تستطيع تحطيم أي شيء بأوهن ضربة..

والليلة.. سينهي كل شيء متعلق بتلكم الأغراض اللعينة.. لقد حان وقت إعادتها لصاحبها!

■ ■ ■

فتح (الزيبق) عينيه ببطء..

وجد نفسه جالساً على مقعد، أمامه سرير ارتمى عليه شخص مصاب بضراوة، مضمد ومجبس الساق اليسرى، وأوردته مشبوكة بمحلول التغذية، ناهيك عن أسلاك ملتصقة بصدره جهة القلب لمتابعة نبضاته..

المكان عبارة عن غرفة داخل مستشفى، والشخص الراقد قبالته يمتلك سرا هاما ليس بإمكانه البوح به حاليا كما يبدو!

شبك (الزيبق) أنامله مفكرا..

المعطف الأخضر ينقلك إلى حيث تفكر، فإن لم تفعل رمى بك إلى بقعة عشوائية!

وقد فكر فحسب في مكان الشخص الذي سينهي كل تلك العذابات التي مر بها مع شلته.. الشخص الذي يمتلك الأداة الأخيرة العجيبة!

فإذا كان هذا هو الشخص، فأين أداته بحق الله؟!

لِمَ هو راقد بهذا الشكل؟ أهو في غيبوبة؟ هل هو خارج من حادثة سير أو تصادم مركبات؟ ما هذا التوقيت اللعين؟

إن توقيته هو نفسه قد شارف على النفاد.. فما هو صانع الآن؟

الغرض الأخير أو الأداة الأخيرة، يجب عليه إيجادها.. الآن!

رمق خاتم (ودود) الذي بات في بنصره الأيسر الآن.. مقررًا أن أوان مجازفة أخرى جديدة قد آن!



وحش الأمنيات

يقال أن «الهيمالايا» لطالما كانت موطنا لغيلان مخيفة نسجت حولها الأساطير المخيفة..

فلاحو «نيبال» البسطاء ممن يؤمنون بالخرافة كانوا دوما يؤكدون ذلك خلال جلوسهم حول نيران المدفأة في ليالي الشتاء القارصة، يسردون حكاياتهم الرهيبة لمتسلقي الجبال المرهقين، يحدثونهم عن «إنسان الثلج الوحشي»، أو «الوحش البشري ذي الشعر الأشعث»، يصفون جسده العملاق والمغطى بشعر كثيف من قمة الرأس وحتى أخمص القدمين، وتنقله بقامة عملاقة منتصبة، والمخالب القاسية الخارجة من أصابع راحتيه وقدميه العملاقتين!

يسمونه «الجيتي»، أو «اليتي»، ويقولون أن الجبل كان مليئا بعدد لا يحصى منهم، وبأن رهبان التبت تآمروا للخلاص منهم، فأجمعوا على إقامة حفل على السفح حيث تتوارى تلك الوحوش المشعرة عن الأنظار داخل الكهوف ووسط عواصف الثلج، وخلال الحفل راحوا يتظاهرون بتناول الخمر المصنوع من منقوع الأرز، وحين بدا

كأنهم سكروا حتى الثمالة، راحوا يتبادلون طعنات وهمية بأنصال زائفة!

وعقب انتهاء الحفل المصطنع ابتعدوا واحدا تلو الآخر قبيل تواريهم للمراقبة.. فخرجت الوحوش من جحورها، وشرعوا يقلدون الرهبان في اكتراع كل ما تركوه من خمر حتى انتشوا، ثم راحوا يضربون بعضهم بعضا بالأنصال الحادة الحقيقية التي خلفها الرهبان عن عمد، وكانت المعركة من العنف بحيث تساقطت جميع الوحوش قتلى، ولم ينج منهم سوى وحش واحد فقط، وهو الذي ما زال يجوب سفوح «الهيمالايا» ويبصره الناس بعسر من حين لآخر!

ويسرد حَمَّال من قبائل «الشيرباس» الذين يرافقون المتسلقين أسطورة طريفة عن «الجيتي» المتبقي:

- «تقول الأسطورة أن تاجر فيروز عبر الممر الجبلي، حين بوغت بالوحش المشعر المخيف يخرج له ليجبره على مرافقته إلى كهف في عمق الجبل.. هناك، كانت أنثى الوحش مستلقية، وتصرخ بعقيرة متحشرجة بعدما سُدَّ حلقها بقطعة كبيرة من العظم حتى تعذر عليها التنفس..

أمر الوحش التاجر أن يساعدها وإلا قتله، وفي رجفة الخوف مد التاجر قبضته المرتعشة وأهوى بها على ظهر الأنثى بكل قوته، فانقذفت قطعة العظم من حلقها، واستعادت تنفسها الطبيعي!

وكمكافأة للتاجر، منحه الوحش الذكري كيسا أوثق عنقه، وأمره ألا يفتح الكيس إلا بعد وصوله سالما لداره..

وعندما بلغ التاجر داره قام بحل وثاق الكيس، وإذ فتحه، وجده مليئا بالرؤوس البشرية!!

ولكن، من كل شعرة متدلية من رأس وجد كذلك حبة فيروز! فكانت حصيلته منها هائلة، وبفضل هدية الوحش اغتنى التاجر سريعا!»..

ويقال إن رجال «الشيرباس» يجوبون سفوح «الهيمالايا» بغية الظفر بفرصة مماثلة لفرصة التاجر.. لربما يقابل أحدهم رجل الثلج المشعر، ولربما تكون أنثاه مصابة بمشكلة ما - كعسر هضم مثلا- وبحاجة للمساعدة!

■ ■ ■

يقولون: «ثلاثة في حكم المستحيل.. الغول، والعنقاء، والخل الوفي!».

ولكن.. إذا كان هذا القول ما زال ينطبق على المستحيلين الأخيرين.. إلا أن الأول لم يعد على تلك الدرجة من الاستحالة!

الرحلة

كان منظر الطائرة شنيعا، فقد سُحقت بأكملها، مثل علبة مشروب غازي داستها قدم بقوة..

وتأكد للإسعاف استحالة إيجاد شخص واحد على قيد الحياة، فابتدءوا بعون فرق الإطفاء وجيش من شرطة النجدة عملية انتشال الجثث..

ولكن، لدى سماعهم الأنين.......!

حتى عندما وجدوه يتحرك لم يصدقوا أعينهم، كان الأمر أقرب إلى معجزة حقيقية!

قد كان (نورس) الوحيد الناجي من الحادثة المروعة!

عانى (نورس) من تمزق فظيع في إحدى رئتيه، وقد أصيب بكسور في عاموده الفقري وذراعيه وساقيه، نبض قلبه كان ضعيفا، ودمه يسيل بغزارة مم عرضه لخطر الإصابة بسكتة دماغية، فتم حقنه بالمورفين قبيل نقله للمستشفى بصعوبة شديدة، إذ ان انتشاله من

الحطام بحد ذاته شكل مشكلة عويصة لهم، لكنهم نجحوا في ذلك باستخدام آلات نشر هيدروليكية..

لما استفاق (نورس) في تلك الليلة تبسم بصعوبة بالغة، فقد أبصر والديه بجانبه، ولم يتمكن من النطق بسبب الأنابيب التي أولجوها في حلقه..

والدته متشبثة بمصحف صغير، تطالعه بحدقتين محمرتين من فرط البكاء، ووالده لا يكف عن الارتجاف!

عقب بضع ليال نطق ببضع أحرف، متسائلا عن نجاة أي راكب أو.. مضيفة!

- «لا يا بني، أنت الناجي الوحيد والشكر لرب العالمين!».

ساقه اليسرى تحولت إلى ركام، لن يتمكن من استخدامها ثانية، لقد فقد أجزاء من عظامه، والساق نفسها متأهبة لعملية بتر لإنقاذه من التهاباتها المؤلمة بفظاعة..

استغرقت جراحته ثماني ساعات، انتزع خلالها الأطباء جزءًا من عظمة وركه، حيث وضعت جراحيا محل الجزء الناقص من عظم القصبة اليسرى، ونقلت كذلك أجزاء من العضل والأوعية الدموية والجلد من الورك للقدم، ثم رفعت القدم المتضررة بوساطة مشبك معدني مثبت بستة دبابيس من الفولاذ..

ولاحقا، عقب شهور طويلة من الجراحات والعلاج بالمحاليل، كان (نورس) قد ابتدأ علاجا فيزيائيا مكثفا عقب تثبيت ساق يسرى اصطناعية له، وعقب شهور أخرى - حوالي الأربعة- تمكن من الوقوف لأول مرة على ساقه الاصطناعية الجديدة!

أخبره الطبيب أن تواجده حيا معجزة، لكنه لم يبال..

معنوياته تبدت أفضل، شكر الأطباء بحرارة، وعانق والديه بتهدج، فأفعمت الوجوه بسمات خالطتها غزارة الدموع!

حادثة (نورس) كانت مروعة، لكنها مثيرة للذهول أكثر..

إذ سقط من ارتفاع عشرة آلاف متر داخل جزء من ذيل الطائرة، حيث كان فيها عقب الانفجار، وقد عثر عليه المنقذون مغطى جزئيا بالحطام، وكان على قيد الحياة لكنه مصاب بضراوة..

أفاق من غيبوبة استمرت قرابة خمسة أيام، ليكتشف الأطباء أنه تعرض لفقدان ذاكرة جزئي، لكن حالته تلك ظلت لعدة أسابيع فحسب، ثم لم يلبث أن شرع رويدا باستعادة ذاكرته:

- «بدني كان باردا.. باردا على نحو قارص! جاهدت لكي أنهض، ثم خطر لي خاطر صادم حين تذكرت ما أصابني.. وهو أنني حي رغم كل الهول الذي وقع!».



ذكـر ذلـك محـاولا تجنب النظـر إلـى الغيـوم الملونـة المحلقة فوق رؤوسـهم، وانتحب كونه لا يزال يمتلك تلـك الموهبة الغريبة، فافترضوا أنه يتألم!

كان بقـاؤه على قيد الحياة معجزة كما ذكر طبيبه سـابقا، وحادثته تلـك قد أثارت عددا لا يحصى من التسـاؤلات، لدرجـة دفع علماء أجانـب لزيارتـه بغيـة التحدث إليه لدراسـة تلـك الظاهـرة المتعلقة بمدى قوة تحمل البشر لحادثة كحادثته!

شكلت بالطبع لجنة لتقصي ما حدث للطائرة، وقد تم العثور على الصندوق الأسود الخاص بها وسط الحطام..

أفضـت عمليـات التحقيـق إلـى أن سـوء تقديـر قائـد الطائرة في اللحظـات الأخيرة، والسـرعة الزائـدة لمعدل الطيران قبـل الهبوط، وعـدم الامتثـال لتحذيـرات نظـام المراقبـة الأرضي بدقـة والالتزام بمعاييـر التشـغيل، علاوة علـى عدم تكامـل التعاون ما بيـن الكابتن ومساعده وخاصة في اللحظات الحرجة قبل وقوع الكارثة، كل ذلك أدى للحادثة المأساوية..

ولكن.. أتراها الحقيقة؟!

■ ■ ■

فتح (الزيبق) عينيه ببطء..

لم يتوقع بتاتا أن يجد نفسه على.. متن طائرة ركاب من طراز بوينج 767 !

والأسوأ من ذلك أن الجو الخارجي عبر النوافذ ينذر بدخول تلك الطائرة عاصفة عنيفة، فهي ترتج بلا هوادة، وجميع الركاب أظهروا ذعرًا لا حدود له، وهم يتشبثون بمقاعدهم ويبتهلون للمولى عزوجل كي ينقذهم!

انتابت (الزيبق) حالة حقيقية من الفزع، فهو لم يركب طائرة في حياته، وقد كان المنظر أشد هولا من أرعب الأفلام قاطبة، فتشبث هو الآخر بكرسيه باحثا عن الحزام عندما..

في هذه المرة لم يكن جالسا على مقعد الراكب.. فأمامه تراصت أجهزة قياس الطيران المنبهة عن وجهة الطائرة وسرعة الهواء والارتفاع، وأنظمة تجنب التصادم الجوي العارضة لمواقع الطائرات الأخرى وسرعتها على شاشة الرادار!

قد كان على كرسي مساعد الربان!

وبمواجهته.. حسنٌ.. الواجهة الأمامية للطائرة طبعا! ولم يكن منظر الجو الخارجي لطيفا بالمرة!

(نورس) يرتدي زي الطيار، لكن هندامه مبعثر تماما وكذلك سحنته، وقد ضغط زر مراسلة مراقبة الملاحة الجوية صارخا بجهاز الإرسال ومُعلما إياهم بحالتهم..

ثـم إنـه طالـع (الزيبق) بنظـرة تفيض خطـورة، قبيل نطقـه بلهجة شديدة العصبية والتوتر:

- «نحن في مأزق حقيقي!».

تصلبت نظرات (الزيبق) تماما، وكاد يرد بشيء لولا ظهور رسالة برج المراقبة أخيرا، فكانت كالتالي:

- «الطائرة منخفضة عن المسـتوى المفروض، والسـرعة لمعدل طيرانـك زائدة، حاول الارتفاع مـرة والدوران حول المطار لتخفيف السرعة!»..

لم تكن المشكلة هنا..

كان بصـر (نـورس) قد تصلـب بغتة هناك، على زجـاج الواجهة، فنظر (الزيبق) بدوره كي يبصر أرعب مشهد رآه في حياته بأسرها..

علـى الزجـاج، وخارجا في الجو العاصف المروع، تشـبث كائن عمـلاق غـارزا مخالبـه في معـدن مقدمـة الطائـرة، بـدا كعفريت أو كغول خارج من الأسـاطير الشعبية القديمة، وقد رمق الطيار بمقلتين فضيتين كأعين الضباع الملتمعة ليلا..

والأعجب أنه كان يحمل على كاهله شـيئا أشبه بشوال ضخم من قماش أسود!!

عفريت الأغراض

ارتجت الطائرة بصورة جنونية فتعالى صياح الركاب الذي لا يمكن وصفه..

وفي قمرة القيادة تشبث (الزيبق) بكرسيه مرتجفا، وبصعوبة نظر جانبا ليشاهد ردة فعل (نورس)، فوجده متسمرا وشاردا كأنما قام ذلك المخلوق الشنيع بتنويمه مغناطيسيا!

هنا، قام المخلوق بعمل غريب نوعا..

قام أولا بمد يده ذات الذراع المفتولة بالكيس، فأفرغه من محتوياته في الهواء! وتمكن (الزيبق) من لمح بعض الأشياء المألوفة خارجة من جوف ذلك الكيس، لمح المطرقة التي تحطم أي شيء وبأوهن ضربة، كما لمح المرآة التي وقعت من نصيب (نجم)!

ثم قام المخلوق تاليا بمد يده نحوهما!

بالأحرى كان يقصد (نورس) الهادئ بمقعده، ولثوان خيل للزيبق أنه سيحطم زجاج النافذة الأمامية للطائرة كي يصل إليه، لكنه - وبقدرة قادر- اخترق الزجاج بذراع شبحية، كما لو كان شفافا أو خفيا!

وتمكن (الزيبق) - مذعورا- من رؤية مخالبه، لكنها في إصبعيه الإبهام والسبابة تحديدا تمسكان بشيء ضئيل بادٍ كلؤلؤة أو خرزة زرقاء متألقة..

واستمرت ذراع الوحش المروع في الاقتراب قاصدة جبهة (نورس).. فما إن مستها حتى طمرت تلك الخرزة نفسها تلقائيا هنالك!

صاح (الزيبق) من غير قصد وهو يهب واقفا:

- «الغرض الأخير!!».

وهنا استدار المخلوق نحوه بالتفاتة حادة، ثم أطلق صرخة شنيعة دفعت الطائرة بأسرها للارتجاج بصورة أكثر جنونا..

ثم حدث شيء مروع أقرب لانفجار قنبلة بداخلها!

■ ■ ■

أفاق (نورس)!

وجد (الزيبق) نفسه يحملق في عينيه الواهنتين، ولم يدر ما يقول!

لكن (نورس) بادر بالنطق، إذ همس بضعف محاولا تبليل شفتيه المتيبستين بلسانه:

- «مرحبا!»..

- «مرحبا!»..

- «هل أنت صحفي كذلك؟»..

- «لا.. قطعا لا!»..

تبسم (نورس) هنيهة، ثم..

بدا وكأن بصره متصلب على شيء ما فوق رأس (الزيبق)، وتاليا همس بأغرب شيء:

- «غيمة.. بنفسجية؟!»..

- «أستميحك عذرا؟»..

سعل (نورس) قليلا، ثم أردف وهو يحملق ببصر شاخص باحثا عن شيء ما فوق رأس (الزيبق) - لدرجة أن الأخير قد طفق يتحسس فوق رأسه بشك-:

- «أيعقل ذلك؟ هذا مستحيل! غيمة بنفسجية؟»..

- «عن أي غيمة تتحدث بحق الله؟!»..

- «لكنك.. سليم!»..

شعر (الزيبق) أن البائس يهلوس فحسب، ربما بسبب دواء يسري في عروقه أو أي شيء لعين آخر!

كان يفكر في تلك اللحظة، مُستخرجا ببطء تميمة إزالة الذاكرة من جيبه..

كل ما عليه الآن الحصول على تلك الخرزة الزرقاء من جبهة (نورس)، وعندئذ تنتهي عذاباته هو!



النهاية

الطفلة كانت تركض ضاحكة مطاردة فراشة زاهية الألوان..

لم تتنبه للأحجار البارزة إلا عندما اصطدمت قدمها بأحدها واختل توازنها..

سقطت أرضا، فابتدأت وصلة عنيفة من البكاء..

هدأت قليلا لالتقاط أنفاسها، ولتنظر يمنة ويسرة، علها تلمح أحدا يمد لها يد العون..

وعندما أدركت أنها وحيدة عاودت البكاء مجددا!

- «أأنتِ بخير؟».

توقفت، ورفعت رأسها الصغير اللطيف لفوق، فأبصرته!

كان غريبا، يرتدي معطفا أخضر أضحكها، وازداد ضحكها لما لمحت النكاشة الخشبية المتدلية من فمه..

تأمل ركبتها ببصر شاخص، ثم همس:

- «إصابتكِ بليغة.. دعيني أساعدكِ!».

كانت تبتسم بدعة، لكنها ارتجفت قليلا حين أخرج تلك الإبرة الطويلة..

وحين دنا منها أجفلت محاولة التراجع، إلا أنه أسرع يتراجع رافعا يده ليقول برفق محاولا ألا يثير ذعرها:

- «لن تشعري بشيء.. أقسم لكِ!».

احتفظت بقدر غير يسير من خوفها، لكن شيئا في نظرته وطريقة حديثه جعلها تقرر الثقة به..

اقترب ليمس ركبتها المجروحة، ونقر الإبرة نقرة طفيفة فوق الجرح..

هنا، لم تصدق الطفلة ما حدث..

لقد انطلقت الإبرة لخياطة الجرح من تلقاء نفسها! وبلا خيط كذلك!

والأهم أنها لم تشعر بشيء إلى أن أتمت الإبرة السحرية عملها، فهمست مبهورة:

- «هذا سحر!!».

ضحك هو قائلا:

- «إنه كذلك!».

نهضت بعون منه، ثم مسح على شعرها هامسا بمرح:

- «لندع الأمر سرا بيننا.. اتفقنا؟».

التمع بصرها في شقاوة وهي تجيبه:

- «اتفقنا..».

مسح على شعرها القصير الجميل ضاحكا، ثم نظر حوله بحسرة..

تأمل مساحة من الأرض تبلغ حوالي 0.25 كيلومتر مربع، على تلة صخرية واقعة بالقرب من قرية تقع بدورها في منطقة منخفضة، أي في وادٍ كان يسمى يوما «الوادي الأخضر» لكثرة أشجاره، ثم لم تلبث أن اقتلعت تلك الأشجار لتحل محلها ألواح الزينكو وجدران الخرسانة..

حتى عين الماء التي اشتهر بها ذاك الوادي تلاشت، إذ أزالتها الجرافات لإنشاء مخيم اللجوء القاتم، حيث يحلم الناس فحسب، أو يستعيدون ذكرياتهم مع الأبناء والأحفاد بخصوص عين الماء والأشجار التي كانت يوما في تلك البقعة..

وترنم (الزيبق) متلمسا شعر الطفلة وهو يراقب كل ذلك بابتسامة شاحبة:

وما أنت بالسائح الأجنبي..

أيها الولد الفوضوي..

أنت نصفك طين ونصفك مجزرة وسهام..

أنت من نسل قبرة في شقوق المخيم..

سوف أعود إلى «الجلزون» وأسأله:

عن فتى كان يجمع ماء الوطن..

في ثنايا النشيد..

عن شبيه الدوالي، وقوس وحديد..

عن أمير الصعاليك..

عن نجمة ساهرة..

■ ■ ■

لم يستجب أحد لصوت الطرقات المتواصل..

وفي النهاية، مدت يدها نحو المقبض لتفتح باب الغرفة رقم (12)..

استقبلتها نظرات غير فاهمة لفتى بدين للغاية، له لحية خفيفة وشعر أخف، وقد ارتدى قميصا فضفاضا مشجرا..

كان جالسا على كرسي للمقعدين، الغرفة نفسها غير مرتبة، لكنها تشعرك أن صاحبها على سفر بسبب الصناديق المغلقة..

لكنها فكرت بكل ذلك لجزءٍ من الثانية فحسب، إذ لمحته أخيرا، وميزته على الفور من غطاء رأسه!

لم يشعر بتواجدها، فقد عكف على مشاهدة التلفاز الصغير، حيث عُرضت مقاطع من الرسوم المتحركة لذلك الطائر المخبول..

ماذا كان اسمه؟

(وودي نقار الخشب)! أجل! لكن..؟

- «هل أستطيع مساعدتك؟»..

أعطت انتباهها أخيرا للفتى البدين الذي يراقبها بفضول، فتبسمت في حرج مجيبة:

- «أجل.. أنا رز.. أقصد (تالا)! وقد..»..

تبدى حبور على سحنته وهو يقترب من تلك المرأة الجذابة كستنائية الشعر هادئة الملامح بالكرسي المتحرك إثر دفع عجلاته قدما للأمام، ثم صافحها بود قائلا:

- «أهلا.. قد أخبرني عنك (الزيبق)! اعذريني، إذ لم أتوقع..»..

تبسمت بود مماثل مقاطعة إياه:

- «لم تتوقع سيدة أربعينية في العمر؟»..

- «بالضبط! أقصد..»..

- «لا عليك.. كيف حاله؟»..

- «بخير، نستعد لترك المكان عما قريب!»..

شعرت بالحيرة تنهشها، فتساءلت:

- «لكن لماذا؟ ما الحكمة من تركه الكلية والدراسة؟ قد سمعت بأنه أحرز العلامات النهائية في امتحانات الثانوية، فلماذا..»..

تنبهت للتعبير المرتسم على وجه الفتى البدين.. إذ كان مزيجا من الاستغراب والأسى!

تأملته بريبة وتوتر، ثم تبسمت بمشقة وهي تهمس:

- «(بنكي).. أليس كذلك؟»..

- «بل (لمعي).. (بنكي) كان صديقنا الذي..»..

- «نعم.. فليتغمد الرب روحه بالرحمة! شاهدتك مرة وأنت خارج من السكن.. على قدميك!»..

ظل صامتا لا يدر ما يقول، فزاد توجسها وهي تتساءل:

- «لِمَ لا تنهض يا (لمعي) وتقدم لضيفتكم شيئا؟»..

- ...

زاد صمته من حدة توترها، فتجاهلته محاولة الاقتراب من (الزيبق)، فأسرع (لمعي) يقبض على ذراعها صائحا:

- «أرجوكِ يا (تالا)!»..

هتفت منفعلة:

- «دعني لو تكرمت!»..

لكنه تشبث بها متضرعا.. فلما كادت أن تفقد أعصابها وتصفعه، تسمرت لدى رؤيتها تلك الدمعة المترقرقة في عينه اليمنى!

تراخت شبه ذاهلة، فدمدم هو محاولا ألا ينظر إلى صاحبه:

- «لستِ فقط من حظي بأداة لها مفعول خارق للطبيعة، أنا كذلك حظيتُ بشيء جعلني أتغلب على إعاقتي التي ولدتُ بها، حلوى

على شكل مصاصة فراولة! أستطيع السير طالما مذاقها لا يزال عالقا في فمي، ولكن ما إن يتلاشى حتى..»..

لم يكمل منكسا رأسه للكرسي الكئيب، فهدأت أعصابها شاعرة بإشفاق هائل عليه..

.. ثم لم تلبث أن اقشعرت، ونظرت بهلع إلى حيث يجلس (الزيبق) مطالعا الرسوم المتحركة غير آبه لشيء مما يدور حوله..

وقبل أن تنطق بحرف، سمعت نبرة (لمعي) المتألمة:

- «كان فتى متفوقا وعبقريا، وقد أثبت ذلك بعدما نال النسبة النهائية في الثانوية العامة، لكن حادثا طائشا أودى بمستقبله، سيارة رياضية لشلة من الحمقى السكارى ألقت به بين الحياة والموت، ولولا أولاد الحلال لضاع منا للأبد..

لربما كان من الأفضل لو لقي حتفه، فقد أفاق (زيبق) آخر غير الذي عرفناه، مجرد أبله بائس لا يفرق بين السين والشين، أصيب إصابة استوجبت جراحة في رأسه، وفي النهاية..»..

كان يتحدث بأسى، لكنها أنصتت بنصف ذهن لسبب بسيط، هي لا تصدق حرفا مما قاله.. بتاتا!!

- «قال لي أنه استعاد قدراته العقلية المميزة عقب العاصفة، عندما زاره ذلك المخلوق المخيف، صدقته طبعا وعلى الفور حين رأيتُ

(الزيبق) القديم والذكي واقفا أمامي، وذلك بفضل غرض سحري آخر..»..

هنا همست كالمغيبة:

- «النكاشة!»..

- «هي بعينها! بفضلها استعاد عقله، وبفضل حلوى الفراولة استعدتُ قدرتي على المشي، لكن هذا لم يحدث بلا مقابل، فقد عقد ذلك المخلوق صفقة مع (الزيبق)، إذا تمكن من استعادة جميع الأغراض التي فقدها ليلة العاصفة فستتمكن - أنا وهو - من الاحتفاظ بالنكاشة والحلوى التي لا تذوب ولا تفرغ، سيظل محتفظا برجاحة عقله وأظل قادرا على المشي..

ولأجل ذلك منحه تميمة لها القدرة على إفقاد الشخص لذاكرته بشأن وجود الغرض العجيب الذي حازه، لذا أستغرب كون (الزيبق) لم يستخدمها لمحو ذاكرتكِ بخصوص الصليب المسترد!»..

كانت تسمع بتلك الحقائق للمرة الأولى، وبنظرة متهدجة راقبت (الزيبق) وهي تتمتم:

- «لكنه فشل في مهمته!»..

- «لم يقدر على انتزاع آخر الأغراض.. خرزة زرقاء أبقت طيارا على قيد الحياة، فكان انتزاعها بمثابة جريمة قتل، والأدهى أنه استخدم مطرقة من تلكم الأغراض العجيبة بإمكانها تحطيم كل شيء

على المرآة التي كانت لدى (نجم)، حين لم يتمكن من تحطيمها بشتى الوسائل، فقرر استخدام المطرقة ليكتشف مدى كفاءتها!

ليلة البارحة انتهت المهلة، في الشهر الثاني عشر، في اليوم الثاني عشر، الساعة الثانية عشرة منتصف الليل من هذه السنة، إما أن نجد كل الأغراض، أو..»..

وانتحب بحرارة دفعت دموعها للهطول كذلك، وبصوت متألم أردف:

- «استيقظت لأجده على هذه الحال.. لقد عاد كما كان!»..

مسحت (تالا) دموعها قبيل اندفاعها نحو (الزيبق) صائحة:

- «هل نسيتني حقا يا..»..

انلجم لسانها حين رأت ملامحه المشدوهة على نقار الخشب الكرتوني الهزلي..

أما عنه هو، فقد تنبه لها أخيرا، إذ التفت لها هامسا بنبرة متلعثمة:

- «(وودي.. نقار الخشب)!».

ثم أطلق ضحكة طفولية، متواثبا ومصفقا بكلتا يديه بجذل، وهو يقلد ضحكة الطائر الهزلي الساخرة:

- «هي هي هي هي... هههههه!».

صدر للكاتب وائل رداد:

رواية: «سأعطيك الحلوى شرط أن تموت»: شركة المطبوعات للنشر والتوزيع - لبنان

رواية: «موت سريري»: دار أكتب - مصر ط1/ منشورات ضفاف - لبنان ط2

رواية: «مذكرات الجرذان الغريقة»: ممدوح عدوان - سوريا

رواية: «سيمفونية وادي الظلال»: سندباد للإعلام والنشر - مصر ط1 / مداد للنشر - الإمارات ط2

رواية: «جنازة الملائكة»: دار رواية - السعودية ط1 / دار سما - الكويت ط2

رواية: «أمير وألف عدو»: دار اليمام - الكويت

«سيناريو الظلام: أمير الكوابيس»

«سيناريو الظلام2 المحقق السري»

ترجمات: «القصص المنسية»

«سجين الجحيم»- كلايف باركر

دار سما - الكويت

«كريبي باستاز: أساطير الانترنت المرعبة»: دار اليمام - الكويت



روايـــات:

«المصعد رقم7» ج1

«التابع الحارس» ج2

«الهائمون» ج3

«مندوب الشيطان»

«ملاك جهنمي»

«الزيبق»

بلاتينيوم بوك – الكويت

E Mail: waelnovel@gmail.com



عقب عاصفة هوجاء لم تشهد لها البلاد مثيلا، حيث أصاب الرعد برماحه الحارقة عددًا من أعمدة الإنارة والأشجار، وكاد المطر أن يغرق البيوت والمدارس والمستشفيات..

ظهرت أدوات عجيبة أقرب للمعجزات، ويبدو وأنها قد هبطت من السماء يوم بزوغ تلك العاصفة الجنونية..

«ودود» الطالب الوسيم والثري ابن سيدة الأعمال المرموقة، قد عثر على أخطرها..

هكذا، وجد نفسه بمقدرة شيطانية قد تمكنه يومًا من حكم العالم!

وبدا وكأن أصحاب الأدوات العجيبة - وأولهم «ودود» - لا يمكن إيقافهم عند حدهم، فقد صار ولعهم الأوحد التحكم بأي شيء وبكل شيء، كأنها لعبة مسلية ما..

ثم ظهر «الزيبق» على خشبة المسرح، وقد بدا الشخص الوحيد الذي يزمع إيقاف الجميع عند حده!

تصميم الغلاف



سما

المجموعة الدولية للنشر والتوزيع